

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الرابع ــ المجلد السادس والستون

١٤٤١هـ ــ ٢٠١٩م

(شروط النشر وضوابطه)

١.تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .
٢.لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .
٣.يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة اخرى ورفض لعدم صلاحيته او انه مسروق .
٤.تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .
٥.هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.
٦.لاتنشر المجلة الدراسات السياسية التي تمس كيانا معينا اوتنظيما خاصا .
٧.لاتنشر المجلة البحوث الدينية التي تمس العقائد لان هذا مجال نشره المجلات الخاصة .
٨.لاتنشر المجلة بحوثا تتحدث عن الفساد لاي من الموسسات .
٩.لاتنشر المجلة بحوثا مضطربة اللغة والاسلوب ولايمكن اصلاحها .
١٠.يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق (٢) بنسخة ورقية – وينضد على word 2007 (واستخراج الهوامش من word مراجع نافذة حواشي سفلية – علامة مخصصة) ويتم ترقيم هامش البحث حسب التسلسل (١) (٢)....... الخ .
ب ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .
ت يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة .
ث أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .
ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .
ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .
خ. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

١١.يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع خمس مستلات من بحثهِ .

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات الى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

الاشتراكات : داخل العراق (٢٠٠٠٠) الف دينار سنويا . iraqacademy@yahoo.com
خارج العراق (١٠٠) دولار امريكي سنويا . journalacademy@yahoo.com

محتويـــات

الجزء الرابع / المجلد السادس والســتون

الأفتتاحيَّة

يَتَزَامَنُ صُدُورُ الجزءِ الرَّابعِ من المجلدِ السَّادِسِ والسّتّينَ مِن مجلَّتِنا الغرّاء ، مجلَّةِ (المَجْمَع العلميّ) مَعَ الاحتفاءِ باليَومِ العَالَميِّ للغةِ العربيَّةِ الّذي يُصَادف اليوم الثّامن عشر من شهرِ كانون الأوّل من كُلِّ عَام ؛ إذ أصدَرَتِ الجمعيَّةُ العامَّةُ للأممِ المتحدة قرارها ذا الرّقم (٣١٩٠) في كانون الأول سنةَ (١٩٧٣م) الذي بموجبهِ أُقرَّ إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية الأربع ولغات العمل في الأمم المتحدة ، بعد جهودٍ كبيرةٍ بذلتها الدول العربية منذ خمسينيّات القرن الماضي .

وأدرجت اللغةُ العربيَّةُ في سنة (١٩٧٤م) بصفتها لغة عمل في دورات المجلس التنفيذي ، بناءً على طلب بعض الدول العربية ومن ضمنِهَا العراق ؛ إذ كانَ لهُ حضورٌ مؤثِّرٌ وفاعِلٌ ، انطلاقًا من أنَّ روح الأمة العربية هي لغتها ، فهي تمثِّلُ حيويةً متدفّقة ، وعنوان ازدهارها وتقدمها ، ولا يَخفَى أَنَّ الأمَّةَ الحية هي الَّتي تنمِّي لغتها وتجددها لمسايرة التطورات الحاصلة في العالم ؛ لكي تكون وسيلة للتفكير والتعبير المتطور ، مع المحافظة على أصالتها وتراثها .

وصدق معجزة الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي (١٢٩٨- ١٣٥٦هـ/ ١٨٨٠- ١٠ مايس ١٩٣٧م) في كتابه (تحت راية القرآن ، ٥٠- ٥١) بقوله : « إنَّما القرآن جنسية لغوية تجمع أطراف النسبة إلى العربية ، فلا يزال أهله مستعربين به متميزين بهذه الجنسية حقيقة أو حكمًا حتى يتأذن الله بانقراض الخلق وطيِّ هذا البسيط ، ولولا هذه العربية التي

حفظها القرآن على الناس وردهم إليها وأوجبها عليهم لما اطَّرد التاريخُ الإسلاميُّ ، ولا تراخت به الأيام إلى ما شاء الله ، ولما تماسكت أجزاء هذه الأمة ولا استقلَّت بها الوحدة الإسلاميَّة » .

وكان لاعترافِ الجمعيَّةِ العامَّة للأممِ المتحدة ، صدًى واسَعٌ على مستوى العالم العربي والمحلي ، علَى أَنَّ الصَّدَى في العراق كان أوسع ؛ لما تمتازُ بِهِ أرضُ بلاد الرافدين من جهودٍ كبيرةٍ وحثيثة في سبيلِ نضج اللغة العربية وتطوّرها ، ففيها ظهرت أهم مدرستين في النحو (البصرة والكوفة) ، وفيها برزَ كبارُ علماء العربية من أمثالِ : (الفراهيديّ والمبرّد وابْنُ السِّكّيت...) ، وفيها كُتِبَ أهمُّ المعاجم (كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيديّ) ، وفيها نبغَ كبارُ الشعراء (المتنبي وأبو فراس الحمداني وأبو نؤاس...) ، وكبارُ الكُتَّاب (البلاذري والجاحظ وابن وضاح اليعقوبي وأبو الحسن المسعودي ...)، وفيها ظهرَت البواكير الأولى لحركة الشعر الحر وريادتها على يد أبناء الرافدين من أمثال: (بدر شاكر السياب، ونازك الملائكة، وعبد الوهاب البياتي ، وبلند الحيدري وغيرهم من الشعراء الكبار).

وفي العصرِ الحَديثِ بدأ اهتمام الدولة العراقية واسعًا بالحفاظِ على لُغَةِ القرآنِ الكريمِ والاهتمامِ بِهَا ؛ إذ صدرت التوجيهات الرسميَّة بأن تكونَ لُغَةُ المخاطباتِ الرّسميَّةِ لُغَةً سَليمةً ، معَ التّأكيدِ علَى إقَامَةِ دورات سلامة اللغةِ العربيَّة لموظَّفي الدولة ، وقد تُوِّجَتْ هذهِ الجهودُ بصدورِ قانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية رقم (٦٤) لسنَة (١٩٧٧م) الذي ألزم الوزارات وما يتبعها من الدوائر الرسمية وشبه الرسمية والمؤسسات والمصالح والشركات العامة والجمعيَّات والنَّقابات ومنظَّمات المجتمع المدنيّ بالمحافظة على

سـلامة اللغـة العربيَّـة ، واعتمادهـا فـي وثائقهـا ومعاملاتهـا وجعلهـا وافيـة بأغراضها القوميَّة والحضاريَّة .

إنَّ العنايَةَ بهذه اللغة المعطاء واجبٌ وطنـيٌّ وقوميٌّ ؛ إذ تؤكِّدُ الدراسات الحديثـة أهميـة هـذا اللسـان العربـي ، وإنَّـه صـالحٌ لحمـل منجـزات الحضـارة الحديثة بجميع صنوفها ، وهو قادرٌ على تمثّلها وإعادة صياغتها ، وكلٌّ هذا مشروطٌ بقدرة ناطقيه على ذلك ، وأخذهم بطريق الجد والاجتهاد ، وصدق المستشـرق البريطـاني أرثـر جـون إربـري (ت: ١٩٦٩م) بقولـه : « إنَّ اللغـة العربية لغةٌ حيّة ، وحضارة العرب هي حضارةٌ مستمرة ؛ فهي حضارة الأمس واليوم والغد » .

الأستاذ الدكتور

جواد مطر الموسوي

مدير التحرير

اللغة اليمنية القديمة ونظامها الكتابي
- المضامين الفكرية لقاموسها الاصطلاحي والمفهومي -

الاستاذ الدكتور/ جواد مطر الموسوي
قسم التاريخ - كلية الاداب
جامعة بغداد

المدرسة المساعدة / هند فائز آل مجيد
مديرية تربية الرصافة - الثانية
وزارة التربية

الملخص :

تُعدُّ اللغه هي الوعاء الناقل للتجربة والفكر عند الانسان قبل المحيط ، فلا فكر من غير لغة ، فهي الفكر وهي الوعاء ؛ لذلك وقع اختيارنا على دراسة المحتوى الفكري لقاموس اللغة اليمنية القديمة والذي يطلق عليها في بعض الأحيان لغة خط المسند ، وقد ركز البحث على قاموسها الاصطلاحي والمفهومي ، وتوصل الى مجموعة من النتائج أهمها ؛

إنّ اللغة اليمنية القديمة بما تحتويه من أنظمة صرفية ونحوية ومعجمية وكتابية ، أو مفردات إشارية دلالية واصطلاحية ومفهومية ، يمكن القول بشأنها إنّها لغة طورت وانجزت ، عبر عملية البناء الحضاري والمستمر منذ عصور قبل التدوين حتى ظهور الإسلام .

إنّ اللغة اليمنية القديمة تضم كما كبيرا ، قياسا الى زمنها ـ من المفردات الاصطلاحية والمفهومية التي تعكس الجوانب المادية المتطورة في ثقافة اليمن القديم ، وما يعادلها من الاصطلاحات والمفاهيم في جوانب الحياة الاجتماعية والدينية .

إنّ اللغة اليمنية القديمة لغة نصيّة ، الكثير من الموضوعات التي وردت في النقوش اليمنية القديمة ، تبدو بوضوح بأنها نتائج لتجريد الوقائع الحياتية ، وتحويلها الى تجارب وأفكار ولا تستطيع ذلك الا لغة نمت وتطورت مع تقدم التجربة الحيوية للناس كأنعكاس تطور المستوى التجريدي التصنيفي للعقل وتراكم نتائجها وغناها .

تُعدُّ النقوش الكتابية التعبير المادي الملموس الذي خّلفه الانسان ؛ لذلك اصبحت في مقدمة المصادر التي يمكن لأهميتها ان تكتشف لنا طبيعة المعيشة وأنماطها والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية وطبيعة الزراعة والري واحتياجات المجتمع من الملابس والحلي وأدوات الزراعة والحيوانات وامثلة (نماذج) التصميم الصناعي وغيرها من النحت والرسم الفني والمخربشات .

المقدمـة :

اللغة هي السبيل الاول لنقل الفكر والتجربة عند الانسان قبل التعامل مـع المعطـى الخـارجي , سـواء بأخـذ صـورة عنـه وفهمـه او بأعطائـه تنظيمـا ومعقوليـة ، فـلا إمكـان للفكر من غير لغة وليست هذه الاخيرة لباساً للفكر وانما هـي الجسد نفسه ؛ وذلك لان وجود الفكرة المجردة مرهون بتسميتها , وهكذا يمكن القول بأن اللغة بديل مقنن للتجربـة ذاتها [١] ؛ فهي ليست مجرد شكل , بل هـي : مضمون ولفظ ومعنـى ويوضـح الفيلسوف الألمـاني إدمونـد هوسرل[٢] (Edmund Husserl)(١٨٥٩-١٩٣٨م) , هذا البعد في اللغة خـلال تعريفه " يفكر بثلاث أشياء : " يتكلم وهو اللفظ , يفكر وهو المعنى والشـيء موضـوع التفكيـر , فاللغـة عـالم مـن المعـاني لـه أثـر فـي عمليـة النهوض ، وأثر بالغ الوقع في التنمية بمفهومها الشامل[٣] .

وعلـى ذلك فاللغـة هـي اساس كل نشـاط ثقـافي وفكري ووظيفتهـا الدلالـة والايحـاء , فالدلالـة اللغويـة هـي : دلالـة معرفيـة فكريـة ، أو انفعاليـة عاطفيـة

---

[١] يحيـى , ابـن البـراء , اللغـة والهويـة وافـاق التنميـة , (مجلـة التسـامح) , ع : ٥ , (عمان : وزارة الاوقاف والشؤون الدينية ومؤسسة عمان للصحافة والنشر والاعلان , ٢٠٠٤ م) , ص١٥ .

[٢] إدموند هوسرل (١٨٥٩-١٩٣٨م) : مؤسس الفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجيا) وهي واحدة من اهم الحركات الفلسفية في القرن العشرين ، كانت ثيماتها الرئيسة هي اللغة والمعرفة والعلوم والوعي والزمن والاخلاق ومنهج البحث العلمي .

[٣] حنفـي , حسـن , مـن اللغـة الـى الفكـر (القـاهرة : قضـايا فكريـة للنشـر والتوزيـع , ١٩٩٧م) , ص ١٦.

أو قيمية , أو خيالية ابداعية , أو اشارية موضوعية , أو اشارية عملية خاصة . انها خلاصة تعبيرية لمعايشة , لمعاناة ؛ لأرادة فعل لممارسة تكشف الابداع , لخبرة حية باطنية وخارجية , طبيعية وتاريخية , نفسية واجتماعية , قومية وانسانية . إنّ اللغة بهذا هي الرباط الذي يتحقق به الوعي الذاتي بالخبرات العامة , ويتوافر به التواصل والتناسج والوجود المجتمعي والانساني [٤]

نشأت اللغة بالتلازم مع النطق والتفكير ووظيفة الابلاغ منذ بداية نشأة الكلام الانساني ، وكان ادراك العلاقة الذهنية وما تشير اليه ، يمثل البداية الاولى في تكوين التفكير الانساني ، فقد نطق الانسان الاصوات بشكل واعٍ ؛ ليستفيد منها كوسيلة لنقل اغراضه ولتواصله بعضه مع بعض[٥]، ونحن نعتقد ان ذلك قد رافقه بداية الخربشات الأولى على الجدران والارض عندما يعجز النطق أو الاشارات ، وهذه المخربشات اولى صور بناء الجملة في اللغة والبواكير الاولى للتدوين الصوري ، والتي تدلل بكل تأكيد على محاولة نقل الخبرات من الاجداد الى الابناء ، اي بداية الوعي التايخي والاستفادة من الماضي من اجل تطوير أدواته وتعامله مع البيئة والانتقال من ثقافة أكثر تطورا من سابقتها ، هذا كله يدلل على ان للغة – بأي صورة

---

[٤] العالم ، محمود أمين , دفاع عن الخصوصية اللغوية , (القاهرة : فكر للنشر والتوزيع ,١٩٩٧ م) , ص٩ .

[٥] لورا ، اندريه وغوران ، اديان ما قبل التاريخ , ترجمة : سعاد حرب , ط٢ , (بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٧ م), ص ١٠.

كانت – أثر في سرعة تطور الانسان ، ولاسيما عندما تكون مستخدمة بين عدد كبير من الافراد ضمن الحيز البيئي .

وعلى هذا يمكن الافتراض , بأن اللغة كانت موجودة منذ أقدم عصور التكنولوجيا البطيئة في العصر الحجري القديم , والمبرر الوحيد لهذا القول هو ان الثقافة حتى المادية منها , لم تظهر الا حين عرف الانسان كيف يرمز الى الاشياء , فاللغة كانت ملازمة لظهور بقية ملامح الثقافة القديمة مثل : اختراع أول شطف الصوان أو اكتشاف الدولاب , إن لم تكن أقدم منها ؛ لأن مثل هذه المظاهر الثقافية والاختراعات لم تكن لتظهر لولا وجود اللغة التي هي أداة التعبير والتفاهم ، وعلى ذلك فالارجح إنّ الانسان عرف الكلام في الوقت الذي خطى فيه أولى خطواته وتكوين تقليد ثقافي خاص به , وهذا يرجع الى نحو مليون سنة أو اكثر .

وناقش العلماء فلسفة اللغة ، وهل يمكن ان تعبر عن خبرةٍ ما ، ومنهم : جورجياس (٤٨٠- ٣٧٥ ق.م) ، في محاورته مع أفلاطون (٤٢٧- ٣٤٧ ق.م) ، وهل هي نشأت عن دواعي عاطفية أو عقلانية[٦] ؛ كما طرح الفرنسي جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م) ، رأيه في أصل نشأة اللغة من حيث هي قضية جوهرية ترجعنا مباشرةً الى مسألة أخرى تقوم مقام المولد الأم وهي أصل نشأة الانسان[٧].

---

[٦] للتفصيل انظر: افلاطون ، محاورة جورجياس ، ترجمة : محمد حسن ظاظا ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧٠م) ، ص ص ١٩- ٢٢.

[٧] روسو ، جان جاك ، محاولة في اصل اللغات ، ترجمة : محمد محجوب ، (بغداد : دار الشؤون الثقافية ،١٩٨٤م) ، ص ص ٩-١١.

لابد من أن نشير هنا الى أنه لن يتسنى لنا معرفة اللغة / اللغات , التي كانت سائدة بمفرداتها أو نظامها اللغوي , واذ تعوزنا الدلائل أو المعلومات لابد من اللجوء الى التخمين المنطقي عبر القيام بالمقاربة مع مراحل تطور العقل الانساني ومقدرته على التجريد , من ناحية ، وطبيعة انماط التكيف البشري في تلك الأزمة ، من ناحية أخرى .

ومن المؤكد بأن العقل البشري , خلال تطوره كانت بداياته أو خطواته في مسار التفكير أولية وضعيفة , حيث كان العقل غريزيا وفطريا , وكان بهذا المستوى العقلي , لدى الامم البدائية تأثيره الكبير على لغتها ، ولا شك في أن قدماء اليمنيين في العصور الحجرية كانوا بدائيين في التفكير , وانطلاقا من هذا يمكن الافتراض والتخمين بأن مفردات لغتهم لم تتجاوز في دلائل المحسوسات والأمور الجزئية , بل إنّ الألفاظ الدالة على المعاني الكلية ربما كانت تنعدم أو تقل , كما يمكن لدلالة مفرداتها ان تكون خالية من الدقة والضبط , وليس فيها ، أو تكاد تخلو من ظواهر التصريف والاشتقاق وربط عناصر الجملة والعبارة بعضها ببعض , ويضيق متن اللغة فلا يتسع لأكثر من الضروريات[٨] ، ومن الممكن تشبيه العقل الانساني بتطور الانسان في الوقت الحاضر من الطفولة الى النضج زمنيا ومعرفيا، وهو موضوع دراسة (علم نفس النمو).

بالنظر الى طبيعة الوجود السكاني , الذي كان يتجلّى في الجماعات الصغيرة مثل : الصيادين وجامعي الثمار المتنقلين وربما بعد ذلك الرعاة ,

---

[٨] ابو زيد , احمد , الفكر واللغة , (الكويت : دار عالم الفكر , ١٩٧١م) , ص١٧ .

لاشك بأن هذا الوجود كان يتسم بقلة العدد والعزلة المكانية في اليمن القديم , واذا قمنا بتطبيق بعض التعميمات الكمية للوجود السكاني في وحداته الاولية التي قام بها عدد من علماء الدراسات الانثربولوجية والاثنوغرافية على مستوى التاريخ البشري في العصور السحيقة , فيمكن ان نفترض ان القوام العددي لكل جماعة منها كان يضم قرابة (٢٥ شخصا) عادةً , أو طبقا لمعدلات (دنبر) ، المتعلقة بحجم المجموعة منسوب الى النسبة اللحائية لحجم المخ , فإن البشر ينتمون الى المجموعات التي تتكون من (١٤٨ فردا) بزيادة او نقص(٢٥ فردا) , وهو تقدير يبدو منسقا بصورة معقولة مع الاحجام المقدرة للقرى في أوائل العصر الحجري الحديث[٩]، الا انها كانت تحتاج , في ظل أنسب الظروف , الى ما لا يقل(٤٠٠ – ٥٠٠ كم^{٢}) من أراضي الصيد , وكانت تحتاج في أغلب الاحوال الى مساحة اكبر بمرتين أو ثلاث [١٠] وعلى ذلك لنا ان نخمن , بأن لكل جماعة من تلك الجماعات لغتها الخاصة ، وانهم اقرباء من نسل واحد، في الأقل أنهم يعتقدون انهم ينتسبون الى جد واحد .

استغرق العصر البرونزي في اليمن نحو ثلاثة آلاف عام , وتسجل أقدم بدايات له في الالف الثالثة قبل الميلاد , وشهدت المناطق التي يظهر فيها هذا العصر , عددا من التطورات الحياتية على كافة الاصعدة , كان من أبرزها : تزايد عدد السكان وتحقق عدد من الاندماجات السكانية ، وربما جاء

---

[٩] بيرندت , كاترت , مفهوم البدائية , (الكويت : دار عالم الفكر ١٩٨٢ م) ص٣٣ .

[١٠] برومليه وبودولني , الاثنوس والتاريخ , ترجمة : طارق معصراني , (موسكو : دار التقدم , ١٩٨٨م) , ص ص ٣٥-٣٦ .

ذلك نتيجة للتحالف ودمج الاقتصاديات عبر العمل الجماعي للأرض ، الذي أدى الى ظهور بعض المناطق الحضرية ، وتعدد مجالات العمل ، وتحسين ادوات الانتاج , ولا شك في ان هذا النوع من التطورات كان داعيا الى ظهور لغة أكثر تعقيدا تستوعب مفردات جديدة من معطيات الابتكار وتوسع مجالات النشاط الانساني كما سيؤدي تبادل الخبرات الى غير ذلك من التطورات والافكار الجديدة التي لابد ان تعبر عنها المفردات , الى اغناء اللغات المحلية , بل إن بعض الاندماجات والاحتكاكات السكانية التي تمت في هذا العصر من المحتمل انها قد ادت الى نشوء لغة مشتركة واحدة من أصل تلك اللغات المحلية التي غذّت لغات فرعية او لهجات لتلك اللغة المشتركة التي نشأت بفعل الأسباب السابقة [١١] .

ومن الممكن القول : بأن القدرة العقلية لدى قدماء اليمنيين في عصر البرونز , قد تقدمت نحو الأفضل أكثر مما كانت عليه الحال في مراحل العصر الحجري الحديث , وسيكون العقل قادرا على التفكير التجريدي ، وهو يتسم هنا بأنه عقلٌ ذو تفكير مزدوج احيائي تماثلي وتأملي برهاني , اذ كان الانسان يرى في كل عناصر الطبيعة المحيط به , بأنها مماثلة له ، ويعتقد بامتلاكها للروح وقدرتها على فعل الخير أو الفعل الشرير , ولاشك بأن هذا النوع من الاعتقاد كان لابد من ان يجد له مفردات في اللغة تعبر عنه . وبدأت لغة قدماء اليمنيين بالتزود بمفردات لغوية اصطلاحية معينة , وبصرف النظر عن كميتها , إلا أنّها تدلّ على أن اللغة بدأت تتطور أكثر فأكثر وصارت بها حاجة الى ان يكون لها نظامها الخاص وتغتني

---

[١١] بيرندت , مفهوم البدائية , ص ٣٤ .

بالمصطلحات والرموز, ذلك ان اللغة تتطور مع تطور التفكير الانساني , وان اللغة التي تشكّلت في عصر البرونز هي أساس اللغة اليمنية القديمة .

عرف عن قدماء اليمنيين بأنهم جماعة لغوية واحدة ذات انقسام لهجي , يختلف اختلافا طفيفا يتمثل في عدد من المظاهر الصوتية الى جانب وجود مفردات خاصة محدودة جدا بكل لهجة [١٢] ، ولاشك في ان تلك الفروقات , على ضآلتها , ربما تعود الى أزمة تاريخية سابقة للاندماجات السكانية والاجتماعية الكبرى التي تحققت فيما بعد .

وتتماز الدراسات اللغوية التي عنيت بهذه اللغة ، بين اربع لهجات رئيسة ، هي : السبئية والقتبائية والحضرمية والمعينية ، ولهجات محلية اخرى في مناطق صغيرة المساحة أبرزها الهرمية والردمانية [١٣]

- مستوى الانجاز اللغوي للغة اليمنية القديمة :

إنّ اي لغة – بغض النظر عن نمط بنيتها – تُعدُّ مساويةً للأخرى من حيث إنها وسيلة مكتملة لنقل الافكار واداء وظيفة الابلاغ ، وقد أشار اللغوي جعفر دك الباب[١٤] , إلى عدم صحة تصنيف بعض اللغات على انها راقية

---

[١٢] اسماعيل ، فاروق , اللغة اليمنية القديمة , (تعز : دار الكتب العلمية , ٢٠٠٠م) , ص٥٠ .

[١٣] بيستون , أ . ف. ل , قواعد اللغة الجنوبية , ترجمة : خالد اسماعيل (بغداد : مطبعة المجمع العلمي العراقي , ١٩٩٢م) , ص ص ١٣-١٩ .

[١٤] جعفر دك الباب : لغوي سوري واستاذ جامعي ، ولد في دمشق سنة (١٩٣٧م) وتوفي سنة (١٩٩٩م) ، له مؤلفات في علم اللسانيات نشر منها الكثير في مجلة التراث العربي ومجلة المعرفة ومجلة الناقد وكتب متعددة وترجم عدد اخر .

وإخرى على انها منحطة , منطلقا في ذلك من أن جميع ألفاظ اللغات هي أنظمة لغوية مكتملة وقادرة على ان تكون وسيلة للإبلاغ والتعبير عن الأفكار , وبالاستناد الى نظرية النظم[١٥] للإمام الجرجاني[١٦] اللغوية يعتقد جعفر دك الباب , ان اللغة "اللهجة " الفصحى يجب ان تشتمل على :-

- نظام ربط الكلمات بعضها ببعض على وفق لمقتضيات دلالاتها العقلية التي تتضمنها قواعد النحو وتمكنها بالشكل الأيسر والأفضل من التعبير عن المعاني والأفكار

---

[١٥] نظرية النظم للجرجاني : توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم من علاقات ، اي أنه لا ميزةَ للألفاظ من حيث هي أصوات مسموعة ، إذ ليس للفظة قيمة ذاتية بمعزل عن السياق ، ولكنها تحسن بمراعتها للمعنى المراد وبمكانها مع أخواتها في الجملة الواحدة ، وكذلك توظيف المعاني النحوية في السياق لخدمة المعاني العامة للنص الأدبي بحيث لا يمكن الوقوف على معاني النص إلا عن طريق المعنى النحوي . انظر: سليمان ، سعيد عودة ، البلاغة العربية ، (مصر : دار النهضة الثقافية ، ١٩٨٦م) ، ص١٧٦.

[١٦] أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (٤٠٠-٤٧١هـ/١٠٠٩-١٠٧٨م) ، ولد في جرجان ببلاد فارس تولع بالعلم والثقافة فأصبح من النحويين والمتكلمين المسلمين المشهوريين . انظر : الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود شاكر ، (القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٩٩٢م) ، ص ص أ – ج .

- خواص بينوية في مجال التعريف والتنكير . تمكنها بالشكل الأحسن والافضل من أداء وظيفة الابلاغ [١٧]

وقياسا على ذلك يمكن القول : بأن اللغة اليمنية القديمة في مستوى انجازها اللغوي , واذ نمتلك نظاما لربط الكلمات وخواصا بنيوية في مجال التعريف والتنكير [١٨] فإن نظامها ذلك لايتسم بالمحدودية , بل إنه يستوعب كل أدوات الربط التي تتمتع به أي لغة متطورة , فهذا النظام وكما وضح ذلك المستشرق الفريد بيستون , يحتوي الى جانب أدوات الربط المتمثلة في الحروف من مثل : الميم الزائدة وهي تماثل (ما) الزائدة في العربية , والالف والياء كأداة زائدة في المعينية والقتبانية , والهاء والياء في الحضرمية , أو أخرى تؤدي المعاني : (كما ومثل وبموجب وبمقتضى) ، وترد هذه مركبة مع أداتي الجر : الباء والكاف أيضا , الى مجموعة ثالثة تفيد التكرار وللابتدا والتنبيه والتوكيد وللتفضيل في تقسيم فقرات النص , وللتقسيم والتفريع ، كما تتصف في هذا السياق اللهجة المعينية بامتلاكها أداةً مصدرية (عندما) تحتوي كذلك على أدوات ربط تتمثل في حروف الجر مثل : (الباء ومن وعن وحتى والكاف واللام والى) وأدوات العطف مثل : (أو , و, وأم , القاف , والألف , والفاء) ، وادوات النفي من مثل : (لا وما ولم)[١٨] .

---

[١٧] دك الباب ، جعفر، اسرار اللسان العربي ، ملحق بمؤلف محمد شحرور : الكتاب والقران , ط ٧ , (دمشق : الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع , ١٩٩٧م) , ص ٧٥٥ .

[١٨] بيستون , قواعد اللغة العربية الجنوبية , ص ص ٥٧-٥٨ .

وهكذا تبدو اللغة اليمنية القديمة بأمتلاكها أدوات الربط الاساسية بل بتجسيدها البعدي في شكل الحروف , في صورة اللغة القادرة على التعبير عن المعاني والأفكار وعلى اداء وظيفة الابلاغ بالشكل الأيسر والافضل ، ومن سمات اللغة اليمنية القديمة ، هي :

١- نظامها الصوتي :

تنطق الألفاظ الصوتية للغة اليمنية القديمة كما في العربية الفصحى , لكن فيها حرف لم يكن موجودا في العربية الفصحى اليوم وهو حرف (ژ) او (س٣) وهو يلفظ بين السين والشين ، وثمة خصوصية لديها في لفظ بعضها , ويبرز ذلك , حيث لم يكن هناك تفريق صوتي واضح محدد , ويحتمل كذلك ان لفظ الضاد كان مختلفا عن العربية الفصحى ، اذ كان صوتا يتداخل فيه (الضاد والطاء) وكذلك بالنسبة لحرف (التاء) حيث تحول بمرور الزمن الى لفظ قريب من السين أو مطابق له [١٩] . وهذا يجعلنا نخلص وبالنظر الى تطابق الألفاظ الصوتية لهذه اللغة مع الالفاظ الصوتية للغة العربية الفصحى، بأن البناء الصوتي للفظ في اللغة اليمنية القديمة يتسم بقدر عالٍ من الموسيقية من حيث عدم تنافر تركيب الحروف من ناحية كما انّ الفاظها الصوتية متناسبة وسلسسة مع حركة الجهاز العضوي من ناحية أخرى .

إنّ الجانب الصوتي من اللغة مهم جدا , ولا يجوز الاستخفاف به فاللغة بالمعنى المعين هي ترميز التجربة الانسانية بالاشارات الصائتة ، وتشكل

---

[١٩] اسماعيل , اللغة اليمنية القديمة , ص ص ١٣٢-١٣٨.

الأصوات المستوى الأدنى المادي للبنية اللغوية الذي تتنامى فوقه الطوابق الأخرى , وفي اللغة كل شيء مترابط ومتماسك بعضه ببعض ضمن نسقها الدلالي , وينعكس أي تغيير في مكوناته على مختلف المستويات وعلى النظام كله ، واذا كان نظام النطق متماسكا فيجب ان يستكمل هذا التماسك النسبي منسحبا مع سائر العناصر[٢٠].

والنظام الصوتي لهذه اللغة مثل أي لغة متطورة مبني وفقا لقانون الاختلاف والتمايز ، وهذه الاصوات في اللغة اليمنية شديدة الوضوح ومتمايزة ماعدا ما ذكر منها في أعلاه , كما ان لكل صوت فيها رمزا معلوما يتميز بصريا ، كما يتميز الصوت بالسمع ، حيث تبرز أصوات لغوية لاتجانس بينها من حيث الصفات النطقية , فثمة قواعد في اللغة اليمنية القديمة لتجاوز تلك الصعوبات النطقية ، وذلك عن طريق اجراء تبدلات صوتية معينة كالادغام والقلب المكاني والابدال والترخيم والتخفيف والتقصير والحذف[٢١] .

٢- النظام الصرفي النحوي :

للغة اليمنية القديمة نظام صرفي تام يتضمن الأسماء والأسماء باشتقاقتها : المصدرية والفعلية والتنكير والتعريف والتذكير والتأنيث ، والمفرد والتثنية ، والجمع بأنواعه ، كما يستوعب هذا النظام الضمائر بأنواعها

---

[٢٠] خالدوف , انس باقييفيتش ، اللغة العربية في كتاب دراسات في تاريخ الثقافة العربية , ترجمة : ايمن ابو شعر , (موسكو : دار التقدم , ١٩٨٩ م) , ص٢٦.

[٢١] بيستون , قواعد اللغة الجنوبية ص ص ٢١ – ٣٦ .

والوصف وأسماء العدد والظروف وأوزان الفعل وكذلك أسماء الافعال المبنية والإعراب[٢٢].

إنّ هذا المستوى الصرفي للغة اليمنية القديمة يؤكد على تمتعها بمستوى كبير في تطورها ، فالمستوى الصرفي كما يحدد مكانتها يعكس تطور اللغة ، حيث يُعدّ مبدأ الاشتقاق في توليد الألفاظ والدلالات من الجذر الواحد مبدأ مركزيا في اللغات المتطورة تماما , كما في اللغة العربية ، فثمة دلالات أخرى تخبر بوضوح عن تطور اللغة اليمنية القديمة , وذلك في ما يبتدىء في استخدام الضمائر ، إذ يدل ذلك على أن هذه اللغة وصلت الى تطورها على وفق مبدأ يقوم على تحسين الاداء مقابل التقليل من الجهد ؛ لان استخدام الضمير يعفي من ذكر الاسم الكامل الصريح ، أي ما يمكن تسميته باقتصاد اللغة ، وهذا أيضا معيار يعمل في قياس تطور اللغة .

والمصدر في اللغة اليمنية القديمة استخدم في استعمالين: مصدر ذي دلالة اسمية ومصدر ذي دلالة فعلية ، وتنفرد السبئية في صياغة المصدر المشتق من الفعل المجرد على صورة الماضي , بإضافة نون في آخر الفعل , اما المصدر ذو الدلالة الاسمية فهو يماثل المصدر المؤول في العربية , واسم الفاعل لايظهر في النقش بسبب اقتصارها على تدوين الأصوات الصامتة ؛ لذلك فهو يتفق من حيث الشكل مع الفعل المشتق منه ، ويمكن تمييزه بالاعتماد على بناء الجملة وسياق المعنى في التمييز بينهما ، اما اسم المفعول فشواهده قليلة في النقوش[٢٣].

---

[٢٢] اسماعيل , اللغة اليمنية القديمة ص ص ٦٤ ـ ٦٨ .

[٢٣] اسماعيل , اللغة اليمنية القديمة , ص ص ٧١ – ٧٧ .

والـى ذلـك , فاللغـة اليمنيـة القديمـة واحـدة مـن مجموعـة اللغـات السـامية , تجمعها بها تشابهات كبيرة , فمعظم الأسماء فيها ثلاثية الجذور , والاسماء الثنائية نادرة فيها[٢٤] ، ويمكن تمييز أسماء رباعية فيها , غير أنها محدودة وهي ألفاظ دخيلة ، ونعتقد بأن تلك الالفاظ من المحتمل ان تكون من بقايا إحدى مراحل تطور هذه اللغة .

٣- الرصيد القاموسي للغة اليمنية القديمة :

الرصيد القاموسي للغة اليمنية القديمة , التي يضمها هذا المعجم وغيره من وسائل النشر الأخرى , يعطي انطباعا بأن اللغة اليمنية القديمة كثيرة المفردات وغنية المعاني ، فمستوى المادة اللغوية فيها , غني بما تتضمنه من ألفاظ تندرج في التعبير عن موضوعات مختلفة وكثيرة في سياقات حياتية متنوعة : دينية وتشريعية , وإدارية , وحربية وزمنية واجتماعية وبناء وانشاء . وكل سياق منها يستوعب بداخله : الكلمات المصدرية وأخرى ذات دلالات اصطلاحية ومفهومية .

وللوقوف على مستوى الانتاج اللغوي للغة اليمنية القديمة , على صعيد المعاني التي تعبر عنها , نعرض فيما يلي أمثلةً عن مفردات ذات دلالات اصطلاحية ومفهومية :-

---

[٢٤] افضل من كتب في هذا المجال هو : الدومنكي ، مرمرجي ، المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنة السامية ، (القدس : مطبعة الاباء الفرنسيين ، ١٩٣٧م).

ت	المفردة	رقم النقش	الدلالة الاصطلاحية
١	ش ن ق	F30/3	وثيقة ملزمة
٢	ض م ر	R3910/7	من أنواع عقود البيع
٣	ف ق ض	C4/6	طبقة اجتماعية
٤	ك س د	F76/6	أبرم ، جعل الغاءه متعذرا
٥	ن ط ش	C548/10	شغب ، أزعاج
٦	أ ب ي	R4176/4	الإقامة الدائمة،التفاخر بالآباء
٧	أ م ر	J576/13	وحي، فأل
٨	ب ر هـ ن	G1200/5	شهادة ، برهان ، بينة
٩	ب ض ع	C563+956/1	فرض ، جزية
١٠	ت ل د	J721/8	مال موروث

واذ نكتفي بهذا القدر من ايراد الامثلة , فيلفت انتباهنا في معاني تلك الكلمات –انها تعبر على الرغم من التفاوت بينها – عن قدر من التفكير التجريدي , وفي هذا الصدد , يهمنا التأكيد على الحقائق التالية , بشأن تحديد مستوى الانجاز اللغوي للغة اليمنية القديمة :

معـروف ان الكلمـات المصـدرية , واذا تعبـر عـن الحـدث مجـردة عـن المكان والزمان فهي بهذا تعكس درجة من درجات التجريد[٢٥] ، وحين تكون الكلمـة اصطلاحا فهي تمثل مرحلـة أعلـى من مراحل تطور اللغة ومن ثمـة الفكر, أي الانتقال من العلاقة الطبيعية بين الصوت والمدلول القائمـة علـى الحواس الى علاقة اصطلاحية قائمة على الاسم والمدلول الذهني فقط , وهذا مـا يُسميّ بالتجريد فـي صيغة معنـى , وبهذا فاللغـة , والـى جانـب وظيفتهـا الأولـى المحـددة الابـلاغ مـن خـلال التواصـل بـين مـتكلم ومخاطـب , تقـوم بوظيفة حامل الفكر[٢٦].

امـا اذا وجدنا من بين هذه المعاني المجردة ، ومـا يرتقـي الـى مسـتوى المفهوم ، فإننا نتعاطى به على انه انتاج معرفة متطورة تاريخيا ، ترتفع من مرحلـة أدنـى الـى أعلـى مستوياته , وهذه المعرفـة بصيغة المفهوم ، تلخص على أساس الممارسة والنتائج المتحصل عليها في مفاهيم أكثر عمقا[٢٧].

٤- الجملة في اللغة اليمنية القديمة :

دوّنـت النقـوش اليمنيـة باللغـة العربيـة الجنوبيـة التـي هـي جزء من عائلـة اللغـات العربيـة القديمـة (الجزريـة- السـامية) ، ويطلـق علـى خطهـا عنـد العلماء العرب المسلمين بـ (الخط المسند) ، والمُسند لفظة منقولة من العربية

---

[٢٥] دك الباب , جعفر , اسرار اللسان العربي ص ٧٤٤ .

[٢٦] شحرور , محمد , الكتاب والقرأن , (دمشق : الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع , ١٩٩٧ م) , ص٢٨٩ , ٢٩٩ ,٣٠٧ .

[٢٧] بيستون , قواعد العربية الجنوبية , ص ٣٧ , ٥٦ , ٥٩, ٧٩ .

الجنوبيــة (سَـند مكتــوب) ، ويتكــون خطهــا مــن (٢٩ حرفــا) مــن غيــر حركات[٢٨].

والنقوش اليمنيـة القديمـة بعامـة مصـوغة بأسلوب تعبيري متماثل محـدد وبتعبيرات مكررة ولاسيما التي تتفق في غرضـها وموضوعها , ويلاحظ فيها غلبـة الاسلوب الإخباري , والإيجاز والدقة في التعبير ، وقد صيغ معظمها بصيغة الغائب حتى لو كان الكلام متعلقا بصاحب النقش نفسه , والى جانب ذلك تفتقر الكتابة لمدلول الحركات , أي الصوائت القصيرة للحركات , فكثيرا ما يكون الرسم واحدا لما يكون مختلفا في نطقه[٢٩] ، إلا أنّ ذلك لن يمنعنا من التعرف على كيفية تركيب الألفاظ في الجملة ؛ وعلى النحو الآتي :

أ- ترتيب الالفاظ بالجملة :

لمعرفة ترتيب الألفاظ في الجملـة باللغة اليمنيـة القديمـة , لابد من القيام بتحليل الجمل وتفكيكها , وذلك بالاستعانة بالنقوش المسندية , حيث نلخص لعدة عناصر أساسية مفادها [٣٠] .

١ -يرد الفعل في النص المسند بالمقام الثاني في الجملة ويتقدم عليه اما الفاعل أو عبارة مضافة , ويأتي الفاعل في الحالـة الاخيرة بعد الفعل ,

---

(٢٨) الموسوي ، جواد مطر ، الأحوال الاجتماعيـة والاقتصـادية فـي اليمن القديم خـلال الالف الاول قبل الميلاد حتى عشية الغزو الحبشي ٥٢٥م ، (الشارقة : دار الثقافة العربية ، ٢٠٠٢م) ، ص ١٥ .

(٢٩) اسماعيل , اللغة اليمنية القديمة , ص ١٥٣ .

(٣٠) بيستون , قواعد العربية الجنوبية , ص ص ١٢٦ ـ ١٢٩ .

وان مثل هذه العبارات يمكن ان تتألف في ظروف مضافة او اسم إشارة أو الاسم المشار إليه أو واو التوطئة .

٢ -يرد الفعل عادة في الجمل التي تدلّ على نتيجة :

أ) في مستهل الجملة التي لا ترتبط بغيرها أداة ربط .

ب) مباشرة بعد أداة العطف أو الربط المساعدة أو الاسم الموصول في الجمل المعطوفة بحرف العطف .

٣ -الجمل الاسمية نادرة , ولكن ترتيب الكلام فيها , كما تشير الشواهد يتم على ضربين : اما مبتدأ وخبر , أو خبر مقدم .

٤ -ترد الواو كحرف عطف تكوين وحدة بنيوية واحدة تتعلق بها كلمة واحدة او مجموعة الالفاظ المعطوفة على بعضها .

٥ - من الامور المستحبة في اللغة اليمنية القديمة تتابع كلمتين من أصل واحد في الجملة ، ويجري هذا الامر خاصةً بين فعل جملة الصلة أو جملة الصفة والاسم العائد عليه .

٦ -هناك انماط خاصة في التعبير تنشأ من استعمال الفعل واحد مشتقاته اللفظية زائدا أدوات العطف بالواو والفاء .

ب- تعدد معاني المفردة الواحدة :

يضُّم قاموس اللغة اليمنية الكثير من الكلمات متعددة الدلالات تتراوح ما بين ان تعني الكلمة معنى بسيطا وان تكون مصطلحا أو مفهوما أو أن

تكـون اسـما وفعـلا وأدوات وحـروف وظـروف نعـرض فيمـا يلـي نمـاذج منـها[٣١] :

ت	اللفظ	النقش	المعان
١	ب ر ر	GL.1209/12,13 C541/97 R3967/1	ثأر ، برز ، شق أو فتح طريقا ، بر ، حنطة ، بَر ، أحسان
٢	ب ش ر	J643/16 C563+956/3	بشر ، استبشر ، أناس ، بشارة لهم ، بشرى ، تلقى بشرى
٣	ت ل و	GL.1547/7	تابع ، تبع ، تنازل ، وهب ، طارد ، افراد ذو علاقة بالخيالة .
٤	ح ب ل	C555/566 GL.1533/8	عقد ، ميثاق ، حلف ، عقد ، مدماك من حجارة البناء ، حقل مدرج

---

[٣١] بشأن المفردات ومعانيها , انظر : بيستون , أ . ن . ل , وريكمانز , جاك , والغول , محمود , ومولر , والتر , المعجم السبئي (بالانجليزية والفرنسية والعربية) , (بيروت : مكتبة لبنات ومنشورات جامعة صنعاء , ١٩٨٢ م) , ص ٧، ٨، ١٠، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٣ .

٥	ح و ر	J669/23	صدر (امرا ومرسوما) ، اثر ، قرر ، انزل ، اسكن ، اقام ، ساكن ، مستوطن ، مهاجر ، تخريب ارض .
٦	خ ي ب	F30/5 C290/5	تأخر عن سداد دين , أهمل , كمن , احتسب وأمتتع
٧	ر ف د	J555/1	رفد , عون , جدار استنادي , دعامة بارزة , ساقية أو قناة صغيرة , شي يقدم وفاء بنذر
٨	س أ ل	GL.1363/3 GL.1574/16	سأل , طالب , ادعى، مطالبة , ادعاء , وحي , نعمة
٩	س ل م	GR.11/3	سالم , طلب السلم, نال أمان(اله) سلم , سلام تحية , انتظام سقوط المطر , نوع من المذابح .
١٠	ش ت أ	J577/5 C457/12	نشأ , حدوث , جرى , بريء , بدأ , رفع , سبب , مهمة , او مبادرة (عدائية)

ومن الكلمات / المفردات الواردة في اعلاه بمقدرونا تمييز مجموعتين من المعاني / الكلمات متعددة الدلالات :-

ـ الاولى : وفيها تتعدد المعاني للمفردة الواحدة مع خلوها من العلاقة بين هذه المعاني .

ـ الثانية : تتصف بتعدد معاني المفردة الواحدة مع وجود علاقة مابين المعاني المتعددة .

وعلى ذلك يمكننا القول : بأن الجملة في اللغة اليمنية القديمة ليست مجرد عبارة ناتجة عن مجموع المفردات بدلالاتها الحرفية , لكنها بنية (نص) يعطي لكل مفردة فيه وظيفتها ودلالاتها المحددة , التي تختلف قليلا أو كثيرا حين ترد المفردة / الكلمة في سياق جملة أخرى .

ج- المعاني الرمزية في النصوص اليمنية القديمة :

يميز (جواد الموسوي)[٣٢] بين نوعين رئيسن للبناء في كل جملة , الاول : البناء الظاهري أو الخارجي وهو الذي يقال بالفعل : البناء الداخلي العميق للجملة ، وهو يعني به العلاقات الواضحة بين الكلمات المكونة للجملة , وفي النوع الثاني من بنية الجملة , يمكن للغة أي لغة متطورة ان تنتج المعاني المجازية فنضطر عند التعاطي بها الى عدم الاكتفاء بالمعنى السطحي المباشر للجملة ، بل علينا ان نغوص تحت السطح حتى نستطيع الوصول الى المعنى الحقيقي .

---

[٣٢] محاضرات لطلبة الدراسات العليا (الماجستير) لسنة ٢٠١٥ ـ ٢٠١٦ , جامعة بغداد , كلية الاداب , الاثنين (٢٢ و٢٨ / ٢٠١٦/٣ م) .

ولما كان المعنى المجازي ليس هو المعنى الاشاري والدلالي ، فالمعنى هنا قائم على طبيعة أو نوعية العلاقة بين الكلمة والكلمات الاخرى في سياق الجملة ، فالمعنى الحقيقي للمفردة في هذا السياق النصي للجملة قد يكون مضمرا أو متضمنا فيها بناءً على علاقاتها الدالة مع المفردة الاخرى ، فيكون لها ولغيرها من المفردات معان مجازية ، وهذا المعنى المجازي للجملة من الممكن ان يرمز الجزء الى الكل ، كما يمكن ان يتغير المعنى المجازي للجملة على حسب تغير بعض أو كل مكوناتها إشاريا ودلاليا ، وتدخل كل حروف الكلام في نظام هذه الطريقة في إعطاء المعنى ؛ لان المعنى المجازي ، بشكل رئيس يمثل الوظيفة الخاصة بالبنية والقصد من الجملة , ومن هذا السياق ندرس العلاقة بين الافكار والكلمات والجمل .

لكن الوصول الى المعنى الحقيقي للجملة / النص يتطلب ليس قراءة النص بمعزل عن المؤثرات والظروف الخارجية للنص , أي ليس بمعزل عن ثقافة المجتمع التي تعكس الى جانب الوجود المعاش موجهات السلوك الاخلاقي والعملي .

ويمكننا القول بأن اللغة فعل اجتماعي مقيد بالاخرين , ولذلك يختلف الفعل اللغوي باختلاف مستويات المعاني وباختلاف الموقف , ويكون مقيدا تماما بما يوجه اليه هذا الفعل وفي هذا المضمار فإن اللغة أيضا , فعل وبهذا فإنّ الفعل اللغوي يمثل عمليات تحقيق المعاني وفي هذا الصدد ثمة مستويات ثلاثة للمعاني تقابلها الأبعاد الرئيسة للفعل وهي :

ـ البعد التكنو اقتصادي ويقابله المستوى الاشاري من المعاني .

ـ البعد السياسي والحقوقي ويقابله المستوى المجازي من المعاني .

ـ البعد الثقافي والديني ويقابله المستوى الديالكتيكي من المعاني .

اما معجم اللغة اليمنية القديمة ومناهجها فهو يعكس كل المفردات / الكلمات التي تم التعرف عليها من خلال النقوش اليمنية القديمة حتى اليوم موزع على عدد من المعاجم وقد اتخذت اشكالا عديدة بعضها مكتمل وبعضها لايزال في مراحله الاولى، وان أول من ألّف معجم للغة اليمنية القديمة ، كما ذكر الدكتور(جواد الموسوي) ، هو الدكتور جواد علي (ت ١٩٨٧م) ، مؤلف كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، وكان بعنوان (معجم الفاظ المسند) ، والذي هو عبارة عن مسودة فقدت عند وفاته، ويعد المعجم السبئي والذي يضم المفردات / الكلمات والتي تم العثور عليها حتى عام ١٩٨١م ويعيبه ان مؤلفيه لم يستكملوا المادة اللغوية المتوافرة بعد ذلك التاريخ ولم يعملوا على توسيعه .

ومنذ ما يزيد على عقدين ونصف من الزمن ظلت الألفاظ (الجديدة)، التي تم التعرف عليها في هذه المرحلة , مشتتة بين عديد من المجالات العلمية والاكادمية المحكمة في اليمن وخارجه ، ومعظمها من اعمال واجتهادات علماء النقوش اليمنيين العرب والأجانب , من أمثال : المرحوم الدكتور محمود الغول (ت:١٩٨٣م) ، والدكتور محمد عبد القادر بافقيه (ت: ٢٠٠٢م) ، ومطهر الارياني (ت: ٢٠١٦م) , والدكتور يوسف محمد

عبـد الله (ولـد : ١٩٤٣م) , والـدكتور عبـد الله حسـن الشـيبة , والـدكتورة اسمهان الجرو ، وابراهيم الصلوي وغيرهم .

وقد حرص مؤلفو المعجم السبئي عند اعداده على اتباع منهجية تساعد الباحث , على معرفة التوسع الدلالي للكلمة واستقصاء جميع معانيها التي اكتسبتها طوال فترات وجودها وذلك من خلال [٣٣] .

١- ايراد الكلمة / اللفظة وتحديد معناهة الأصلي / الحرفي وإثبات معانيها الأخرى بالتوصيل بينها وما تطور اليه معناها في مجال الاستعمال .

٢- توضيح / اللفظ معجميا وصرفيا ودلاليا , وتحديدا صفته إن كان فعلا أو مصدرا أو اصطلاحا مع تبيان مجال اشتغاله , واستعماله , ان كان سياقا دينيا أو تشريعيا أو اداريا أو حربيا أو عمليا أومهنيا في الزراعة والانشاء والبناء .

٣- تخطى الحدود الزمانية والمكانية للكلمة في البحث عن تفسير ومعنى لها في حال عدم وضوحها في سياق الجملة , أو عندما يصادفون كلمة ظهرت للمرة الأولى واثبات المعنى عبر مقارنة اللغات القديمة في أماكن اخرى ، والمقاربة مع مفردات في اللغة العربية واللهجات اليمنية المعاصرة .

٤- تدقيق وضبط الشروحات والتفاسير القديمة / السابقة للكلمة في ضوء نصوص نقشية اكتشفت حديثا ، وفي هذا الصدد حرص المؤلفون عند

---

[٣٣] أنظر : بيستون واخرون , المعجم السبئي , ص ٧، ٨، ١٠، ١٥، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٣، ٢٦، ٣٠، ٣١، ٣٣ .

اعطاء معنى للكلمة غير المعروفة بتقييم المعنى مع السياق الذي ترد فيه ، كما استعمل المؤلفون إشارات رمزية لتمييز الكلمات أو الالفاظ الغامضة التي يُعتقد بأن جلاء معناها يكون في ماقد يأتي به المستقبل من شواهد قد تيسر شرح معناها ، وتلك التي لا يعد معناها مقطوعا به في ضوء البيانات الحاضرة ، و قاموا بتمييز الكلمات الاصطلاحية بأشارات رمزية بين قوسين مربعين تدلّ على السياق العام لذلك المصطلح .

كان تشكلُّ الانظمة الكتابة الاولى يجري في وقت واحد وبارتباط معقد البنية الاجتماعية وانبثاق الدولة ، ومع ظهور الكتابة أصبح النشاط المعرفي / الفكري ميدانا خاصاً من ميادين الممارسة والحياة العملية [٣٤]

أما تاريخ الكتابة اليمنية القديمة (المسند), والمؤكد بوثائق ثبوتية فيعود الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وقد تكون الكتابة اليمنية اقدم من الأبجدية الفينيقية . فقد اكتشف العالم السوفيتي إبراهام غريغورويفتش لوندين مؤخرا ، أنّ النقش الذي عُثِرَ عليه في عين شمس / بنت الشمس في فلسطين ١٩٣٣م على لوح من الفخار وينتمي الى المجموعة الاوغاريتية يحتوي على الابجدية المسمارية الصغيرة ، ولكنها مرتبة بشكل كالذي نجده في الأبجدية العربية الجنوبية الحبشية , وعلى ذلك من الموكد بأن الخطوط

---

[٣٤] كلوتشكوف , الجديد حول أصل الكتابة , ترجمة : جابر ابن جابر وخيري الضامن , (موسكو : دار التقدم , ١٩٩٨ م) , ص ٨٨ .

السامية (اليمنية القديمة , الحبشية) التي نسأت في منطقة الشرق القديم , وان الأبجدية الفينيقية لم تكن الشكل الاولي لها , بل يوجد أقدم منه[٣٥].

ويبلغ عدد حروف الكتابة اليمنية القديمة نحو (٢٩) حرفا ، وهذه الرموز الصوتية للحروف اليمنية القديمة، هي أنفسها الرموز الصوتية لحروف الكتابة العربية بزيادة صوت واحد ينطق من مخرج قريب من السين بين السين والشين[٣٦] ، وهي تكتب بحروف منفصلة ، وثمة اكتشافات أثرية حديثة أظهرت قطعا صخرية عليها كتابات متصلة في مقابر شبام الغراس لم تدرس بعد [٣٧] ، في هذه الآونة أيضا ظهرت أشكال خاصة متصلة لهذه الكتابة في النقوش الخشبية ومصدرها الاساسي هي المدينة السوداء ، وهي مدينة نشان القديمة في الجوف يعود تاريخها الى بداية الألف الأول قبل الميلاد، ويتراوح طول معظم هذه الاعواد بين (١٠–٣٠ سم) ويصل طول بعضها الى (٥٠ سم) وسمكها الى حوالي (١–٣ سم) وبعضها بكلمة واحدة، في حين يضم بعضها نحو (١٥) سطرا وثمة اعداد لابأس بها من النقوش

---

[٣٥] بيرين ، جاكلين , الشواهد الكتابية لمنطقة شبوه وتاريخها , في كتاب شبوه عاصمة حضر موت القديمة , (بيروت : بيسان للنشر والتوزيع والاعلان , ١٩٩٦ م) , ص ١٦ .

[٣٦] بافقيه , محمد عبد القادر , تاريخ اليمن القديم , (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ١٩٧٣ م) , ص ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

[٣٧] الشيبه , عبد الله حسن ، تمهيد تاريخي في كتاب دراسات في تاريخ اليمن القديم (تعز : مطبعة الوعي الثوري , ٢٠٠٠ م) , ص ١٢ , ٦٧ .

الخشبية مكتوبة بخط المسند[٣٨] . وثمة دلائل على استعمال كتاب (المسند) والاختصار او (المونوجرامات)[٣٩] على القطع النقدية حيث يكتفي بالحرف للدلالة على الاسم المقصود [٤٠] .

ومن سمات الكتابة اليمنية القديمة[٤١] :

(أ) تتسم بنظام تطغى علية السمات الصوتية , وتعبر الاشكال البعدية عن الأصوات الصامتة فحسب وتهمل الصائتة , فلا يوجد فيها حركات لضبط الشكل .

(ب) تتخذ اشكال الحروف بشكل عام طابعا هندسيا تتطلبه طبيعة المادة الصلبة التي نشأت عليها وتخلو من مظاهر تصويرية على غرار كتابات قديمة غير ان ثمة رموزا شبيهه بالحروف ، وتأتي عادة في

---

[٣٨] المرقطن , محمد , النقوش الخشبية القديمة مصدر هام لدراسة التاريخ الحضاري لليمن القديمة , سلسلة (حوليات يمنية) , ع : ٢ , (صنعاء : المركز الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية ، ٢٠٠٣ م) ، ص ص ٣١ - ٣٤ .

[٣٩] الطُغْرَاء : وتكتب طغرة وطغرى وطغرا ويلفظها العامة طرة ، وأصلها طورغاني بلغة التتار وتعني العلامة المرسومة على الرسالة . وهذه المسميات تطلق على شارة تحمل اسم سلطان عثماني ، أو ما ينعت به ، واستخداماته تعددت منها : علامة سلطانية ، توقيع ، ختم ، و شارة ملكية ، قد ترسم في أعلى البراءات والفرمنات السلطانية . انظر : صابان ، سهيل ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، (الرياض : مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، ٢٠٠٠م)، ص١٤٩.

[٤٠] بافقيه , تاريخ اليمن القديم , ص ٢٠٧ .

[٤١] للتفصيل انظر: اسماعيل , اللغة اليمنية القديمة ص ص٦١- ٦٢؛ الشيبة , تمهيد تاريخي ,ص ٨٥ .

اول النقش وآخره وليس هناك ما يدلّ على أنّها كتابة تصويرية ، وهي في رأي العلماء مجرد رموز دينية ، كما لم تأخذ بتنقيط الحروف واكتفت بتغير أشكال الحروف المتقاربة بعضها من بعض (كالباء . والتاء . والثاء) .

(ج) تفصل الكلمات بوساطة خط عمودي دقيق واضح , يحدد فصل الكلمات في الجملة , وهذه الاعمدة تقابل علامات الوقف الصوتي في الملفوظ وهي ضرورة لفهم محتوى الكلام في الجملة ، ويلاحظ ان الكلمات المكونة من حرف واحد (حروف الجر , وأدوات الوصل , وحروف متصلة ... الخ) ترتبط بالكلمة التالية ولا تنفصل بالخط العمودي .

(د) تكتب الحروف وتقرأ من اليمين الى اليسار وأحيانا من اليسار الى اليمين ، وقد لوحظ في نقوش من المرحلة المبكرة انها مدونة بأسلوبين ، فهي تسير في أول سطر من اليمين الى اليسار ثم تعود في السطر الثاني من اليسار الى اليمين وهكذا حتى نهاية النقش ، ويصطلح على تسمية هذا الاسلوب بخط المحراث وربما لا تنتهي الكتابة في نهاية السطر فتكتمل في أول السطر الثاني .

(هـ) يعبر عن تشديد الحرف احيانا بتكرار رسمه . بما يعبِّر صراحةً عن صيغة الاستفهام .

ولم تكن تقنية الكتابة لدى قدماء اليمنيين من النوع الذي يسهل وييسر الكتابة , وهي عموما تتصف بالاداء الصعب ، حيث كانوا يضطرون الى

استعمال اسلوب الحفر, اما على أواني فخارية , أو على صخور وألواح معدنية (البرونز) وعلى قضبان خشبية صغيرة وكما يبدو فإنّ طبيعة الغرض من الكتابة هو الذي يحدد نوع المادة المستخدمة ويمكن ملاحظة ذلك في ما يأتي :-

(أ) الكتابة المحفورة أو المرسومة على الاواني فخارية تتمثل في كلمات في بضع رسائل وهذه تعود الى القرن العاشر في اقل تقدير[٤٢].

(ب) اما الكتابات التي تخلد اداء الشعائر الطقسية وإتمام الأعمال الإنشائية وتحتوي على القوانين ، أو اللوائح والمحظورات , فتكون محفورة على الصخور، أو مصبوبة على المعادن وتُسمّى هذه النصوص النصبية ، أو التذكارية ، فضلا عن النقوش التي حفرت على الحجر [٤٣].

(ج) والنقوش الخشبية , تكتب بخط نسخي معروف من المصادر العربية باسم الزبور على اعواد خشبية خاصة على العسيب والعلب أو السدر , ودوّنوا فيها مراسلاتهم الشخصية وتعاملاتهم التجارية[٤٤].

---

[٤٢] روبان , كريستيان , سبأ والسبئيون , ترجمة : رياح عبد القادر , مجلة (حوليات يمنية) ,ع : ٢, (صنعاء : المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية , ٢٠٠٣م) , ص ١٥ .

[٤٣] روبان , سبأ والسبئيون , ص١٦ .

[٤٤] عبد الله ، يوسف محمد ، خط الزبور اليماني نقوش خشبية في اليمن ، (لوفان : منشورات المعهد الشرقي – جامعة لوفان الكاثوليكية ، ١٩٩٤م) ، ص ص٤-١٥ .

تكشف لنا التنقيبات المستخدمة للكتابة في اليمن القديم الصعوبات التي تقف عائقا أمام كتابة نص طويل متحرر من الاختصارات والايجاز والاضطرار الى الاختصار والايجاز .

و كان قدماء اليمنيين يقدِّرون الكتابة تقديرا كبيرا فقد استعملوها لدوافع عملية واخرى دينية وتذكارية (شخصية وتاريخية) فدونوا بها فتوحاتهم وحروبهم , كما دوّنوا بها احكاما وقوانين وقرارات مجلس حكم كان بعضها طويلا جدا وينتهي بعشرات التوقيعات أو الأسماء لشهود ، ووثّقوا بها عقودا للبيع وشراء او استصلاح أرض وبناء سقاياتها وريها ، مما يُعدُّ مستندات شرعية يقوم بها من عمر الأرض أو أحيا أمواتها الحجة على حقه فيها أو فيما عمر وبذل من عناء . ومن أغراض الكتابة لديهم كذلك , كان تسجيل اعترافهم على أنفسهم بذنوب اقترفوها يستغفرون آلهتهم مما فعلوا وقرابينهم ونذورهم التي قدموها للآلهة لنعمة او فضل او رفقا للمصيبة أو نازلة أو شكرا على فضل حصل او مصيبة رزنت , وكذلك كتبوا بها مالهم في التجارات وما عليهم وما دفعوا لأولي الامر او الدولة أو الآلهة او مراسلاتهم الشخصية وأسماء موتاهم على النصب الجنائزية [٤٥] والى ذلك كانت الكتابة مهنة قائمة بذاتها , والدلائل عليها كثيرة في المدونات النقشية اليمنية القديمة , حيث كان الكاتب أي القائم بنحت الحروف على الصخور يحرص على تسجيل اسمه في زاوية في أسفل المدونة ، وعالجت هذه الكتابات (النقوش) موضوعات متعددة في المجتمع اليمني القديم ، تمثلت في :

---

[٤٥] المرقطن , النقوش الخشبية القديمة , ص٣٥ .

أ. نصوص تنظيم الحياة العامة .

ب. نصوص دينية وهي أكثر عددا وأهمية .

ج. نصوص الممتلكات .

د. نصوص تذكارية .

هـ. نقوش الحروب.

و. نقوش شعرية ذات طبيعة دينية ، والمعروف منها حتى الآن قصيدة تتكون من(٢٧) بيتا ينتهي كل منها بقافية واحدة ، وقد تكون أنشودة دينية مكّرسة للآلهة شمس ، والى ذلك شهدت الممالك اليمنية القديمة ورشة متخصصة لإعداد صفائح الحجر والبرونز ونحت او حفر الحروف عليها[٤٦]. وليس هذا حسب فقد كان قدماء اليمنيين يضيفون على الكتابة شيئا من القداسة , وفي هذا السياق تشير بعض النصوص النقشية إلى انها قدمت كنزا أو كقربان يتقرب المرء بها الى الالهة .

ومن هذا كله يمكن القول :

١ -إنّ اللغة اليمنية القديمة بما تحتويه من أنظمة صرفية ونحوية ومعجمية وكتابية , أو مفردات إشارية دلالية واصلاحية ومفهومية , يمكن القول بشأنها انها لغة طوّرت وانجزت , في عملية البناء الحضاري والمستمر منذ عصور قبل التدوين حتى ظهور الاسلام .

---

[٤٦] غرزيانفسكي , تاريخ حضر موت وحضاراتها , ترجمة : خيري الضامن , (موسكو : دار التقدم ١٩٨٨ م) , ص٢٢٩ .

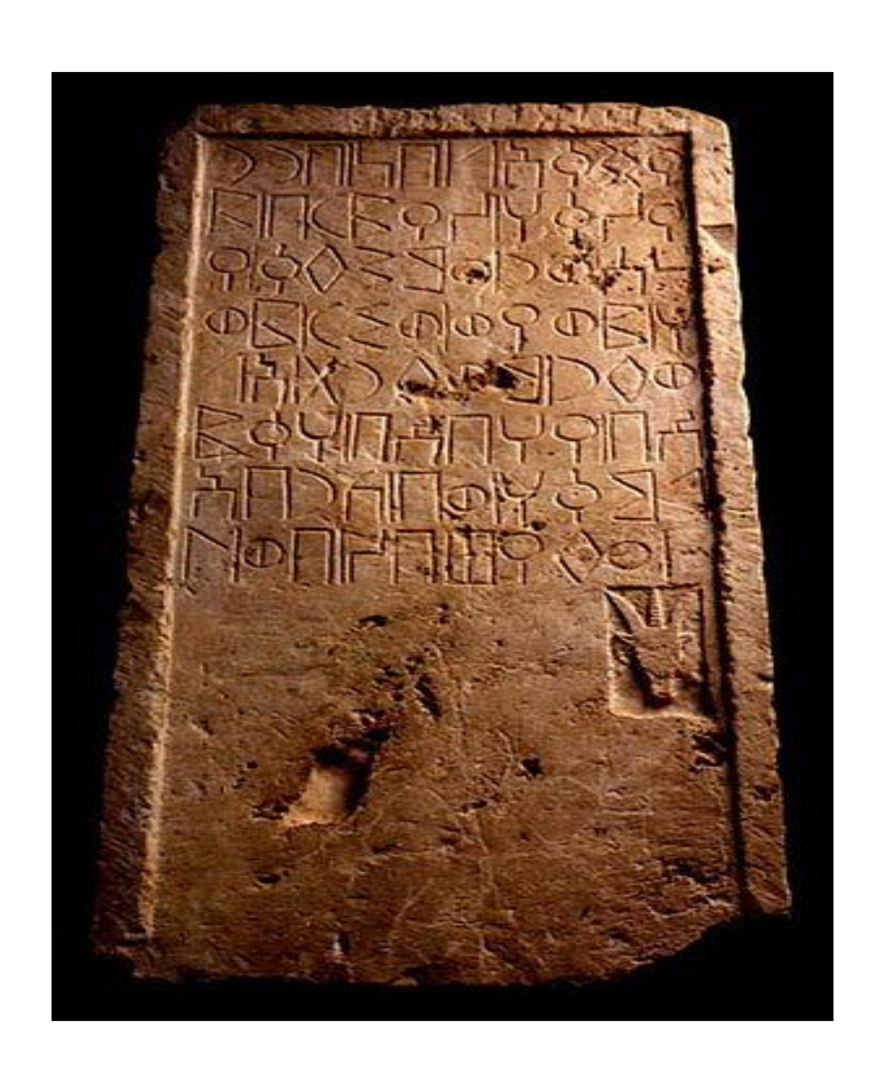
٢ -إنّ اللغة اليمنية القديمة تضم كما كبيرا ـ قياسا الى زمنها ـ من المفردات الاصطلاحية والمفهومية التي تعكس الجوانب المادية المتطورة في ثقافة اليمن القديم , وما يعادلها من الاصطلاحات والمفاهيم في جوانب الحياة الاجتماعية والدينية .

٣ -إنّ اللغة اليمنية القديمة لغة نصية , الكثير من الموضوعات التي وردت في النقوش اليمنية القديمة , تبدو بوضوح واضح بأنها نتائج لتجريد الوقائع الحياتية وتحويلها الى تجارب وافكار ولا تستطيع ذلك الا لغة نمت وتطورت مع تقدم التجربة الحيوية للناس كانعكاس تطور المستوى التجريدي التصنيفي للعقل وتراكم نتائجها وغناها .

٤ -تُعدُّ النقوش الكتابية التعبير المادي الملموس الذي خلّفه الانسان، لذلك أصبحت في مقدمة المصادر التي يمكن لأهميتها ان تكتشف لنا طبيعة المعيشة وانماطها والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية وطبيعة الزراعة والري واحتياجات المجتمع من الملابس والحلي وأدوات الزراعة والحيوانات وامثلة (نماذج) التصميم الصناعي وغيرها من النحت والرسم الفني والمخربشات .

قائمة بحروف المسند وما يقابلها في العربية

أ	𐩱	ض	𐩳
ب	𐩨	ظ	𐩼
ت	𐩩	ط	𐩷
ث	𐩻	ع	𐩲
ج	𐩴	غ	𐩶
ح	𐩢	ف	𐩰
خ	𐩭	ق	𐩤
د	𐩵	ك	𐩫
ذ	𐩹	ل	𐩡
ر	𐩧	م	𐩣
ز	𐩸	ن	𐩬
س[1]	1𐩪	هـ	𐩠
ش[2]	𐩦	و	𐩥
س[3]	𐩯	ي	𐩺
ص	𐩮		





(نقوش كتابية يمنية قديمة)



(طغراء الملك اليمني مرثد الن)

الشبيبي ودوره الوطني في وزارة المعارف

الأستاذ المتمرس الدكتور
عبداللطيف حمودي الطائي
قسم اللغة العربية – كلية الآداب –
جامعة بغداد

الملخص :

وُلِدَ الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد جواد الشبيبي في مدينة النجف الأشراف في سنة ١٨٨٩م وتوفي فيها سنة ١٩٦٥م ؛ وهو من العلماء الموسوعيين الذين أفنوا زهرة عمرهم في خدمة العلم والتعليم والتربية والأدب ومحاربة الأمية والجهل ؛ وهو من العلماء الذين تعددت مواهبهم بين الشعر والدين والعلم والتعليم والسياسة ؛ فهو ينحدر من أسرة دينية تنتمي إلى مدرسة النجف الأشرف ؛ إذ كان أديبا كبيرا وشاعرا مفلقا ؛ وكانت ثقافته منذ نعومة أظافره متعددة المصادر والمنابع ؛ وقد تتصف بالوطنية الممتلئة بحب الوطن والإخلاص له ، والتفاني في خدمته ، كان معلمه الأول والده الشيخ محمد جواد الشبيبي ، الذي يُعدُّ من ألمع أساتذة المدرسة الدينية في النجف الأشرف ؛ فقد رعاه رعاية خاصة ، وغذاه بالعلم والمعرفة ؛ وفي هذه المرحلة من عمره صُقلتْ مواهبهُ ؛ وقويت شخصيتهُ ولاسيما موهبته الأدبية والشعرية والسياسية .

المقدمــة :

وُلِدَ الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد جواد الشبيبي في مدينة النجف الأشراف في سنة ١٨٨٩م وتوفي فيها سنة ١٩٦٥م ؛ وهو من العلماء الموسوعيين الذين أفنوا زهرة عمرهم في خدمة العلم والتعليم والتربية والأدب ومحاربة الأمية والجهل ؛ وهو من العلماء الذين تعددت مواهبهم بين الشعر والدين والعلم والتعليم والسياسة ؛ فهو ينحدر من أسرة دينية تنتمي إلى مدرسة النجف الأشرف ؛ إذ كان أديبا كبيرا وشاعرا مفلقا ؛ وكانت ثقافته منذ نعومة أظافره متعددة المصادر والمنابع ؛ وتتصف بالوطنية الممتلئة بحب الوطن والإخلاص له ، والتفاني في خدمته ، كان معلمه الأول والده الشيخ محمد جواد الشبيبي ؛ الذي يُعدُّ من ألمع أساتذة المدرسة الدينية في النجف الأشرف ؛ فقد رعاه رعاية خاصة وغذاه بالعلم والمعرفة ؛ وفي هذه المرحلة من عمره صُقلتْ مواهبهُ ؛ وقويت شخصيتهُ ولاسيما موهبته الأدبية والشعرية والسياسية .

كان الشيخ محمد رضا الشبيبي محبا للعلم والتعليم ؛ فقد جرد حسامه معلنا الحرب على الجهل والتخلف والأمية ؛ وصدح بالدعوة إلى العلم والتعلم والتعليم والتربية ؛ وذلك لإعداد أجيال تخدم العراق في سنواته القادمة ؛ وكذلك دعا إلى إنشاء المدارس المختلفة في محافظات العراق كافة ؛ وهذا ما أهله لأنْ يتبوأ منصب وزير المعارف في الثاني من الشهر الثامن من سنة ١٩٢٤م في وزارة ياسين الهاشمي الأولى [1] ؛ بعد تأسيس دولة العراق

---

[1] الوزارات العراقية – منتديات بوابة العرب : نت

الحديثة ؛ ونجاحه في إدارة دفة الوزارة تم استيزاره بعدها أربع مرات في السنوات ١٩٣٥ و ١٩٣٧ و ١٩٤١ و ١٩٤٨ ؛ وكذلك كان الشيخ الشبيبي عنصرا مهما وفاعلا ومساندا للسيد ثابت عبدالنور عندما كشف عن سعيهِ ؛ لتأسيس مجلس علمي عراقي ؛ إذ كانت للشبيبي بصمات واضحة في تأسيس أول مجمعٍ علميٍّ عراقيٍّ .

بعد تأسيس دولة العراق الحديثة في سنة ١٩٢٠م ؛ كان لابد من وجود وزارة تُعنى بتنظيم التعليم في الدولة الفتية الجديدة ؛ لذا فقد تم استحداث وزارة المعارف للقيام بهذا الدور الحيوي المهم في ١٩٢١/١٠/٩م [٢] ؛ ولكي يكون القارئ الكريم على معرفة بواقع حال التعليم في العراق في سنة ١٩٢١م ؛ فقد كان عدد المدارس ((٨٨)) مدرسة وبواقع ٤٨٦ معلما و ٧٤٣٢ طالبا ؛ وفي سنة ١٩٢٢م كان عدد المدارس هو ((١٥١)) وبواقع ٦٦٣ معلما و ١٥٢٧٥ طالبا ؛ هذا على صعيد التعليم الابتدائي والثانوي ؛ أما على صعيد التعليم العالي ، فقد كان في العراق معهدان هما : كلية الأعظمية ، وهي مدرسة الإمام أبي حنيفة النعمان ، ويُدّرس فيها العلوم الإسلامية والفنون الحديثة ؛ وكان عدد طلبتها ((١٠٠)) مئة طالب ، والثاني هو مكتب الحقوق العثمانية ، وقد افتتح هذا المكتب في سنة ١٨٨٦/١٠/٣١م ؛ والدراسة فيه مدتها أربع سنوات بعد الإعدادية أو ما يعادلها ، وأغلق هذا المعهد عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤م ، وأعيد فتحه بعد انتهاء الحرب [٣] .

---

[٢] بداية التعليم في العراق الملكي – المرحلة الثالثة من التعليم في العراق : نت

[٣] المصدر السابق نفسه

وظلّ الشيخ محمد رضا الشبيبي بعيدا عن الحكومة ، وسلطتها إلى أنْ تم تكليف السيّد ياسين الهاشمي بتشكيل الوزارة العراقية الجديدة في سنة ١٩٢٤م ؛ وبدأ باختيار الوزراء لإشغال الحقائب الوزارية ؛ فلم يجد أفضل من الشيخ محمد رضا الشبيبي لتسنم حقيبة وزارة المعارف [٤] ؛ وكان الشيخ محمد رضا الشبيبي يعتقد أنَّ هذا المنصب سيلبي طموحه في تقديم الخدمات المرجوة للشعب العراقي من خلال النهوض بمستوى التربية والتعليم ومحاربة الجهل والأمية ؛ ولكنَّ الشيخ الشبيبي في الوقت نفسه ربط بقاءهُ وزيرا مرهونا بالحكومة ؛ فهو متى ما رآها قد انحرفت عن الخط الوطني ؛ فأنَّهُ سيستقيل من منصبه [٥] ؛ وفعلا استقال من منصبه بعد أقل من سنة ؛ إذ قدّم استقالته في سنة ١٩٢٤م احتجاجا على منح مجلس الوزراء امتياز النفط إلى شركة النفط العراقية ؛ وهي شركة انكليزية معروفة ؛ لأنَّهُ رأى في منح الشركة هذا الامتياز يمثل الضوء الأخضر للاستعمار ؛ لنهب ثروات الشعب العراقي وسرقة أمواله ؛ وهضم حقوقه ؛ مؤكدا ذلك في نص استقالته من الوزارة [٦] ؛ وعلى أثر هذا الموقف الشجاع ؛ والمشرف للشيخ محمد رضا الشبيبي ؛ تم عزله ومحاربته وإبعادهُ عن مناصب الدولة المهمة ؛ لذلك كان يُعاني كثيرا من الظلم والتعسف اللذين لحقا به ؛ بسبب مواقفه الوطنية الجريئة والمعلنة لما يتعرض له الشعب العراقي ؛ وترتب على هذه المواقف

---

[٤] تاريخ الوزارات العراقية : مج /١ ج١ / ١٩٦

[٥] مع رجال الفكر – الشيخ محمد رضا الشبيبي

[٦] تاريخ الوزارات العراقية : المجلد الأول ؛ الجزء الأول : ٢٢٨

المشرفة تعرضهُ إلى مضايقات كبيرة من الدولة ؛ ومن دسائس الاستعمار ؛ وذلك في السنوات العشر التي أعقبت استقالته .

وفي سنة ١٩٣٥ عندما شكّل ياسين الهاشمي الوزارة الجديدة ؛ لم يجد وزيرا للمعارف أفضل من الشيخ محمد رضا الشبيبي [٧] ؛ فاستدعاه وأعاد استيزاره ثانية ؛ فاستجاب الشبيبي لتلك الدعوة بناءً على رغبة المواطنين المخلصين لهذا البلد وضغطهم عليه ؛ ولكنه لم يلبث طويلا في وزارته ؛ فقدم استقالته ؛ احتجاجا على مواقف رئيس الوزراء ؛ وذلك بعد أنْ رأى كثرة تدخلاته السافرة في شؤون وزارته التعليمية ؛ وهذا ما عدّه تجاوزا عليه ؛ وتدخلا مباشرا في شؤون عمله ؛ فضلا عن كون رئيس الوزراء كان يمثل عقبة صعبة في طريق تنفيذ طموحاته ؛ وما يريد تحقيقه للنهوض بالمستوى العلمي والتربوي والثقافي للبلاد ؛ وذلك من خلال القضاء على التخلف والجهل ؛ ومحاربة الأمية المتفشية بين أبناء الشعب العراقي ؛ وكان كل ما يخطط له يصطدم بعقبة ما يُسمّى برئيس الوزراء الذي أمسى حجر عثرة في طريق منهجه وطموحاته ؛ وسببا مهما ومباشرا في استقالته [٨] ؛ فالشبيبي عندما طُلب منه تسنم حقيبة وزارة المعارف ؛ أعد ورقة عمل طموحة مكتوبة ؛ صاغها بنفسه وقدمها إلى مجلس الوزراء ؛ وهذا نص ورقة عمل الشيخ الشبيبي :

((السير بالمعارف على أساس تهذيب النشيء ؛ ليكون مواطنا مشبعا بروح التضحية في سبيل الواجب ؛ محبا للتقدم والنظام ؛ قديرا على الاضطلاع

---

[٧] تاريخ الوزارات العراقية : جـ ٤ / ٧٤ ؛ مصادر الدراسة الأدبية : ٨٣٦

[٨] مجلة الفكر : ٥٩

بأعباء الحياة ؛ وعلى تكثير البعثات العلمية ؛ لتأمين حاجة العراق من الأخصائيين والمدرسين ؛ والاهتمام بالتعليم القروي ؛ وتحسين التدريب الصناعي ؛ والعناية بالتدريس الابتدائي ؛ والمبادرة إلى تأسيس مدرسة ثانوية ليلية ؛ وإعادة فتح مدرستي الهندسة والزراعة ؛ واستقدام الأساتذة لكليتي الطب والحقوق ؛ وتوسيع نطاق الكلية الأخيرة على وجه يؤمن إعداد موظفين قديرين في الشؤون المالية والإدارية أيضا)) [٩].

ولم يتحقق من طموح الوزير محمد رضا الشبيبي من ورقة عملهِ التي قدمها لمجلس الوزراء إلا النزر القليل ؛ الذي كان لا يروي من عطش ولا يبلُ من صدى ؛ وأنَّ مجلس الوزراء لم يعضد طروحاته وأفكارهُ البّناءة ؛ للنهوض بالمستوى العلمي والتعليمي للبلاد ؛ على الرغم من كثرة مناشداته للمجلس لمساعدته على تنفيذ أفكاره الطموحة للنهوض بالمستويين العلمي والتعليمي في العراق ؛ إلا أنَّ تلك المناشدات ذهبت أدراج الرياح ؛ ولم تلق أذنا صاغية ؛ فقدّم استقالته مرغما بعد أنْ دوّنَ فيها الأسباب التي دعته إلى تقديم الآستقالة ؛ وهذا نّص الآستقالة التي قدّمها في ١٥/٩/١٩٣٥م [١٠] :

صاحب الفخامة رئيس الوزراء الموقر .

أرجو قبول استقالتي من عضوية مجلس الوزراء الموقر ؛ وذلك لأني حسبما اعتقد لم أعضد بكثير من الآراء والمقترحات التي سبق لي أن اقترحتها لشؤون المعارف ؛ ولاسيما عندما خاض المجلس في

---

[٩] ملاحق جريدة المدى اليومية – الشبيبي وزيرا ؛ نقلا عن الأنترنت

[١٠] المصدر السابق نفسه

قضـايا مـوظفي هـذه الـوزارة وارتـأى فـي هـذا الشـأن آراء تختلـف عمّـا ارتأيته من أكثر الوجوه ؛ وأنا أرى من الجائر أن يطول الأخذ والردّ في قضايا المعارف العامة ؛ وقضايا الموظفين خاصة ؛ ونحنُ على أبواب السنة الدراسية .

ولا بد لـي من القول بـأنني فاديتُ بكثير من آرائـي الخاصـة حبا بدوام الألفة ؛ ورغبة فـي تنظيم جهودنـا المشتركة في خدمـة البلاد في هذه الظروف العصيبة ؛ ولا استطيع أن أفعل أكثر مما فعلت ؛ هذا وأرجـو أن تقبلـوا يـا صـاحب الفخامـة فـائق الاعتبـار والاحتـرام مقرونـا بالدعوة الصالحة لكم ولزملائكم بالنجاح والتوفيق .

محمد رضا الشبيبي وزير المعارف

جمادى الثانية / ١٣٥٤هـ – ١٥ / أيلول / ١٩٣٥م

وعنـدما نقـف علـى واقـع العـراق فـي تلـك المرحلـة بعامـة وواقـع التربيـة والتعليم بخاصـة ؛ لنقرأ صـفحاتها ؛ نجد أنَّ الوضـع كـان مزريـا ؛ والشـعب متخلفا يعاني من الجهل والأمية ؛ بحكم أنَّ العراق يرزح تحت نير الاستعمار البريطـاني البغـيض الـذي كـان يتـدخل بشـؤون إدارة الدولـة بشـكل سـافر ومباشـر ؛ وذلـك عبـر رمـوزه التـي كانـت تتبـوأ مركـز السـلطة فـي إدارة دفـة الحكومـة العراقيـة ؛ هذا مـن جانـب ومـن جانـب آخـر هنـاك عدة نقاط مهمـة ساهمت في عدم تنفيذ ورقة العمل التي قدمها الشبيبي منها [١١] :

---

[١١] المصدر السابق نفسه

١ -قصر المدة التي قضاها الشيخ الشبيبي وزيرا للمعارف ؛ إذ لم تتجاوز الخمسة أشهر وثمانية وعشرين يوما .

٢ -عدم توافر الإمكانات المادية الضرورية ، لتنفيذ جميع مفردات ورقة العمل التي تقدم بها.

٣ -تأليف لجنة خاصة للبت في مشكلات وزارة المعارف في أثر استقالة مدير عام المعارف الأستاذ فهمي المدرس ؛ وذلك لتعارض آرائهِ وأفكاره مع آراء اللجنة بخصوص قضايا التربية والتعليم .

٤ -الاضطرابات المزمنة والدائمة التي استمرت طيلة وزارة الهاشمي ؛ فقد انتفض الجميع ضدها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وبدوافع شتى ولأسباب يعرفها الجميع .

والآن لنقف على أهم أهداف ورقة العمل الآنية والمستقبلية التي قدّمها السيد الوزير :

١ - رسم خطة واضحة ، للنهوض بالمستوى العلمي والتربوي للطلبة في مراحل الدراسة كافة .

٢ - تشجيع الروح الوطنية للطلبة ؛ وحثّهم على حبِّ الوطن ؛ والولاء له وحده ؛ والتضحية في سبيله ؛ لأنَّهُ واجبٌ مقدسٌ .

٣ - إعداد جيل واع ومثقف من الطلبة لإدارة البلاد في المستقبل مسلحين بالعلم والمعرفة والأخلاق الكريمة .

٤ - الاهتمام بالعلم ونشره في كل أنحاء العراق ؛ ومنها القرى والأرياف ؛ وقد سماه بالتعليم القروي ؛ والذي عرفت مدارسه فيما بعد بالمدارس الريفية ؛ وذلك للقضاء على الامية المتفشية فيها .

٥ - إرسال البعثات العلمية إلى خارج العراق في العلوم كافة ؛ لتعود متسلحة بالعلم والمعرفة لتقوم بخدمة العراق .

٦ - العمل على توفير الأعداد المطلوبة من المدرسين والمعلمين ؛ لسد النقص الحادّ في الثانويات والمدارس .

٧ - فتح ثانويات ومدارس ابتدائية جديدة ؛ لاستيعاب ، واستقطاب الشباب ؛ وإنقاذهم من الضياع ؛ وعدم تركهم سائبين في الطرقات والشوارع .

٨ - الاهتمام بالتعليم الصناعي ؛ لإعداد كوادر عمالية وسطية مهنية ومتعلمة تساعد على تطور الصناعات في العراق .

٩ - تأسيس ثانويات ومدارس مسائية لاستيعاب واستقطاب الشباب والموظفين الذين ليس لديهم الوقت الكافي ، للتعلم في المدارس النهارية ؛ وذلك من خلال قبولهم في الثانويات المسائية التي سمّاها بالثانويات الليلية ؛ علما أنَّ هذه النقطة تطورت لاحقا ؛ وعرفت فيما بعد بالدراسات المسائية ؛ وعمّت العراق كله من شماله إلى جنوبه ؛ حتى تطورت لتصل الآن إلى الجامعات العراقية .

١٠ -إعادة فتح مدرستي الهندسة والزراعة التي أغلقتهما الحكومة ؛ وهاتان المدرستان أصبحتا فيما بعد نواةً ناجحة لكليتي الهندسة والزراعة .

١١ -استقطاب أساتذة أجانب كفوئين لكليتي الطب والحقوق وسدّ حاجتهما من الأساتذة ؛ لأنهما تعانيان من نقص حادّ في كوادرهما التعليمية ؛ وكذلك لسدِّ النقص في الكوادر الطبية في المستشفيات والدوائر الحكومية المهمة .

١٢ -الاهتمام بالتربية فضلا عن التعليم ، لأنه كان يرى أن مدلول وزارة المعارف لا يدل على المضمون ؛ لذلك استبدل اسم الوزارة لاحقا من المعارف إلى وزارة التربية والتعليم ؛ ثم تطورت وانشطرت فأصبحت تدلّ على وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ؛ ووزارة التربية .

ثم أعيد استيزاره للمرة الثالثة في سنة ١٩٣٧م[١٢] في وزارة جميل المدفعي ؛ وقيل في عام ١٩٣٨م [١٣] وبقي فيها حتى سقوطها في ١٩٣٨/١٢/٢٥م .

وأُعيد استيزاره للمرة الرابعة في سنة ١٩٤١م في الوزارة التي شكلّها جميل المدفعي[١٤] واستمر فيها لمدة أربعة أشهر وأربعة أيام ؛ وهنا لابد لنا من معرفة عدد المدرسين في المتوسطات والاعداديات ؛ وعدد المعلمين في المدارس الابتدائية ؛ وأعداد الطلبة والتلاميذ في هذه المرحلة كان على النحو الآتي :

السنة	عدد المدرسين	عدد المعلمين
١٩٣٩م	٤٨٥	ليست هناك احصائية
١٩٤٠م	٤٧٣	٣٥٢٥
١٩٤١م	٤٣٥	٣٧٥٢
١٩٤٢م	٤٧١	٣٩٧٩
١٩٤٣م	٤٩٠	٤٣٤٠
١٩٤٤م	٥٣٩	ليست هناك احصائية

---

(١٢) تاريخ الوزارات العراقية : جـ ٥ / ٧

(١٣) مصادر الدراسة الأدبية : ٨٣٦

(١٤) المرجع السابق نفسه : جـ ٦ / ٦

أما عدد تلاميذ المدارس الإبتدائية في عموم العراق فكان على النحو الآتي :

في العام الدراسي ١٩٤١م –١٩٤٢م هو ٨٧٤٤٥ تلميذا وتلميذة .

وفي العام الدراسي ١٩٤٢م – ١٩٤٣م هو ٨٧٥٣٣ تلميذا وتلميذة .

حتى وصل عدد تلاميذ المدارس الابتدائية في سنة ١٩٤٩م إلى ١٦٩٨٦٨ .

وفي عام ١٩٥٠م وصل عدد التلاميذ إلى ١٨٠٧٧٩ .

وتؤشر أعداد المدرسين والمعلمين والطلبة والتلاميذ في المدارس الابتدائية والثانويات مع قلة عدد المدارس الابتدائية والثانوية إلى حالة تفشي الجهل والتخلف ؛ وانتشار الأمية في صفوف العراقيين بشكل مخيف ؛ مما يدلّ على الإهمال الكبير الذي كان يلقاه العراقيون من الحكومات الحاكمة والمتسلطة على رقابهم ، وهذه الظاهرة أشرت على ضياع البلد ، وجعله يسبح في مستنقع الجهل والتخلف ، ليتسنى للاستعمار ، وأذنابه سرقة موارده وخيراته ، إذ يمكننا أنْ نقدر نسبة المتعلمين في العراق في هذه المرحلة ؛ بأنَّها لا تتجاوز ٣٪ .

في عام ١٩٤٧م أُعيد استيزاره وزيرا للمعارف للمرة الخامسة في الوزارة التي شكلها محمد الصدر [١٥] ، ولكن الحسني في تاريخ الوزارات العراقية أشر استيزاره في سنة ١٩٤٨م [١٦] .

---

[١٥] مصادر الدراسة الأدبية : ٨٣٦

[١٦] تاريخ الوزارات العراقية : جـ ٧ /٢٧٨

الشبيبي وجهوده الأدبية الأخرى

لما كان الشيخ محمد رضا الشبيبي موسوعي العلم والمعلومات ؛ لذا لم يقتصر دوره على قول الشعر ونظمه ؛ وإدارة دفة وزارة المعارف ؛ والعمل السياسي في مجلس الأعيان ومجلس النواب ؛ بل كانت له اهتمامات أدبية متعددة ومتنوعة ؛ ففي عام ١٩٣٢م تم تأسيس جمعية ثقافية من قبل مجموعة من أدباء النجف ومثقفيه تحت عنوان ((منتدى النشر)) [١٧] ؛ وكان الشبيبي هو من تبنّى فكرة تأسيسها وإخراجها إلى النور ؛ ليكون الرئة النقية التي يتنفس من خلالها الشعراء والأدباء والكتاب ؛ وفعلا قدّم هذا المنتدى خدمة كبيرة للثقافة والأدب [١٨] ؛ وقبل تأسيس منتدى القلم كان مشجعا للـ (الرابطة العلمية الأدبية)) التي سبقت منتدى النشر بالظهور بثلاث سنوات ، وقد أهداها مجموعةً قيِّمةً من الكتب تشجيعا لها ، ولتكون الكتب في متناول أيدي القُّراء ؛ وكانت هذه هي أول هدية ثقافية تتلقاها الرابطة ؛ وبالمقابل قامت الرابطة برد الجميل للشيخ محمد رضا الشبيبي فطبعت ديوان شعره ؛ كما أكد ذلك الأستاذ محمود الحبوبي أحد مؤسسي الرابطة [١٩] .

وعندما بدأت بواكير التفكير الأولى للظهور في تأسيس مجمع علمي عراقي ؛ كانت الأولى بينها محاولة السيِّد ثابت عبد النور في بغداد سنة

---

[١٧] دليل النجف الأشرف : ١٠٢

[١٨] الشبيبي رائد النهضة الأدبية في العراق : مجلة النجف : العدد ذ ١٦ الصفحة ٦

[١٩] رجال عاصروا الشبيبي : جريدة المنار العدد ٣٥٧٣ لسنة ١٩٦٦

١٩٢١ [٢٠] مع كوكبة من الأدباء والمثقفين مكونين هيئة تتألف من خمسة عشر عضوا كان الشبيبي واحدا منهم مع أخيه محمد جعفر الشبيبي [٢١] .

في سنة ١٩٣٤م تقدّم الشيخ محمد رضا الشبيبي مع مجموعة من الشعراء والأدباء والمثقفين وحملة الأقلام ؛ ومنهم أخوه محمد باقر الشبيبي ؛ فضلا عن الشاعر علي الشرقي ؛ والأديب الصحفي روفائيل بطي ؛ وإبراهيم حلمي العمر ؛ والمحامي عباس العزاوي ؛ وفاضل الجمالي [٢٢] لتأسيس نادي ((القلم العراقي)) ؛ وعندما تمت الموافقة ؛ اختاروا من بينهم الشاعر المعروف جميل صدقي الزهاوي ؛ ليكون أول رئيسٍ للنادي [٢٣] ، وبعد وفاة الشاعر الزهاوي تم انتخاب الشيخ محمد رضا الشبيبي رئيسا للنادي ؛ وبقي في منصبه مدة عشرين سنة [٢٤] .

وفي سنة ١٩٤٧م خرج إلى النور المجمع العلمي العراقي ؛ وتكحلت به عيون من ساهم في تأسيسه وشارك ؛ وذلك حينما ألفّت وزارة المعارف هيئة قوامها أربعة من كبار رجال العلم والفكر في العراق حينذاك ؛ لتختار من تراهُ مؤهلا فكريا وعلميا لعضوية المجمع ؛ والجدير بالذكر أنَّ الشبيبي كان رئيسا للهيئة [٢٥] ؛ وبعد اكتمال عدد الأعضاء ؛ اختاروا من بينهم

---

[٢٠] المجمع العلمي العراقي ٣١

[٢١] المجمع العلمي العراقي : ٣٢

[٢٢] مجموعة نادي القلم العراقي : المجموعة الأولى : ٣٠٩

[٢٣] المصدر السابق نفسه : ٧

[٢٤] الترجمة الذاتية : الورقة السادسة عشرة

[٢٥] المجمع العلمي العراقي : ٤٤

الشيخ محمد رضا الشبيبي ؛ ليكون أول رئيسٍ للمجمع العلمي العراقي [٢٦] ؛ ولكن الشبيبي بعد فترة قصيرة ؛ وفي سنة ١٩٤٨ على وجه التحديد تخلّى عن رئاسة المجمع العلمي ؛ وذلك لوجود فقرة في قانون التأسيس لا تسمح بالجمع بين وظيفتين ؛ إذ كان الشيخ الشبيبي في حينها عضوا في مجلس النواب العراقي [٢٧] ؛ وبعد مدة حُلَّ مجلس المجمع العلمي العراقي ؛ وصدر قانون جديد ينظم أعماله ؛ وتم اختيار لجنة تكونت من عشرة أعضاء ؛ اختارت خمسة أعضاء آخرين معها ؛ ليكونوا أعضاءً في مجلس المجمع ؛ وكان الشيخ الشبيبي في مقدمة هؤلاء الأعضاء ؛ الذين أعادوا انتخابه رئيسا للمجمع العلمي العراقي على الرغم من معارضته الشديدة ؛ وعدم موافقته إلا أنّه رضخ للأمر الواقع أمام إصرار الأعضاء على انتخابه ؛ فقبل برئاسة المجمع العلمي العراقي تلبية لرغباتهم [٢٨] .

وخلال مرحلة ترؤس الشيخ محمد رضا الشبيبي للمجمع العلمي العراقي حقق عدة منجزات مهمة ؛ وقدّم للمجمع خدمات كبيرة منها ما يأتي :

١ – إنشاء مكتبة المجمع العراقي العامة ؛ وهي اليوم صرح علمي كبير الشأن يفيد مما في خزانتها من الكتب العلمية القيِّمة ؛ طلبة الدراسات العليا والباحثون والمثقفون .

---

[٢٦] المجمع العلمي العراقي : ٤٤ ؛ إلا أنَّ المصادر الأدبية قالت : أنَّهُ تم انتخابه رئيسا للمجمع العراقي في سنة ١٩٤٥ : ١٥ ؛ وهذا وهم طباعي من المؤلف أو خطأ طباعي .

[٢٧] المجمع العلمي العراقي : ٤٥

[٢٨] الترجمة الذاتية : الورقة السابعة عشرة

٢ – إصدار مجلة المجمع العلمي العراقي ؛ وهي مجلة علمية ثقافية تعنى ببحوث أساتذة الجامعات ؛ والباحثين من داخل العراق وخارجه ؛ والمجلة معتمدة علميا للترقيات العلمية في الجامعات العراقية والعربية والعالمية .

٣ – شراء مئات الكتب الصادرة في العراق وخارجه ؛ وإيداعها في مكتبة المجمع ؛ تشجيعا للحركة الثقافية ؛ ولتعزيز قدرة المكتبة على توفير المصادر والمراجع لطلبة العلم ولاسيما طلبة الدراسات العليا والباحثين من أساتذة الجامعات .

٤ – فتح سجلا ؛ لتدوين جميع صرفيات المجمع مع ذكر تفاصيلها .

٥ – أنشأ شعبة فنية تهتم بصيانة أجهزة المجمع العلمي من أدوات الطبع والنسخ والتصوير وغيرها .

٦ – مدّ يد العون لأساتذة الجامعات والباحثين ومساعدتهم على نشر بحوثهم وطباعة نتاجاتهم العلمية والأدبية والتحقيقة ونشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي .

٧ – جلب وشراء العشرات من المخطوطات القيِّمة ؛ فضلا عن تصوير مئات المخطوطات الأخرى ونسخها التي تعذر شراؤها .

٨ – منح جوائز ومكافات تشجيعية للطلبة الأوائل والمتفوقين علميا في جامعة بغداد .

٩ – مدّ جسور التعاون مع المؤسسات الثقافية في داخل العراق وخارجه .

١٠ –فضلا عن ترؤسه عدة لجان داخل المجمع العراقي لخدمة الثقافة العراقية .

١١ –توجيه الدعوات للمجامع العلمية العربية لزيارة المجمع العلمي العراقي ؛ للتشاور وتبادل الآراء والأفكار ؛ لتطوير المجمع العلمي العراقي منها مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي كان الشيخ الشبيبي أحد أعضائه ؛ وفعلا عقدت الجلسة الثانية والثلاثون في بغداد ، وذلك لتوثيق الروابط الثقافية بين المجمعات العربية [٢٩] .

وأخيرا قدم استقالته من رئاسة المجمع العلمي في ١٥/١١/١٩٦٥ لأسباب خاصة كما ذكر هو في نص استقالته ؛ إلا أنَّ الحقيقة هي تدخل الحكومة في الشؤون الداخلية للمجمع العلمي العراقي [٣٠] .

ولابد من الإشارة إلى أنَّ الشيخ محمد رضا الشبيبي ؛ وقبل ذلك كان عضوا مراسلا في المجمع العلمي العربي السوري منذ سنة ١٩٢٣م [٣١] ؛ كما كان عضوا فاعلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ قبوله عضوا في سنة ١٩٤٨م [٣٢] ؛ وفي حضوره الأول في جلسة مجمع اللغة العربية في القاهرة ؛ ألقى الأستاذ الأديب الكبير عباس محمود العقاد كلمة ترحيبية

---

[٢٩] زكي المهندس نائب رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة في كلمة القاها في افتتاح الجلسة العلنية (جلسة تأبين الشيخ محمد رضا الشبيبي) في ٣ / آذار / ١٩٦٦ / الورقة الثانية .

[٣٠] محضر الجلسة السابعة عشرة / كانون الثاني من عام ١٩٦٥م .

[٣١] مجلة مجمع اللغة العربية : المجلد ٣ / ٢ ؛ المجمع العلمي العراقي : ٥٠

[٣٢] صدر بذلك مرسوم يقضي بتعيينه عضوا ؛ المنشور في المجلد السابع من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٥٣م : ٣٨١ ؛ وكذلك تم نشره من قبل محمد علام وآخرون في المجمعيون : ١٧٥

بالشيخ محمد رضا الشبيبي قال فيها [٣٣] : (صاحب المعالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي الذي نستقبله اليوم عضوا عاملا في مجامع العلم والأدب ؛ يصحُ أنْ يقالَ فيه أنَّهُ يدخل هذا المجمع من أكثر من باب واحد ؛ لأنه شاعر ناقد ؛ باحث لغوي ؛ ناشر للعلم واللغة ؛ معني بآثار اللغة قديمها وحديثها) ؛ وكان مجمع اللغة العربية في القاهرة قد كرّم الشيخ محمد رضا ألشبيبي وذلك عبر منحه شهادة الدكتوراه الفخرية تقديرا لجهوده في اللغة العربية والدراسات الإسلامية [٣٤] .

المصادر :

-بداية التعليم في العراق الملكي – المرحلة الثالثة من التعليم في العراق ؛ فاخر الداغري ؛ جريدة الصباح ٦/٢٥/ ٢٠١٣م .

-تاريخ الوزارات العراقية – عبدالرزاق الحسني ؛ مطبعة العرفان ؛ صيدا ؛ ١٩٥٣ – ١٩٥٥ .

-ترجمته الذاتية – مخطوطة كتبها الأستاذ قصي سالم علوان في سبع عشرة ورقة مطبوعة بالألة الكاتبة ؛ وقد حصل على المعلومات من ذوي الشيخ محمد جواد الشبيبي .

---

[٣٣] مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما – المجمعيون : ١٧٥

[٣٤] تقويم جامعة القاهرة لسنة ١٩٥٤ – ١٩٥٥ : ٢٧٥

-دليل النجف الأشرف – عبدالهادي الفضلي ؛ مطبعة الآداب ؛ النجف الأشرف ؛ (د.ت).

-رجال عاصروا الشبيبي يتحدثون – تحقيق كتبه الأستاذ خالد الحلي في جريدة المنار العدد ٣٥٧٣ ؛ تشرين الثاني لسنة ١٩٦٦م .

-الشبيبي رائد النهضة الأدبية في العراق – بحث نشر في مجلة النجف العدد ١٦ لشهر تشرين الثاني لسنة ١٩٥٧م .

-مجلة الفكر – مجلد ١ ؛ العدد الثالث ؛ أيلول ١٩٥٨

-مجلة المجمع العلمي العراقي في بغداد .

-مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة .

-المجمع العلمي العراقي – نشأته ؛ أعضاؤه ؛ إعماله ؛ : عبدالله الجبوري ؛ مطبعة العاني ؛ بغداد ؛ ١٩٦٥م .

-مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما – (المجمعيون) – الدكتور محمد مهدي علام وآخرون ؛ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ؛ القاهرة ١٩٦٦م .

-مصادر الدراسة الأدبية – الطبعة الألفية – الأستاذ يوسف أسعد داغر ؛ مكتبة لبنان ناشرون ؛ ط ١ ؛ ٢٠٠٠م .

-ملاحق جريدة المدى اليومية – الشبيبي وزيرا ؛ نقلا عن الأنترنت .

-مجموعة نادي القلم العراقي (المجموعة الأولى) : نادي القلم العراقي ؛ مطبعة الجزيرة ؛ بغداد ؛ ١٩٣٨م .

-ملف الوزارات العراقية من البداية الى النهاية – منتديات بوابة العراق ؛ نت

الأصمعيّ وذو الرُّمة
رؤيـة ونقد

الأستاذ المتمرس الدكتور

سحاب محمّد الأسديّ

قسم اللغة العربية – كلية الآداب

جامعة بغداد

الملخص :

هذا بحث تتبعت فيه ، طبيعة الاداء اللغوي الذي برع فيـه الشاعر ذو الرُّمـة ، وهـو ينسـج شـعره ، نسـجا فنيـا متقنـا ، ركيزتـه لغـة شـعرية أجـاد الشاعر التعامل مع تراكيبها وعباراتها ، عبر معالجة مميزة ، تمكن بها من اتقان صنعة لغته الشعرية وإحكام نسجها ، باسلوب فني مترعٍ بألق الجمال وصـور البلاغـة والفصـاحة والبيـان ، وقـد كانـت لـه رؤيتـه الخاصـة فـي استعمالاته اللغويـة ، وهـي رؤيـة أثـارت حفيظـة بعض اللغويين والنقـاد ، إعجابـا او إنكـارا وهـذا مـا سيفصح عنـه البحـث ، بتنـاول يركـز فيـه علـى موقف الأصمعيّ من طبيعة الاداء اللغوي ، الذي اقام عليه ذو الرُّمـة بنـاءه الشعري ، عبر نـهج فنـي تميز بـه ، ابداعا واتقانا واجادة .

المقدمـة :

فهذا بحث تتبعت فيه ، بعض معالم الابداع اللغوي ، لدى شاعر بارع ، مميز بأدائه الفني ، لنسيج شعره ، المترع بألق الجمال ، وصور البلاغة والبيان والفصاحة ؛ لأنه بناء شعري متقن ، ركيزته لغة شعرية ، برع الشاعر في اتقان صنعتها وإحكام نسجها ، عبر إسلوب فني ، تناسقت عباراته وتآلفت تراكيبه ، على وفق نظام بنائي ، تجلّت فيه بوضوح عناصر الجمال ومقومات الابداع ، أفصح فيها ذو الرُّمة عن اقتدار تخيلي واسع ، منحه القدرة على التصرف بصياغاته الشعرية ، عبر تمكن لغوي ، أتاح له جعل الفاظ لغته طوع استعماله ، بما نسجه من بناء شعري أثار حفيظة بعض اللغويين والنقاد ، إعجابا او إنكارا .

وقبل الدخول في تفصيلات البحث ، أودُّ إيضاح ما يتصل بعنوانه على وجه الايجاز ، فالعنوان يزينه اسمان لعلمين كبيرين معروفين ، أطبقتْ شهرتهما الآفاق ، بما حظيا به من مكانة رفيعة ومنزلة سامية في مسار حركة التراث العربي ، فالأصمعي فارس لغة العرب وأحد رواة الشعر وشراحه البارزين , عالم البصرة ، المميز بحب اللغة العربية والذوبان في عوالمها ومجاهلها إجلالا وتقديسا ، وذو الرُّمة فارس ميدان الشعر والعاشق المتيم ، ابن البادية الذائب في فلواتها وفيافيها ؛ لأنها موطن حبه وموهبته ، تلك الموهبة التي سما بها صاحبها الى أرفع الدرجات ؛ ليكون شاعرا فحلا ، بما أبدع وأجاد ، وقد شهدتْ البصرة له بفيضٍ من إبداعه ، حين كان يتردد كثيرا

عليها ، وينشد أشعاره في ربوعها ومربدها ، فالبحث يتناول موقف فارس من فارس ومبدع من مبدع ، أحاول فيه معرفة ذلك الموقف وبيان الرأي فيما ترد من آراء وأفكار ونظرات ، عبر قراءة متأنية ناقدة آمل أنْ أوفق فيها إلى ما أصبو اليه .

وأشير إلى أنَّ عنوان البحث يحتم عليَّ الاسترسال في عرض مادته من غير تقسيمه على عنوانات فرعية .

كان أبو عمرو بن العلاء – شيخ الرواة العلماء – استاذ الأصمعي تلقى على يديه معارفه اللغوية ، وأخذ عنه رواية الشعر العربي ، فلابد من أنْ يتأثر الأصمعي التلميذ باستاذه ويكون متابعا له في كثير من آرائه ومواقفه ونظراته ، وتلك ظاهرة طبيعية ؛ لكثرة ملازمته إيّاه ومجالسته ، والأخذ عنه والسماع منه ، وسنقصر حديثنا في هذا الصدد على ما له صلة بالشاعر ذي الرُّمة ، وكيف نظر الاثنان الى شاعريته وشعره وطبيعة المواقف التي ألقت بظلالها على موقفهما منه، مع أنَّ البحث معنيٌّ – على وجه الدقة – بموقف الأصمعي ، ولكن تبقى بنا حاجة إلى أنْ نقرن هذا الموقف بموقف أبي عمرو لارتباطهما معا ؛ ولوضوح التشابه بينهما وأثر موقف الأستاذ بما نتج عن موقف تلميذه .

ومما لاشك فيه أنَّ أبا عمرو بن العلاء واحد من أبرز رواة الشعر العربي ، بل هو شيخهم ، وهو من اللغويين والنقاد البارزين الذين كان لهم جهدهم المميز في رواية الشعر ونقده وفي تتبع إبداعات الشعراء وتمييز مستويات إجادتهم في فن القول ؛ لانزالهم منازلهم التي يستحقونها عبر لفتات ناقدة باحكام منها ما تكون بإشارات عابرة ، ناتجة عن موقف انفعالي تتولد

عنه انطباعات آنية ، قد تكون مع الشاعر أو تكون ضده ، ومنها ما تكون أحكام مبنية على نظرات نقدية فاحصة متأنية ، وقد استوقفت شاعرية ذي الرُّمة ابا عمرو بن العلاء ، فآثر أنْ يقول فيها ما بدا له وعلى وفق رؤيته ونظرته ، ومن ذلك ما رواه عنه ابن سلاّم ، وهو يتحدث عن ذي الرُّمة ، قائلا (كان أبو عمرو بن العلاء يقول : إنما شعره نقط عروس تضمحل عن قليل ، وأبعار ظباء لها مشم في أول شمها ثم تعود الى أرواح البعر).[١]

ويتوقف الأصمعي عند قول أبي عمرو مفسرا مضمونه ، بقوله : (إنَّ شعر ذي الرُّمة حلو أول ما تسمعه، فاذا كَثُرَ إنشاده ضعف، ولم يكن له حسن ؛ لأنَّ أبعار الظباء أول ما تشم توجد لها رائحة ما أكلت الظباء من الشيح والقيصوم والجثجاث والنبت الطيب الريح ، فاذا أدمتَ شمه ذهبتْ تلك الرائحة، ونقط العروس اذا غسلتها ذهبت) [٢] ولابد من وقفة يسيره عند هذا الذي قاله أبو عمرو بحق شعر ذي الرُّمة ، وأردفه الأصمعي بتفسير يستدُّل منه على أنَّ شعر ذي الرُّمة (غير خصب ولا قوي ولا عميق الأثر في النفس ، وإنما هو كالشيء البراق يعطي دفعة واحدة كل ما له من رواء)[٣].

وهنا ينبغي التثبت من حقيقة ما ورد في قول أبي عمرو ، فلا يمكن إعمامه على شعر ذي الرُّمة كله ، ولا يصحّ مثل هذا الإعمام ، فمن غير

---

[١] طبقات فحول الشعراء ٥٥١/٢ ، وينظر الاغاني ٦٧٤٩/١٩-٦٧٥٠ ، الموشح /٢٢٣-٢٢٤ ، خزانة الأدب ١٠٨/١ .

[٢] الموشح /٢٢٤ وقد تابع المبرد إيضاح ما عناه أبو عمرو في قوله ، فذهب فيه مذهب الأصمعي ، ينظر خزانة الأدب ١٠٨/١ .

[٣] الموشح ، مقدمة المحقق / و

المعقول أنَّ أبا عمرو وقف على كل ما قاله ذو الرُّمة من شعر ، وهو كمٌّ كثير ، ليصدر عنه مثل ذلك الحكم بحق شعره كله فمن الجائز أنَّ الرجل في تلك اللحظة عرض عليه بعض شعر ذي الرُّمة ، فقال فيه ما قال ، ومع ذلك ففي قوله ما يدلُّ على استحسانه لذلك الشعر ، ولكنه استحسان مقيد بلحظة إنشاده وسماعه ، أي أنَّ بهاءه شيء عارض فيه سرعان ما يزول عنه بتوالي إنشاده (وما هكذا شعر ذي الرُّمة ، فبقاؤه خلال الأجيال المتعاقبة ، بما فيه من الغناء المترع بالاحساس الانساني والتصوير النابض بالحياة وتدفق الأشواق واللهفات التي لا تزال حارة تحمل حبه وحزنه وفرحه ، وتصور ولعه الملتهب بالطبيعة حوله ، كل هذه وغيرها دليل قوي على أصالة شعره وقوة تأثيره وبقائه يدحض تلك الاقوال التي لا بد أنّ بواعثها تكمن خارج النقد الأدبي الخالص المحايد)[٤] ، وتلك المصادر التي ذكرت قول أبي عمرو ، لم يرد فيها ما يعين على تلمس أي باعث يرتبط به قوله الذي لم ينصف به ذا الرُّمة ؛ لأنه لا ينسجم ومستوى استحقاق شاعريته ، ولكن البحث وقف على ما قد يعين في تلمس أمر ذي صلة بموقف أبي عمرو من ذي الرُّمة، وما يرتبط بهذا الأمر من الإشارة إلى ما يتمتع به ذو الرُّمة من نفاذ بصيرة بصحيح اللغة ، وفصيحها ، وعدم تردده في رفض ما يراه مخالفا للصواب ، أو يسكت عن خطأ أيّا كان مصدره ، فهو (لم يرض ما ارتضاه مرة شيخ الرواة أبو عمرو بن العلاء من المراء في الرواية والسكوت عن الخطأ رهبةً ، أو رغبةً)[٥]. ومن هذا القبيل ما رُوِيَ أنّ ذا

---

[٤] الشعراء نقادا /٢١٥ .

[٥] ديوان ذي الرُّمة ، مقدمة المحقق ٢٩/١ .

الرُّمة كان في مجلس بلال بن أبي بردة وسمعه ينشد بيتين لحاتم الطائي ، جاء في أحدهما قوله (يرى الخمس تعذيبا) ؛ فصحح ذو الرُّمة (يرى الخمص تعذيبا) لأنه من خمص البطون، والخمس للإبل ، فردّ عليه بلال هكذا أنشده رواة طيِّيّء ، وقد تنازع الاثنان في الكلام ، وتماديا في المماحكة ، فدخل عليهما أبو عمرو بن العلاء ، فسأله بلال عن الصواب ، فعرف أبو عمرو الذي به ، فقال كلا الوجهين ، وحين سأله عن الأخذ عن ذي الرُّمة ، قال هو فصيح ونأخذ عنه بتمريض ، وبعد أن خرج الاثنان من عند بلال ، قال ذو الرُّمة لأبي عمرو : (والله لولا أني أعلمك حطبت في حبله وملت في هواه ، لهجوتك هجاء لا يقعد إليك معه اثنان) .[٦]

وما من شك في أنّ هذا الموقف الذي وقفه أبو عمرو من ذي الرُّمة وردة فعله الغاضبة عليه ، حين هدده بهجاءٍ شديدٍ ، لا بد من أن يكون له أثر بيِّن في مجرى العلاقة بين الاثنين ، ولا سيما نظرة أبي عمرو لذي الرُّمة ، وقد يكون أول حكم نقدي قاله ابو عمرو في شاعرية ذي الرُّمة نتيجة طبيعية لمثل ذلك الموقف ، وهو يعبر عن رؤيته النقدية في شعر ذي الرُّمة بحكم لا يخلو من التحامل والغضب على ذي الرُّمة ، واصفا شعره بنقط عروس سرعان ما تزول ، وأبعار ظباء تشم منها رائحة طيبة في أول شمها ما دامت رطبة ، وتزول عنها حين تجف ، ويبدو أنّ تحامل أبي عمرو

---

[٦] طبقات فحول الشعراء ٢/٥٦٩-٥٧٠ وينظر الاغاني ١٩/٦٧٧٤-٦٧٧٥ . تمريض الشئ : توهينه ، يقول نأخذ عنه على ضعف نعرفه فيه وبعد عن الصواب ، ولم ينصف ابو عمرو ذا الرُّمة ، وهو من هو في (احاطته بلغة العرب ومعانيها ، وفضل معرفته باغراضها ومراميها) ، معجم الأدباء ٣/١٤ .

وغضبه على ذي الرُّمة ، امتدت آثارهما إلى الأصمعي ، فوقف منه الموقف نفسه ، حين أيد ما ذهب إليه أبو عمرو معلّقا ومفسرا ، كما مرّ قبل قليل ، ولم يكن أبو عمرو والأصمعي منصفين فيما قالا بحق ذي الرُّمة ومن يدري لعل أبا عمرو شعر بتجنيه وتحامله على ذي الرُّمة ، فيما وصف به شعره ، فأراد تصحيح الموقف بكلمة حق ينصف بها ذا الرُّمة ، وينزله المنزلة اللائقة به عن استحقاق وجدارة ، حين جعل ختام الشعر به عند ما قال : (إنّ الشعر فُتِحَ بامرىء القيس وخُتِمَ بذي الرُّمة)[٧] . ولهذا القول دلالته ومغزاه ، وهو يصدر عن أبي عمرو ، فيعني في جملة ما يعنيه أنّ امرأ القيس أول الفحول من الشعراء ، وهو الذي مهد لهم سبل السير في شعاب الشعر وطرقه ومسالكه ، وكان دليلهم الى ارتياد عوالمه واقتحام مجاهله ، فيما ابتدع من صوره ومعانيه واخترع من أبنيته ودلالاته ؛ ليفتح للآخرين مغاليق الإبداع فيه ، ليأخذ اللاحق ممن سبقه ، ويضيف اليه ما يؤكد به تميز شخصيته الفنية ، وتفرد قدراته الابداعية ، ليتواصل مسار الابداع والتألق والاجادة والفن ، حتى ينتهي في محطة من محطاته عند الشاعر ذي الرُّمة ليكون آخر الفحول من الشعراء ، على وفق رؤية أبي عمرو وحصيلة نظرته الى الشعر والشعراء ، تلك النظرة المبنية على خبرة ودراية اكتسبها من اتساع نطاق روايته للشعر ، وكثرة مروياته عن الشعراء ، وما بذله من جهد كبير في تتبع أخبارهم ورواية أشعارهم ، وقد روى أبو الفرج عن أبي عمرو ، ما يؤكد رواية الجاحظ له عن افتتاح الشعر بامرىء القيس واختتامه بذي

---

[٧] البيان والتبيين ٨٤/٤

الرُّمة ، اذ قال أبو عمرو (ختم الشعر بذي الرُّمة)[٨] ولا شك في أنه يعني بذلك الجزالة والجودة والمتانة ، فمن يقرأ شعر ذي الرُّمة قراءة دقيقة متأنية ، يقف في كل مرة على ملمح ابداعي ، يضاعف متعته ويجلي أمامه ما في صوره الشعرية من طرافة وحسن وثراء تحيل الى معنى جميل وتشبيه بديع وخيال خصب، بما يوحي بمشهد حي ، تتحرك فيه الأشياء بخفة ورشاقة .

ومثلما استوقفت شاعرية ذي الرُّمة أبا عمرو استوقفت الأصمعي ، فأدلى دلوه في مساراتها باجتهادات ، منها ما حالفه الصواب فيها ، ومنها ما كانت غير ذلك ، وسأحاول استجلاء حقيقة موقف الأصمعي ، عبر عرض لما أمكن الوقوف عنده من آراء وأحكام وتصويبات صدرت عنه بحق ذي الرُّمة وشعره .

وأبدأ من حيث بدأتُ وقفتي مع أبي عمرو ، بقوله الذي شبّه فيه شعر ذي الرُّمة بنقط عروس وابعار ظباء ، فراح الأصمعي يتابع أبا عمرو فيما قال معللا ومفسرا ومستزيدا في تفصيل وصفه ، مؤيدا ما ذهب اليه ، مجسدا الموقف نفسه الذي وقفه أبو عمرو في رأيه بشعر ذي الرُّمة ، مرددا بعض عباراته في تشبيه شعر ذي الرُّمة بأبعار الظباء التي تزول رائحتها بعد حين ، ونقط العروس التي تختفي حين تُغسل ، وقد مرت الإشارة إلى قول أبي عمرو وقول الأصمعي في تفسير مضمونه ، ولا يخلو موقف الأصمعي مع ذي الرُّمة من تحامل وتعصب ، فكان – كما سنرى – كثير الأخذ عليه والاعتراض على معانيه ، وقد لاحظ ذلك من تتبع آراءه النقدية التي خصّ

---

[٨] الاغاني ٦٧٤٣/١٩ .

بها ذا الرُّمة[٩] ، وتبين (أنّ نقد الأصمعي لم يكن كله نزيها ، بل كان الرجل في بعض آرائه مدفوعا بعوامل شخصية مذهبية وغير مذهبية)[١٠].

وقبل أن أقف عند رؤية الأصمعي النقدية لمنزلة ذي الرُّمة بين الشعراء ونظرته إلى شعره ، ستكون لي وقفة متأنية عند عدد من أقوال ذي الرُّمة التي رأى فيها الأصمعي عيبا في اللفظ أو المعنى أو الدلالة اللغوية أو الوصف وما سواها ، وسنرى إن كان محقا فيها أو مجانبا الصواب .

ونبدأ بما يؤكد تأثر الأصمعي بمواقف استاذه أبي عمرو بن العلاء الذي ظلّ واقعا تحت سطوته ، متأثرا بتشدده وتعصبه ودقته فهو (كان يتابع استاذه أبا عمرو بن العلاء متابعة شديدة ، فهو يقبل ما قبله ويرفض ما يرفضه ، وهو رأس المدرسة البصرية الذي لا يطاله الشك، لهذا يعتمد منهج الأصمعي على رواية هذه المدرسة ويتعصب لها)[١١] ، ويروى بهذا الصدد أنّ أبا عمرو بن العلاء خطّأ ذا الرُّمة في قوله :

حراجيجَ ما تنفكُّ إلاّ مُناخَةً   على الخَسفِ أو نَرمي بها بَلَدا قَفرا[١٢]

لأنه أدخل (إلاّ) بعد (ما تنفك) وهذا غير جائز ، فتابع الأصمعي أبا عمرو في ذلك ، معترضا على عدم جواز اجتماع (ما) للجحد و(إلاّ)

---

[٩] ينظر التنبيهات /٢٤٧ ، بقية التنبيهات /٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، معجم الأدباء ١٥/٣ ، النقد اللغوي عند العرب /١١١ ، ١٨٣ .

[١٠] النقد اللغوي عند العرب /١١١ .

[١١] الأصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي /١٧٠ .

[١٢] ديوان ذي الرُّمة ١٤١٩/٣ . حراجيج : أبل ضُمّر ، الخسف : الجوع .

للتحقيق ، غير أنّ من النحويين من وجه تخريج القول توجيها آخر لم يكن فيه ذو الرُّمة مخطئا ؛ لأنهم ذهبوا إلى تقدير التمام في (تنفك) ونصب (مناخة) على الحال ، فالمعنى الذي يكون عليه قول ذي الرُّمة ، أنّ تلك الابل لا تنفصل من بلد إلى بلد عن جهد ومشقة إلا في حالة اناختها ، اي انتقالها من شدة إلى شدة .[١٣]

ونقل ابن منظور أنّ الجوهري أنشد قول ذي الرُّمة، وعلّق عليه أن الشاعر يريد ما تنفك مناخة فزاد (إلاّ) ، واشار إلى قول ابن بري في نصب (مناخة) على الحال[١٤] ، وقد عاب الأصمعي ذا الرُّمة على ما ورد في قوله:

أقولُ للركبِ لمّا أعرضَتْ أُصلا　　　أدمانةٌ لم تُربِّيها الأَجاليدُ[١٥]

لأنه قال للظبية (ادمانة) وهي واحدة ، والأدمان جمع آدم مثل حمران جمع أحمر وسودان جمع أسود[١٦] ، ومثل هذا الجمع لا تدخله الهاء ، وقد رُدّ هذا على الأصمعي ، فاشار غيره الى أن ادمانة وأدمان مثل خُمصانة وخمصان ، فجعله مفردا لا جمعا ، وبهذا يصحّ قول ذي الرُّمة[١٧]، وقد أكد ابن منظور عن غير الأصمعي صواب قول ذي الرُّمة[١٨].

---

[١٣] ينظر الموشح /٢٣٦-٢٣٧ ، ديوان ذي الرُّمة ١٤١٩/٣-١٤٢٠ الهامش .

[١٤] ينظر لسان العرب / فكك .

[١٥] ديوان ذي الرُّمة ١٣٥٨/٢ .

[١٦] المصدر نفسه ١٣٥٨/٢-١٣٥٩ الهامش .

[١٧] المصدر نفسه ١٣٤٠/٢ الهامش .

[١٨] ينظر لسان العرب ، أدم .

ونتابع القول في مآخذ الأصمعي على ذي الرُّمة ، ونقف عند رواية لأبي حاتم، تلميذ الأصمعي ، حين كان يتحدّث له في أحد مجالسه معه فقال (قلت للأصمعي : يقال للرجل زوج وللمرأة زوج ، ومن أهل الحجاز من يقول زوجة وفلانة زوجة فلان، ورأيت الأصمعي ، كأنه انكره ، فأنشدته قول ذي الرُّمة :

أذو زوجةٍ بالمصر أم ذو خصومةٍ   أراكَ لها بالبصرة العامَ ثاويا[١٩]

فقال : ذو الرُّمة طالما أكل المالح والبقل في حوانيت البقالين) [٢٠]، وأراد الأصمعي في قوله أن ذا الرُّمة تخلّى عن تقاليد بدويته التي نشأ وترعرع في أحضانها والتي كانت سببا في أن يعد الأصمعي شعره صالحا للاحتجاج به .

إنّ ما انكره الأصمعي على ذي الرُّمة ، هو تأنيثه للفظة زوج ومثل هذا الاستعمال يرفضه ولا يقبل به ، وقبل أن نتبين حقيقة الأمر من جواز الحاق التأنيث بلفظة زوج ، لأنه ورد عند غير ذي الرُّمة ، نقول من الجائز أن يكون ذو الرُّمة حاكى في قوله ما ورد على لسان عجوز مرّ بها ، حين قدم على بلال بن أبي برده والي البصرة ، فظل يتردد ، محاولا أن يبتدىء قصيدة في مدحه ، فعزّ عليه ذلك ، وكان يروح ويغدو كثيرا على مقربة من

---

[١٩] ديوان ذي الرُّمة ١٣١١/٢ .

[٢٠] مجالس العلماء /١٥٠ ، والقول في الموشح (أن ذا الرُّمة قد أكل البقل والمملوح في حوانيت البقالين حتى بَشِم) ، الموشح /٢٣٤ .

باب تلك العجوز ، فقالت له (قد طال ترددادك ، أفإلى زوجة سعدت بها ، أم الى خصومة شقيت بها ، فقال لراويته : جاء والله ما أريد) [٢١] ، فقال :

تقـولُ عجـوزٌ مدرجـــي مُتروِّحـا   على بابها من عندِ رحلي وغاديا

أذو زوجةٍ بالمصرِ أم ذو خصومةٍ   أراكَ لها بالبصرةِ العامَ ثاويا[٢٢]

وكأني بذي الرُّمة اراد أن يذكر لتلك المرأة حسن صنيعها معه حينما قدحت له – بما قالت – شرارة البدء في نظم قصيدته فذكرها فيها ، متخذا من محاورتها له ، منطلقا لبناء تجربته الشعرية على وفق ما تبّناه من سياق موضوعي وفني .

ويبدو أنَّ ذا الرُّمة أنّثَ لفظة زوج تماشيا مع ما سمعه وعرفه عن لغة تميم التي كانت تجوِّز هذا الاستعمال ، ولكن الأصمعي لم يقبله[٢٣] ، وهو استعمال ورد في شعر شاعر تميم وأحد فحولها المبرزين في العصر الأموي ، أعني به الفرزدق الذي قال :

فانَّ امرا يسعى يُخَبِّبُ زوجتي   كساعٍ الى أُسد الشَّرى يَستبيلُها[٢٤]

---

[٢١] الموشح /٢٣٩ .

[٢٢] ديوان ذي الرُّمة ١٣١١/٢ وفي الموشح /٢٣٩ من عند أهلي ... الى زوجة ... أم لخصومة .

[٢٣] ينظر الاصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي /٢٣٨ .

[٢٤] شرح ديوان الفرزدق ٦٠٥/٢ .

وقد أيد ابن منظور تأنيث الزوج في لغة تميم واستشهد بقول الفرزدق ، وهو القول الذي احتج به الجوهري على صواب أن يقال : هي زوجته ، وخلص ابن منظور الى أنّ موقف الأصمعي فيه شدة وعسر[٢٥].

وليس بعيدا أن تكون تلك العجوز البصرية التي التقاها ذو الرُّمة من بني تميم ، فتحدثت بما هو صواب في لغتها وذو الرُّمة لم يكن مخطئا في استعماله ، ما دام قد ورد مثيله في لغة تميم وفي شعر شاعرها الفرزدق ، وكان ابو عمرو بن العلاء ، يرى قبيلة تميم في المراتب العليا من الفصاحة بين الناس[٢٦] وذو الرُّمة في هذا يؤكد سعة اطلاعه ودقة معرفته بلغة العرب وتنوع أوجه استعمالاتها الصحيحة والفصيحة والتي ليس فيها ما يتعارض مع العرف اللغوي الذي يجيز القول في لفظ ورد استعماله في لغة العرب وقالت به قبيلة من قبائلها كقبيلة تميم المعروفة بفصاحتها ، ومن الجائز أنّ ذا الرُّمة وقف على قول الشاعر عبدة بن الطبيب :

فَبكى بناتي شَجوَهُنَّ ، وزوجتي   والأقربون إليَّ ، ثمَّ تَصدَّعوا[٢٧]

والذي أنث فيه لفظة زوج ، وهو قول قرىء على الأصمعي فلم ينكره ، في حين أنكر قول ذي الرُّمة ، كما ذكر ذلك تلميذه أبو حاتم في قوله (وقد قرأنا عليه قبل هذا [اي قبل قول ذي الرُّمة] لأفصح الناس [يعني قول عبدة بن الطبيب] فلم ينكره، وإنما لج الأصمعي ، لأنه كان مولعا بأجود

[٢٥] ينظر لسان العرب / زوج .

[٢٦] ينظر المزهر في علوم اللغة ٢/٤١٠ .

[٢٧] شعر عبدة بن الطبيب /٥٠ .

اللغات ويرد ما ليس بالقوي ، وذلك الوجه اجود الوجهين)[٢٨] ، وفي قول أبي حاتم ما يدفع إلى التساؤل ، فكيف يقبل الأصمعي ذلك الاستعمال في قول الشاعر ابن الطبيب وينكره في قول ذي الرُّمة ، ولا يعقل أنّ الأصمعي خانته ذاكرته فنسي موقف قبوله لقول ابن الطبيب ، ولا يمكن أن يحمل الأمر على أنه كان متوافقا مع (طبيعة نهجه المتمثل في تضييق الرواية والتشدد في قبولها ، جعلته لا يجيز من اللغة غير ما وعاه سمعه عن خلص الأعراب)[٢٩] ، فمبدأ التشدد في قبول الرواية او رفضها ينبغي أن يطبق بما يضمن عدالة الموقف والنظرة الموضوعية المنصفة ، ويبدو أنّ أبا حاتم تلميذ الأصمعي تفطن الى هذا الموقف وربما أثار استغرابه ، لكنه لم يجرؤ على أن يستوضح من استاذه عن سرِّ هذا التباين في موقفه ، فوجه الأمر على أنه نتيجة لتولع الأصمعي بأجود اللغات وأقواها ، وفي هذا التعليل لا يرى أبو حاتم رأي استاذه في تخطئة ذي الرُّمة؛ لأن ما قاله يمثل وجها من أوجه الفصاحة.

ومثل هذه المآخذ التي خطّأ بها الأصمعي ذا الرُّمة ، كما خطّأ في غيرها عددا آخر من الشعراء ، منتهجا نهج من سبقه من علماء اللغة وتبعه فيه من جاء بعده ، أثارت حفيظة علي بن حمزة البصري ، ليؤلف كتابا سّماه (التنبيهات على أغلاط الرواة) تتبع فيه ما حسبه أصحابها أغلاطا ارتكبها الشعراء في عدد من أقوالهم .

---

[٢٨] مجالس العلماء /١٥٠ .

[٢٩] الأصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي /٢٣٩ .

وقد تعقب البصري في كتابه عددا من ردود أبي عمرو الشيباني على ذي الرُّمة في بعض استعمالاته اللغوية وما تضمنته من معانٍ ، لم يوفق الى الصواب فيها بحسب رأيه ، فعّدها البصري أوهاما من أبي عمرو ، تابعه فيها الأصمعي ، حين وافقه على تخطئة ذي الرُّمة ، ومنها قوله :

حتى إذا دَوَّمَتْ في الأرض أَدركَهُ   كِبرٌ ، ولو شاء نجَّى نفسَه الهربُ[٣٠]

يصف ذو الرُّمة مطاردة كلاب الصيد لثور وحش ، فيراها من فرط سرعتها قد طافت أرجلها في الفضاء ولم تعد تلامس الأرض محاولة اللحاق بذلك الثور ، فعاب ابو عمرو على ذي الرُّمة قوله (دومت في الأرض) فاعترض عليه قائلا (لا يقال : دوّمَ في الأرض ، إنما يقال : دوَّى في الأرض ، وتابعه الأصمعي في ذلك ، فقال : التدويم ارتفاع مع استدارة ، يقال : دوّم الطائر في السماء ، ودوّى السبع في الأرض)[٣١] وهذا الذي ذهب اليه ابو عمرو وأيده فيه الأصمعي، انكره ابن الاعرابي ، وقال (إن كان لا يقال دوّم في الأرض فمن أي شيء سميت الدوامة)[٣٢].

فعضّد ابن حمزة البصري رأي ابن الاعرابي ووافقه عليه ، بقوله (وقد صدق ابن الاعرابي : دوّم ودوّى بمعنى وأنا اقول : لو لم يكن التدويم الا في

---

[٣٠] ديوان ذي الرُّمة ١٠٢/١ .

[٣١] بقية التنبيهات /٩٤ .

[٣٢] بقية التنبيهات /٩٤.

السماء لما قيل أصاب فلانا دُوام كما يقولون : أصابه دُوار ، ولما قالوا : دومة الجندل)[٣٣].

ووقف أبو الطيب اللغوي عند هذا القول ، الذي خطّأ به الأصمعي ذا الرُّمة ، مؤكدا أنّ غيره من أهل اللغة أنكروا عليه ذلك ؛ لأنهم ذهبوا الى أنّ التدويم يكون في الأرض وفي السماء[٣٤] وأشار ابن منظور الى أن تدويم الكلاب امعانها في السير وذكر قول ذي الرُّمة ، ونقل عن ابن الاعرابي أن الكلام أدامت السير وهما معنيان متقاربان ، أضاف اليهما الأخفش معنى الابعاد في السير[٣٥] وأنشد ابو عمرو الشيباني قول ذي الرُّمة :

حتى إذا زَلجَتْ عن كلِّ حَنجرةٍ الى القليل ، ولم يَقصعنَه ، نُغَبُ[٣٦]

وفيه يصف الحمر الوحشية ، بعد أن اشتد بها العطش ، فتجرعت قليلا من الماء لتداري عطشها ، وهذا الوصف يراه ابو عمرو غير جيد ، وقال فيه الأصمعي (ليس هذا من جيد الوصف ؛ لانها إذا شربت ثقلت ، وإن كانت لم ترو)[٣٧] ، وهذا الذي أنكره أبو عمرو والأصمعي على ذي الرُّمة ، لم يجد قبولا عند ابن حمزة البصري ، فرد عليهما بقوله (وهذا غلط إنما تثقل اذا رويت ، وأما إذا شربت قليلا فانه يقويها على العدو ولولاه لهلكت

---

[٣٣] بقية التنبيهات /٩٤ .

[٣٤] ينظر الاضداد /١٨٢ ، ديوان ذي الرُّمة ١٠٢/١ الهامش .

[٣٥] ينظر لسان العرب / دوّم .

[٣٦] ديوان ذي الرُّمة ٧٠/١ .

[٣٧] بقية التنبيهات /١٠٥.

عطشا)[٣٨] ، وراح يدلل على صواب وصف ذي الرُّمة ، حين استشهد بما قاله في قصيدة أخرى ، ذاكرا الحمر الوحشية ، مؤكدا المعنى نفسه ، وجاء فيه :

فانصاعتِ الحُقبُ لم تَقصَعْ صرائرَها   وقد نَشَحنَ فلا رِيٌّ ولا هِيمُ[٣٩]

فذو الرُّمة يصف الحمر الوحشية ، وهي تعدو بعد أن شربت قليلا من الماء ، فلم تقتل عطشها بأن ترتوي ، فظلت لا هي رواء ولا هي عطاش[٤٠] حتى تكون قادرة على مواصلة عدوها ، لتنجو من خطر الصائد المتربص بها ، وأكد شارح ديوان المفضليات ، اجادة ذي الرُّمة في قوله وصواب وصفه ، حين قال (وإنما جعل الحمر كذلك لم ترو ؛ لأنه أسرع لها إذا ذعرت فعدت)[٤١]

ووقف أبو عمرو الشيباني عند قول ذي الرُّمة :

خَراعيبُ أُملودٌ كأَنَّ بَنانَها   بَناتُ النَّقا تَخفى مِرارا وتظهرُ[٤٢]

وفيه شبه ذو الرُّمة أصابع (مية) بدويبات رملية ، تخرج رأسها وتخفيه ، ويبرز منها بياضها ، فكأنه ألمح الى بياض بنان مية ، فيما ادار من

---

[٣٨] بقية التنبيهات /١٠٥ .

[٣٩] ديوان ذي الرُّمة ٤٥٣/١ . انصاعت : تفرقت ، الحقب : الحمر الوحشية ، لم تقصع : لم تقتل ، الصرة : شدة العطش ، نشحن : شربن ، هيم : عطاش .

[٤٠] ينظر ديوان ذي الرُّمة ٤٥٤/١-٤٥٥ .

[٤١] شرح ديوان المفضليات /٥٢ .

[٤٢] ديوان ذي الرُّمة ٦٢٢/٢ .

تشبيه[٤٣] ، رآه أبو عمرو تشبيها سيئا وتبعه الأصمعي ، ليقول فيه بئس ما شبه[٤٤] ، ولكنّ ابن حمزة البصري أنكر عليهما ذلك ، ورأى أنهما أساءا في الردِّ على ذي الرُّمة، الذي أحسن القول وأجاد التشبيه ، فلولا احسانه واجادته ، لما تبعه بعض الشعراء ، ولم يكن ذو الرُّمة مبتدعا هذا المعنى ، بل أخذه عن قول لامرىء القيس[٤٥].

وهناك أشعار أخرى لذي الرُّمة غير ما ذكرت ، وقف عندها الأصمعي ، مخطّئا ناقدا[٤٦] ، ولكني أكتفي بما ورد من أمثلة شعرية ، بيّنت طبيعة موقف الأصمعي من ذي الرُّمة ومآخذه عليه في شعره ، بما لا يراه صوابا ، ويبلغ الأمر بالأصمعي مع ذي الرُّمة الى إنكاره كثيرا من شعره، كما حدَّث بذلك تلميذه أبو حاتم ، بقوله (سمعت الأصمعي يقول : لو أدركت ذا الرُّمة لأشرت عليه أن يدع كثيرا من شعره ، فكان ذلك خيرا له)[٤٧] ، وفي هذا القول دليل قوي على مبلغ تحامل الأصمعي على ذي الرُّمة وتشدده معه وتجنيه عليه ، وهناك من وقف على حقيقة ولع الأصمعي بالطعن على ذي الرُّمة ، وقد عرف عنه تسرعه في تخطئة أشياء كثيرة وإنكارها، مع صحتها وفصاحتها[٤٨]، كما في الأمثلة التي وقفت عندها، وليس هناك من وجه

---

[٤٣] ينظر المصدر نفسه ٦٢٣/٢ .

[٤٤] ينظر بقية التنبيهات /١٠٦.

[٤٥] ينظر المصدر نفسه /١٠٦-١٠٧ .

[٤٦] ينظر ديوان ذي الرُّمة ٤٨/١ ، ٦٥ ، ٣٩٢ ، ٤٣٩ ، ٦٤٦/٢، ٧٧٩ ، ١٢٥٤ .

[٤٧] الموشح /٢٤٠ .

[٤٨] ينظر الاقتضاب ٧٤/٢، ٢٢٢ .

يسوغ إنكارها ورفضها ، إلا ماعرف عن الأصمعي من تشدد في التمسك بما هو افصح الأقوال وبالرواية التي وقف عليها ونالت إجماع العلماء ، ومن هنا كان الأصمعي (لا يفتي إلا فيما أجمع عليه العلماء ، ويقف عمّا يتفردون به عنه ولا يجوّز إلا افصح اللغات ، ويلج في دفع ما سواه)[٤٩] ، لقد وقف الأصمعي موقفا فيه تحرز شديد ، بل تزمت في توجيه الاستعمال اللغوي ، بما ينسجم مع صفاء اللغة ونقائها ، وتوخي سلامة تراكيبها وفصاحتها ، وذلك حق له ، وهو اللغوي البارع ، على أنّ مثل هذا الموقف المشروع ينبغي ان لا يوصد الباب بوجه الشاعر الذي له حس لغوي يتناغم مع رؤيته الشعرية ، وما هو به حاجة اليه من تطويع لمفردات لغته ، كي تنسجم مع مسالك إبداعه الشعري ، بلا قيود تعطل قدراته وتحد من إنطلاقته في عوالم شعره ، مع الإدراك بضرورة الحفاظ على أصالة اللغة ؛ لأن تلك المنافذ التي يوسع بها الشاعر نطاق لغته ، تتيح له بأن يولد من اللغة نفسها ما ينمي مفرداتها بوسائله المشروعة ، فيتخطى بها حدودا سمح العلماء بتخطيها [٥٠]، وغضوا نظرهم عن ذلك ؛ لأنهم أدركوا أن الشاعر يتعامل مع مفردات لغته وتراكيبها تعاملا خاصا به ، وبما يؤمن له اقتناص المعنى الطريف والصورة المبتكرة ، على وفق ما يهتدي اليه من سياق لغوي تأتلف فيه الألفاظ بنسق شعري متقن ، ومثل هذا التوجه يغري اللغويين على تتبع ذلك المنجز اللغوي الذي يفتشون عنه في تعضيد ما يذهبون اليه من تفسير ومعنى لكثير من مفردات اللغة التي تتطلب إيضاحا وشرحا ، يستوفي دلالاتها ومضامينها ،

---

[٤٩] مراتب النحويين /٦١ .

[٥٠] ينظر ثقافة الشاعر /١٣٤ .

ويبقى الشاعر ذو الرُّمة ، من بين أبرز الشعراء الذين كَثُرَ الاستشهاد بشعرهم ، وقد وثق محقق ديوانه كثرة الاستشهاد بشعره في كتب اللغة والمعاجم وذكر عدد الابيات الشعرية التي استشهد بها صاحبا اللسان والتاج وبين أن الناظر في معجم الأساس ، يخيل اليه أن صاحبه بناه على شعر ذي الرُّمة ، فيندر أن ترد فيه مادة لم يرد فيها شاهد من شعره ، وربما أتى في المادة الواحدة بشاهدين او أكثر ، وفي هذا دليل على أنّ شعر ذي الرُّمة ، كان له حضوره المميز في كتب اللغة ومعاجمها ، فذو الرُّمة يفوق أي شاعر في هذا الجانب ، إنْ لم يكن يفوقهم جميعا [٥١] ولم يكن أصحاب المعاجم ومؤلفو كتب اللغة ، أن يكثروا من الاستشهاد بذي الرُّمة ، لتوثيق صحة آرائهم وتفسيراتهم اللغوية ، لو لم يكن مثل هذا الشعر حافلا بكل ما يطلبونه وما بهم حاجة اليه من دلالة ومعنى يشبع نهمهم ويستجيب لمرادهم ، وهم يفتشون عن الاستعمال اللغوي الصحيح والفصيح ، فيظفرون به في شعر ذي الرُّمة ، وكان هناك اجماع بين رواة الشعر وعلماء اللغة على أن شعر ذي الرُّمة حافل بالغريب ، وهذا ما ميز شعره من شعر نظرائه من الشعراء المحدثين ، فروي عن الأصمعي أنه قال (من أراد الغريب من شعر المحدث ففي أشعار ذي الرُّمة .)[٥٢] وقد شهد لذي الرُّمة بالفصاحة والتمكن من اللغة حمّاد الراوية ، وهو من رواة الشعر العربي المعروفين ، اذ يقول فيه (قدم علينا ذو الرُّمة الكوفة ، فلم أرَ أفصح ولا أعلم بغريب

---

[٥١] ينظر ديوان ذي الرُّمة ، مقدمة المحقق ١/٨ ، ٢٧

[٥٢] المصون في الأدب /١٧٣

منـه)[٥٣] ، ولا شك فـي أنّ كثرة الغريـب فـي شـعر ذي الرُّمـة ، نـاتج طبيعـي لولـع الشـاعر بحديث الصـحراء وافتتانـه بمشـاهدها ومظـاهرها ، ومـا يمـور فـي أرضـها وسمائها من حيوان ، وما تعج به من أحداث وصراعات وغرائب .

لقد حظـي ذو الرُّمة باعجاب الرواة واللغويين ، علـى مـا اتصـف بـه مـن تمكن بمعرفة اسرار اللغة والاحاطة بغريبها وفصيحها ، وبراعته في التصرف بمفرداتهـا وتراكيبهـا ، ولهذا فليس غريبـا أنْ يتخـذ عيسـى بـن عمـر ذا الرُّمـة جليسا له ، وهو عالم اللغة والنحو البصري البارز وراوي الشعر المميز استاذ الخليل وسيبويه والأصمعي ، فكان كثير المجالسة لذي الرُّمة [٥٤]، يروي عنه شعره ، ويكتبه له [٥٥] ، ويتذاكر معه في شجون اللغة وشؤونها ويستمع الـى آرائـه فـي قضـاياها ومسـائلها ، وفـي هذا دليـل علـى الثقـة المتينـة بقدرات ذي الرُّمـة ومؤهلاتـه اللغويـة وتمكنـه من الاحاطـة بغريبها والمامـه بفصيحها وجل اسرارها ودقة معانيها .

إنّ ثقافـة ذي الرُّمـة اللغويـة وخبرتـه ودرايتـه ومراسـه ، كلهـا عوامـل قـوة أكـدت نضـج شـاعريته وأفصـحت عـن براعتـه وتمكنـه فيمـا أبـدع مـن منجـز شـاعري ، أجـاد فـي القـول ، بمـا حفـل مـن دلالات وصـور ومعـان ، حظيـت باعجاب الرواة والشعراء واللغويين والنقاد ، فبلغت بالشـاعر مستوى الفحولـة ، التي هي استحقاق حُرِمَ منه ، لعللٍ لا علاقة لها بجودة الشعر والاجادة فيه ، وسنرى كيف وقف الأصمعي من شاعرية ذي الرُّمة ، وماذا قال فيها ، وقبل

---

[٥٣] الاغاني ١٩/٦٧٤٣-٦٧٧٦ .

[٥٤] ينظر الموشح /٢٣١ ، ديوان ذي الرُّمة ، مقدمة المحقق ١/ ٢٠ .

[٥٥] ينظر الحيوان ١/ ٤١ .

التحول الى معرفة طبيعة ذلك الموقف ، أشير الى موقف طريف ، حصل مع الأصمعي ، يتجسد فيه حرصه على ان يتصف أي شعر يقال بالجودة وحسن الأداء وسلامة النظم ، وبلغ به التشدد في هذا الامر حدّ البكاء ، حين سمع شعرا رديئا ، كما جاء في الخبر (عرض رجل على الأصمعي ببغداد شعرا رديئا فبكى الأصمعي ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : يبكيني أنه ليس لغريبٍ قدرٌ ، لو كنت ببلدي بالبصرة ، ما جسر هذا الكشحان أنْ يعرض عليَّ هذا الشعر وأسكت عنه)[٥٦] ، فالأصمعي لو كان بالبصرة للقي ذلك الكشحان منه ما لقي من عقاب يوحي بشدته وعنفه وقساوته ، ذلك الحزن الذي أطبق على الأصمعي حين سمع ما قيل من شعر ردئ دفعه الى البكاء ، وقد يكون في هذا الذي قيل تفسير لاحجام الأصمعي عن نظم الشعر ؛ لأنه سأل عن سبب عزوفه عن قول الشعر ، فذكر أنّ ما يمنعه عن ذلك ، هو نظره لجيده [٥٧] ، أي أنه لم يستعصِ عليه قول الشعر ، ولو أراد نظمه لفعل ، لكنه فضل أنْ يفرغ قدراته في ادامة نظره لما يقوله الشعراء ، كي يميز جيده من رديئه ، وتكون له رؤيته الخاصة به في انزال الشعراء منازلهم ، التي يستحقونها على وفق مستويات إجادتهم وأدائهم ، ويبدو أنه جرب حظه في اقتحام عالم الشعر ولم يظفر بما يرضي طموحه ويستجيب لرغباته وقناعاته ، فعبر عن خيبة أمله بقوله :

أبى الشعر إلاّ أنْ يفئ رديئه   عليَّ ، ويأبى منه ما كان محكما

---

[٥٦] الموشح /٤٥٣-٤٥٤ .

[٥٧] ينظر العقد الفريد ٥/٣٠٦ .

فيا ليتني – إذ لم أُجد حوك وشيه   ولم أك من فرسانه – كنت مفحما [٥٨]

ولكن اذا لم يكن الأصمعي مجيدا حوك وشي الشعر ، ولم يكن من فرسانه ، فانه أجاد روايته وكان فارسا في هذا المضمار لا يُشَقُ له غبار .

بقيت – في هذا البحث – وقفة أتحرى فيها رؤية الأصمعي النقدية في شاعرية ذي الرُّمة ومنزلته بين شعراء عصره ، وكان الأصمعي يرى ذا الرُّمة شاعرا مولدا ضمن طبقة الشعراء (المولدين الذين عزف عن تصنيفهم فحولا وغير فحول فاتخذت أحكامه عليهم مجرى آخر هو النظر الى القيمة اللغوية لاشعارهم ، فكان طبيعيا ان يكون الشاعر منهم حجة او غير حجة حسب ، اما التقويم الفني فاننا لا نلمح له أثرا واضحا في أيٍّ من الاحكام التي وردت بشأنهم سوى ملاحظات يسيرة لا ترقى الى مستوى التقويم الفني الصريح في حديثه عن الفحول)[٥٩] .

وتلك النظرة التي عدّ بها الأصمعي ذا الرُّمة شاعرا مولدا ، جاءت ضمن حديثه عن فحولة الشعراء الذي تجسدت فيه آراؤه ووجهات نظره ، فيما عُرض عليه من اسماء الشعراء وسُئِلَ عنهم ؛ لتحديد موقفه منهم وأيُّهم يستحق لقب الفحولة ، وما يراه في تفضيل أحدهم على الآخر وتلك الآراء والنظرات ، جلها اجتهادات شخصية ، خاضعة لانطباعات الأصمعي ورؤيته المبنية على مقاييسه الخاصة ، وما يهمنا فيها الحكم الذي أصدره الأصمعي بحق ذي الرُّمة الذي ورد ذكره في حديث الأصمعي ، ضمن الفصيلة

---

[٥٨] العمدة ١/١١٧ .

[٥٩] دراسات نقدية في الأدب العربي /٣٤٨ .

التـي اصـطلح عليهـا المرحـوم الـدكتور محمـود الجـادر بــ (فصـيلة المولدين)[٦٠] وهي الفصيلة التي اكتفى الأصمعي في ان يقول في شعرائها حجـة او غيـر حجـة ، كمـا هـو الأمـر مـع ذي الرُّمـة ، الـذي جـاء حكـم الأصـمعي عليـه ، منسجما مـع المنهج العـام الـذي تبّنـاه فـي نظرتـه الـى مجموعـة الشـعراء المولـدين ، وبضـمنهم ذو الرُّمـة الـذي أجـاز الاحتجـاج بشـعره ؛ لأنـه بـدوي ، ولكنـه أفرد لـه حكما خاصـا ، لـم يشمل معه بـه أيّ شـاعر آخـر ، حـين قـال (ذو الرُّمـة حجـة ، لأنـه بـدوي ، ولكـن لـيس يشبه شعره شعر العرب ، ثم قال : إلا واحدة التي تشبه شعر العرب ، وهي التي يقول فيها : والباب دون أبي غسان مسدود)[٦١] وهذا الموقف الذي خصّ به الأصمعي ذا الرُّمة يدعونا الى ان نتوقف عنده ، لنتبين حقيقته وطبيعة دوافعـه ، علـى ان الأصـمعي بحسب مـا عُرف عنـه بمـا ورد مـن اقوالـه فـي فحولـة الشـعراء ، كانـت احكامـه ، تتصـف بـالاطلاق والتعمـيم مـن غيـر ان يفصل القول ، فيما يذهب اليه او ينص على دقة مراده منه ، بتخصيص محدد ، فهو في اشارته الى غرابة شعر ذي الرُّمة ومفارقته لشعر العرب ، لم يعلل لما قال ، ولم يذكر ما يؤيد حكمه من شعر ذي الرُّمة الذي خالف فيه شعر العرب ، وهو على وفق ما نصّ عليه قول الأصمعي ، يشكل النسبة الغالبة من شعر ذي الرُّمة ، وهذا الكم الكثير من شعر ذي الرُّمة ، لا يمكن الحكم عليه بالمطلق بانه مفارق لشعر العرب ، إذا ما علمنا أنّ المفارقة التي

---

[٦٠] المصدر نفسه .

[٦١] كتاب فحولة الشعراء /٢٠ وينظر الموشح /٢٢٣ ، ديوان ذي الرُّمة ١٣٥٩/٢ وفيه مشدود .

عناها الأصمعي ، تتعلق بمدى انسجام لغة هذا الشعر مع ما عُرِفَ عن لغة العرب في أصولها الصحيحة والفصيحة ، وليس لأحد ان يقول بعدم التزام ذي الرُّمة بتلك الأصول وهو الشاعر الذي أجمع الرواة واللغويون ونقدة الشعر ومن عاصره من الشعراء على إجادته وبراعته وتفرده في نهج شعري اختطه لنفسه ونجح فيه ، بشهادة أبرز الشعراء الفحول المعاصرين له ، ومن ذلك ما روي عن اتفاق جرير والفرزدق على أن يقولا في ذي الرُّمة أنه (أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه اليه غيره)[٦٢] وليس عسيرا على المرء ان يستنتج اي قول طريف واي قول حسن هذا الذي برع فيه ذو الرُّمة ، ولم يسبقه اليه أحد غيره ، وهذا يعني فيما يعني انه شاعر لديه قدرة اختراع المعنى وتوليده ، بما يجسد تفرده في استحداث معنى يُحسب له ويسجل باسمه ، وفي موقف آخر يؤكد الفرزدق اعجابه بشاعرية ذي الرُّمة ويراه أشعر منه ، بسبب ما عُرف عنه من ركوب أعجاز الابل ونعت الفلوات[٦٣] ، وهذا يعني أنّ الفرزدق أدرك ملمحا ابداعيا في شعر ذي الرُّمة بنى حكمه عليه بتميز شاعريته وتفوقه ومثل هذا الموقف تجسد في رؤية الطرماح ، حين خاطب ذا الرُّمة بقوله (إنّ عنان الشعر لفي كفك)[٦٤] ، وماذا يعني ان يمسك شاعر بعنان الشعر ، غير ان يكون في مقدمة ركب السائرين به ودليلهم الى سرِّ جودته ومكمن بديعه ، وهذا ما شهد به الطرماح وشهد به آخرون من الشعراء ومن رواة الشعر وحفظته وشراحه ، ممن نال

---

[٦٢] الأغاني ٦٧٤٤/١٩ .

[٦٣] ينظر المصدر نفسه ٦٧٦٤/١٩ ، ديوان ذي الرُّمة ، مقدمة المحقق ١٨/١.

[٦٤] الاغاني ٤٢٠٥/١٢.

منهم ذا الرُّمة اهتماما مميزا ، اعجابا ببراعته الفنية واللغوية ؛ ليدفعهم ذلك الاعجاب الى تتبع اخباره ، ليكون حصيلة ما جمعوه عنه كتبا مؤلفة ذكرها ابو الفرج وابن النديم (٦٥) ، ولا نريد الاسترسال في الحديث عن تميز ذي الرُّمة ومنزلته المستحقة ، فالكلام يطول في ذلك ونعود الى ما أشرنا اليه في تفرد نهجه الشعري ، فمن يدري قد يكون مثل هذا النهج مما لم يألفه الأصمعي ، فرأى فيه وجه غرابة ومفارقة لما عرفه عن مذاهب أوائل الشعراء ، ممن عدهم فحولا ، على أنّ هذا النهج الذي تفرد به ذو الرُّمة ينبغي ان يحسب عامل قوة لشاعريته وتمكنه من إجادة القول في فنون شعره ، ولنا فيما رآه الأصمعي بتميز شاعرية بشار بن برد ما يغري بمزيد من القول في ان نعد تفرد ذي الرُّمة ، هو الذي دفع بالأصمعي الى ان يرى أغلب شعره غير شبيه بشعر العرب ؛ لأن الأصمعي نفسه حين سأله تلميذه ابو حاتم (أبشار أشعر أم مروان ؟ فقال بشار أشعرهما قال له وكيف ذاك ؟ قال لان مروان سلك طريقا كَثُرَ سلاكه ، فلم يلحق بمن تقدمه . وان بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد فانفرد به ، وأحسن فيه ، وهو اكثر فنون شعره ، وأقوى على التصرف ، وأغزر وأكثر بديعا ، ومروان آخذ بمسالك الآوائل)(٦٦) فمثلما سلك بشار طريقا لم يسلكه أحد فانفرد به فعل ذو الرُّمة ذلك قبله ، عندما سلك طريقا لم يسلكه الراعي الذي روى شعره ، حين قيل له (إنما أنت راوية الراعي فقال : أما والله لئن قيل ذاك ما مثلي ومثله إلا شاب صَحِبَ شيخا ، فسلك به طرقا ثم فارقه ، فسلك الشاب بعده شعابا وأودية لم

---

(٦٥) ينظر ديوان ذي الرُّمة ، مقدمة المحقق ١/٢٣-٢٥ .

(٦٦) الموشح /٣١٩ .

يسلكها الشيخ قط)[٦٧] وليس من الانصاف ان يقرّ الأصمعي الفرادة لبشار ويحجبها عن ذي الرُّمة ، والاثنان شاعران مولدان .

وأرى أنّ موقف الأصمعي من عدم القطع برأي صريح في شاعرية ذي الرُّمة ، كان متوافقا مع رأيه بالمحدثين من الشعراء عموما ؛ لأنه حين سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل امتنع عن ان يقول فيهم شيئا ؛ لأنهم اسلاميون [٦٨] ، ولا شك في ان الأصمعي المعروف بتعصبه للشعر القديم وتفضيله للشعراء القدامى ، كان طبيعيا ان يقف هذا الموقف من هؤلاء الشعراء الذين لا خلاف بين النقاد على انهم من فحول الشعراء في العصر الاموي ، ويرى الأصمعي انهم جديرون بهذه الفحولة ، مقيّدة بشرط يشترطه لهم مجسدا بقوله (هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن ، ولا أقول فيهم شيئا ، لأنهم اسلاميون)[٦٩] وهذا حكم يفتقد الانصاف والعدل والموضوعية ، ذلك أنّ مقاييس الاجادة والشاعرية لا تقترن بزمن معين دون غيره ولا جيل دون سواه ، وتلك نظرة متوازنة وفق ابن قتيبة الى اقرارها والعمل بها بعدما وقف على جملة مواقف ، جسّد بها أصحابها رؤيتهم لانزال الشعراء منازلهم التي يستحقونها مقيّدة بزمن وجيل معينين [٧٠] كما فعل الأصمعي في موقفه المشار اليه وهو موقف جاء منسجما مع موقف استاذه ابي عمرو بن العلاء الذي عُرِفَ بتعصبه للشعر القديم وإحجامه عن رواية الشعر الاسلامي ،

---

[٦٧] الاغاني ٦٧٧٢/١٩ .

[٦٨] ينظر كتاب فحولة الشعراء /١٢.

[٦٩] المصدر نفسه .

[٧٠] ينظر الشعر والشعراء ٦٢/١-٦٣ .

ويشير الأصمعي الى هذا الموقف بقوله : (جلست اليه عشر حجج فما سمعته يحتج ببيت إسلامي)[٧١] كما نقل الأصمعي عن أبي عمرو قوله (لقد كَثُرَ هذا المحدث وحَسُنَ حتى لقد هممت أن آمر فتياننا بروايته)[٧٢] ويعلّق الجاحظ على القول بأنه (يعني شعر جرير والفرزدق واشباههما)[٧٣] ولا يخفى ما في قول أبي عمرو من إعجاب كبير بشعر اولئك المحدثين ، فهو يستحق منه الرواية لجودته وحسنه ، لكنه لم يفعل تعصبا للقديم ، ولا شك في أنّ ذا الرُّمة من بين أبرز المحدثين ، على وفق ما قيل وقد مرّ ذكره ، وما سيقال في مواضع لاحقة وهو من أبرز الاشباه الذين عناهم الجاحظ بتعليقه ، لأن ذا الرُّمة – على رأي طائفة من المتعقبين – كان واحدا من شعراء ثلاثة يرمزون لعصورهم الأدبية ، فامرؤ القيس رمز العصر الجاهلي ، وذو الرُّمة رمز العصر الاسلامي ، وابن المعتز رمز عصر المولدين[٧٤] ، ويعلّق ابن رشيق على ذلك الرأي ، قائلا (وهذا قول من يفضل البديع وخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر)[٧٥] وهذا الذي قاله ابو عمرو بحق الشعراء المحدثين ، ومنهم ذو الرُّمة ، القى بظلاله على موقف الأصمعي منه ، وهو موقف ، بقي ما نقوله فيه ، ومن اجل ذلك نعاود النظر في قول الأصمعي الذي خص به ذا الرُّمة ، وأعطى فيه حكما عليه ،

---

(٧١) البيان والتبيين ٣٢١/١ وينظر المزهر ٤١٤/٢ ، وفي العمدة ٨٩/١ ثماني حجج .

(٧٢) البيان والتبيين ٣٢١/١ .

(٧٣) المصدر نفسه .

(٧٤) ينظر العمدة ١٠٠/١ ، المزهر ٤١١/٢ .

(٧٥) العمدة ١٠٠/١ .

مكتفيا بقوله (حُجة)؛ لان بدويته شفعت له للاحتجاج بشعره ، لكنه ينفي ان يكون شعره شبيها بشعر العرب ، مستثنيا من هذا الحكم قصيدة واحدة يراها شبيهة بشعر العرب ، يروي منها عجز أحد ابياتها – في القول الذي مرَّ ذكره – وتمام البيت هو :

إنَّ العراقَ لأَهلي لم يكن وطنا   والبابُ دونَ أبي غَسّانَ مسدودُ (٧٦)

ويحتاج البحث وقفة قصيرة عند هذه القصيدة ، لتبين حقيقة رؤية الأصمعي فيها ، على أنها القصيدة الوحيدة الشبيهة بشعر العرب من بين قصائد ذي الرُّمة ، وهي قصيدة خالية من أي غرض شعري ، تشتمل على عدد من الموضوعات يبدؤها بالحديث عن موضوعه الأثير الى نفسه ، وهو يذكر الحبيبة (مية) مخاطبا دارها بقوله :

يا دارَ ميَّةَ لم يترك لها علما   تقادُمُ العهدِ والهُوجُ المراويدُ (٧٧)

وبعد أنْ يدعو لأهل الدار بالسُّقيا ، يتحول الى الحديث عن الظعائن الراحلة وفيها الحبيبة (٧٨) ، وهذا مشهد كفيل باثارة أحزانه وهمومه ، عندئذٍ لا يتوانى في الرحيل على ظهر ناقة قوية نشيطة ، يسلِّي بها حزنه وهمه ، معجبا بسرعتها ونشاطها وهي تمور في سيرها ، فتنسل فيها انسلالا سهلا لينا ، غير آبهة بتوقد الشمس وغبرة البيد (٧٩) وبعد ان يوجز القول في

---

(٧٦) ديوان ذي الرُّمة ١٣٥٩/٢ .

(٧٧) المصدر نفسه ١٣٥٤/٢ .

(٧٨) ينظر المصدر نفسه ١٣٥٥/٢-١٣٥٩ .

(٧٩) ينظر المصدر نفسه ١٣٦٠/٢-١٣٦٣ .

صورتها ، يشبهها بحمار وحش ، يتابع رحلته مع أتنه ، بحثا عن عشب وماء [٨٠]، ويدع ذو الرُّمة تلك الحمر ، لتواصل رحلتها ، وهو يعود الى ذكر (ميّة) التي تبقى هما يلاحقه في كل حين ، فلا شيء يشغله عنها ، ولهذا افتتح قصيدته بها وجعل ختامها لها[٨١] ، ومن المفارقة ان هذه القصيدة التي رأها الأصمعي وحدها – من بين قصائد ذي الرُّمة – شبيهة بشعر العرب ، لم يسلم فيها ذو الرُّمة من نقد الأصمعي وتخطئته في قوله :

أَقولُ للركبِ لمّا أَعرَضَتْ أُصلا   أُدمانةٌ لم تُرَبِّيها الأجاليدُ [٨٢]

وهذا القول سبقت الاشارة اليه ، وذكرنا ما قيل فيه بشأن الردِّ على الأصمعي ، وبعد هذه الوقفة اليسيرة مع (دالية) ذي الرُّمة ، وبهذا العرض الموجز لموضوعاتها ، نراها تنتمي الى ذلك النموذج الشعري الذي حظي باعجاب الأصمعي ، بوصفه النموذج الذي يودعه الشاعر تفاصيل تجاربه ومعاناته وهمومه ، وهو يقف على الديار باكيا ، ويذكر الحبيبة متغزلا ، ويلجأ الى ناقته عبر رحلة صحراوية ، مسليّا همه ومنتزعا نفسه من أسر أحزانها وآلامها[٨٣] وقد أحصيتُ قصائد ديوان ذي الرُّمة فوجدتها تسعا وخمسين قصيدة مع الدالية المشار اليها ، وتبين لي أن ثلاثا وثلاثين

---

[٨٠] ينظر المصدر نفسه ٢/١٣٦٤–١٣٦٨ .

[٨١] ينظر المصدر نفسه ٢/١٣٦٩ .

[٨٢] المصدر نفسه ٢/١٣٥٨ .

[٨٣] ينظر دراسات نقدية في الأدب العربي /٣٥٣ .

قصيدة [٨٤] ، جاءت على شاكلة تلك الدالية ، فجميعها احتوت موضوعات متنوعة ، تنقّل ذو الرُّمة فيها بين حديث الحب وحديث الصحراء بمشاهدها ومظاهرها المعروفة ، وهذه القصائد كلها خالية من أي غرض شعري ، أما القصائد الأخرى في الديوان ، فتوزعت على أغراض المديح والهجاء والفخر ، ومنها خمس عشرة قصيدة في المديح[٨٥] ، وثماني قصائد في الهجاء [٨٦]، وقصيدتان في الفخر[٨٧] ، وهذه القصائد في اغلبها احتوت حديث الحب والصحراء ، وهو الحديث الذي شُغِلَ به ذو الرُّمة ، ولو اقتطعنا الأبيات المتعلقة بالمديح والهجاء والفخر ، فسنجد ما تبقى من القصائد ، ينتمي الى ذلك النموذج الشعري الذي تمثله القصيدة الدالية ، وبهذا فان تلك الاحصائية دلت على أن غالبية شعر ذي الرُّمة جاء مشابها لهذا البناء اللغوي والموضوعي والفني الذي كانت عليه داليته ، ولولا خشية الاطالة في البحث لأتينا بأمثلة من تلك القصائد ، تؤكد حقيقة ما ذهبنا اليه ، وما دام الامر كذلك ، فكيف يفسر ما ذهب اليه الأصمعي بافراده تلك القصيدة الدالية في انها شبيهة بشعر العرب ، أيفسر القول على أنه يجسد اعجاب الأصمعي بها وتفضيلها على ما سواها من قصائد ذي الرُّمة ؟ أم يفسر على

---

[٨٤] أشير الى أرقامها في الديوان ، فهي القصائد / ١، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨

[٨٥] أرقامها في الديوان / ٢ ، ٤ ، ١٧ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥١ ، ٨٦ .

[٨٦] أرقامها في الديوان / ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٨ .

[٨٧] هما / ٧ ، ١٦ .

أنه انعكاس لطبيعة الموقف الذي وقفه الأصمعي من شعر ذي الرُّمة ، كما رصدنا جانبا منه ، فيما تقدم ؟ ولا سيما اشارته الى أنه لو أدرك ذا الرُّمة ، لأشار عليه أن يدع كثيرا من شعره ، وبعد هذا ، أيصح القول ان الرجل لم يعرض عليه من شعر ذي الرُّمة سوى هذه القصيدة ، فعبر عن اعجابه بها وقال فيها ما قال ؟ نشك في هذا كثيرا ؛ لان الأصمعي تولى رواية شعر ذي الرُّمة ، فاطلع على أكثره ، إن لم يكن كله ، ليرى فيه حجة ويقف عند عدد من مواضعه مخطّئا ناقدا . وفي ضوء هذا كله ، كيف يوجه حكم الأصمعي ، بأن شعر ذي الرُّمة لا يشبه شعر العرب ، واذا لم يكن شعره شبيها بشعر العرب ، فكيف يصح الاحتجاج به ، وما أوجه الغرابة التي رصدها الأصمعي في هذا الشعر ، ليصدر عنه مثل هذا الحكم ؟ الذي تركه من غير ان يعلل له او يدلل عليه وهذه الاسئلة كلها لا نملك إجابة شافية عنها ، ولكن الذي نؤكده وينبغي اقراره والتثبت منه أننا بازاء شعر نهج فيه مبدعه نهج العرب في لغته وتشبيهاته وصوره ومعانيه وفي أساليب بنائه وعلى وفق نسيج تفرد به وبرع في اتقانه ، ولنا فيما ورد عن أحد جلساء أبي علي الفارسي من قول ، يصف فيه طريقة ذي الرُّمة في شعره ، ما يؤيد سلامة النهج الذي ابتدعه واتبعه ، مؤكدا (احاطته بلغة العرب ومعانيها ، وفضل معرفته باغراضها ومراميها ، وأنه سلك نهج الاوائل في وصف المفاوز اذا لعب السراب فيها ، ورقص الآل في نواحيها ، ونعت الحرباء وقد سبح على جذله ، والظليم وكيف ينفر من ظله ، وذكر الركب وقد مالت طلاهم من غلبة المنام حتى كأنهم جرعتهم كؤوس المدام ، فطبق مفصل الاصابة ، في كل باب وساوى الصدر الاول من ارباب الفصاحة ، وجارى

القروم البزل من أصحاب البلاغة)[٨٨] وهذا الذي قاله أحد الفصحاء من جلساء أبي علي ، كلام بليغ فيه أعجاب مفرط بشاعرية ذي الرُّمة ووصف دقيق لبراعته في نظم شعره وتمكنه من تشبيهاته وصوره ومعانيه ، وليس من شك في أن ما قيل ، يشير الى ان الحاضرين في ذلك المجلس كانوا يتذاكرون في أمر ما من شعر العرب وشعرائه ، وكان لذي الرُّمة حضور مميز في حديث الجلساء في مجلس واحد من أئمة اللغة وعلمائها .

ان القراءة الدقيقة ، المتأنية ، المنصفة لشعر ذي الرُّمة ، تفضي الى حقيقة أن الشاعر أفاد من الموروث الشعري الذي وقف عليه حفظا ورواية ، بما أمده من مخزون ثرٍّ من صور ومعان اتسعت لها ذاكرته المتوقدة ومخيلته البارعة ، ليبتدع صوره ولوحاته الشعرية مع صلته الوثيقة بما اهتدى اليه الشعراء السابقون من مذاهب القول وطرائق النظم ، ملما بها ، عارفا أساليبها وصيغها ، ضليعا بشواردها ونوادرها ، مفتخرا بقدراته على التعبير عنها بقوافٍ تأخذ طريقها الى سمع (الركبان) وتتلقفها أفواه الرواة اعجابا وثناءً ، ذلك أنَ هذه القوافي ، فيها ما فيها من الإجادة والتفرد ، فهي أوابد شوارد ، لا يقدر على اقتناصها إلا شاعر فنان من طراز ذي الرُّمة ، وهو ينسجها عبر مخاض شعري ، تولدت عنه تجارب شعرية ، أرادها منزهة عن أي عيب يشوبها ، فيشوه جمال صورها وبديع معانيها على وفق ما اهتدى اليه من نهج فني مميز ، وجده مفصحا عن قدراته الابداعية وامكاناته الفنية في بناء نموذجه الشعري المتسم بمقومات الإتقان والأصالة والجزالة والجودة .

---

[٨٨] معجم الأدباء ٣/١٤-١٥

ويصف ذو الرُّمة بعض ملامح نسيجه الشعري ، بقوله :

وشعرٍ قد أَرِقتُ له غريبٍ   أُجنِّبهُ المُسانَدَ والمُحــالا

فَبِتُّ أُقيمـُهُ وأَقُــدُّ منـــه   قوافـيَ لا أَعُدُّ لها مِثـالا

غرائبَ قد عُرِفنَ بكلِّ أُفقٍ   من الآفاقِ تُفتّعَلُ افتِعالا [٨٩]

فذو الرُّمة يبتدع قوافيه ابتداعا من غير مثال مسبوق اليه ، هدته اليها موهبة ، تفرد في التعامل مع مسالكها باقتدار وبراعة ليأتلف منها نظم شعري متقن ، تعهده ذو الرُّمة بكل ما أوتي من جهد ، موشحا بلمسات فنية ، غاية في الابداع والاتقان والاجادة .

وهذا النهج الذي سلكه ذو الرُّمة ، تتبع فيه المسالك أنفسها التي أقرّها الأصمعي في قوله (وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول ، مثل امرؤ القيس وزهير والنابغة ، من صفات الديار والرحل ، والهجاء والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفة الحمر والخيل والحروب والافتخار)[٩٠] ونحن لا نزعم ان ذا الرُّمة أتى في شعره على جميع هذه المعاني الواردة في قول الأصمعي ، ولكنه أتى على اغلبها ، متبعا نهجا موضوعيا وفنيا امتزجت فيه عناصر الاصالة والإبداع والتميز ، وهو نهج ظلّ ذو الرُّمة حريصا على الالتزام به والتواصل في تبنيه والاعتماد عليه في أغلب قصائده ، فحاز به اعجاب المعجبين وحسد الحاسدين ، كما ورد في الخبر (كان الفرزدق

---

[٨٩] ديوان ذي الرُّمة ٣/١٥٣٢-١٥٣٣ .

[٩٠] الموشح /٧١ .

وجرير يحسدان ذا الرُّمة ، وأهل البادية يعجبهم شعره)[٩١] وإعجاب أهل البادية بشعر ذي الرُّمة ، جعلهم يفضلونه على غيره من شعراء عصره ولا يقدمون عليه احدا [٩٢] .

وقد بلغ من تمكن ذي الرُّمة في اتقان نظم شعره وبراعته في دقة نسجه ومتانة بنائه ، مبلغه في خيال اعرابي ، كان يسمع شيئا من شعر ذي الرُّمة ، فظنه قرآنا ، كما ورد في الخبر (وكان صالح بن سليمان راوية لشعر ذي الرُّمة ، فأنشد يوما قصيدة له ، واعرابي من بني عدي يسمع ، فقال : أشهد أنك لفقيه تحسن ما تتلوه ، وكان يحسبه قرآنا)[٩٣] لقد فُتِنَ ذلك الأعرابي بما سَمِع من شعر ذي الرُّمة ودلته فطرته على أن يقول فيه ما قال ، فالقرآن كلام الله المنّزه عن الشبه بأي كلام آخر ؛ لأنه في أرفع مراتب البلاغة والبيان والفصاحة وبديع النظم ، وتجدر الاشارة الى أنّ ذلك الاعجاب الذي حازه شعر ذي الرُّمة امتدت آثاره الى عدد من شعراء عصره ، وقد مرّ بنا ما قاله الفرزدق وجرير ، وما صدر عن الكُميت والطرماح ، بعد ان سمعا من ذي الرُّمة بعض قصائده ، فأُعجبا بما قال أيّما إعجاب دفعهما الى الإشادة به والثناء عليه ؛ لأن ما قاله يمثل نسيجا شعريا جميلا متقنا ، تزينه براعة ذي الرُّمة ومهارته الفنية[٩٤]، كما امتدت آثار ذلك الاعجاب الى ابن قتيبة ، وهو احد نقدة الشعر البارزين ، حين صّرح بتميز

---

[٩١] الاغاني ١٩/٦٧٤٠ .

[٩٢] ينظر شرح شواهد المغنى ١/١٤١ .

[٩٣] الاغاني ١٩/٦٧٤١ .

[٩٤] ينظر الاغاني ١٩/٤٢٠٤-٤٢٠٥ .

ذي الرُّمة وتفضيله ، فهو عنده (أحسن الناس تشبيها ، وأجودهم تشبيبا ، وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة وماء)[٩٥] فابن قتيبة يؤكد افضلية ذي الرُّمة في أبواب التشبيه والتشبيب والوصف ، والاجادة في هذه الأبواب اعلان صريح على تمكنه من فن الشعر واستحقاقه لاعتلاء قمة الابداع فيه عن جدارةٍ شَهِدَ لهُ بها نظراؤه من فحول عصره ، حين أقروا له بما أبدعه من قول طريف سبق اليه وأجاد فيه ، كما شهد له بهذه الميزة آخرون من رواة الشعر ونقاده ، فحماد الراوية ، يراه أحسن أهل الاسلام تشبيها ، كما كان امرؤ القيس أحسن الجاهلية تشبيها[٩٦] وهذا الذي ذهب اليه حماد ، تتجسد حقيقة دلالته ومطابقته لواقع الفعل الابداعي الذي ميّز مسار التجارب الشعرية لذي الرُّمة ، بما تعاقب عليه اجماع العلماء بفن الشعر ، كما نص على ذلك ابن سلاّم في قوله (كان لذي الرُّمة حظ في حسن التشبيه لم يكن لأحد من الاسلاميين ، وكان علماؤنا يقولون : أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس ، واحسن أهل الاسلام تشبيها ذو الرُّمة)[٩٧] ولا يخفى ما لهذا القول من عمق الدلالة على إنصاف ذي الرُّمة وإنزاله المنزلة التي يستحقها في مسار حركة الشعر العربي ، حين عُدّ عديلا لامرئ القيس .

وتميز ذي الرُّمة بفن التشبيه الذي أجمع عليه العلماء وجد صداه المؤثر لدى الأصمعي ، وهو يرى ذا الرُّمة (أشعر الناس إذا شبّه)[٩٨] ففي هذا

---

[٩٥] الشعر والشعراء ٩٤/١ .

[٩٦] ينظر الاغاني ٦٧٤٣/١٩.

[٩٧] طبقات فحول الشعراء ٥٤٩/٢ وينظر الاغاني ٦٧٤٤/١٩ .

[٩٨] الاغاني ٦٧٤٤/١٩ .

القول يلتقي الأصمعي بأُولئك العلماء فيما اجمعوا عليه ، ولكنه ينفرد عنهم ، حين يجعل ذا الرُّمة متفوقا على جميع الشعراء في باب التشبيه ، وصدق الأصمعي في ذلك ؛ لأن التشبيه في شعر ذي الرُّمة ركيزة أساسية استندت اليها صنعته الفنية ، تجلّت معالمها بوضوح في أغلب تجاربه الشعرية ، فغدت ظاهرة سجلت له ، فتفرد بها بين الشعراء ؛ ليكون القمة التي بلغها فن التشبيه في الشعر الاموي[٩٩] ، وبهذا يجسد ذو الرُّمة براعته ومهارته في بناء نسيجه الشعري ، على وفق أصول ومقومات ضاربة في أعماق التراث العربي ، مؤكدا جدارته بإحيائها وديمومتها والتعبير عنها تعبيرا حيّا اصيلا .

ولم يبق ونحن نصل الى ختام بحثنا الا القول أن الأصمعي مهما كان موقفه من ذي الرُّمة ، وما قيل في تحامله عليه وكثرة مآخذه على ما ورد في شعره ، ومهما قيل في حقيقة ذلك الموقف وطبيعة الدوافع المفضية إليه ، وما قيل في تعليلها وتوجيه مسوغاتها ، وربما منها ما ندم عليه الأصمعي، وتراجع عنه ورأى فيه تجنيا على ذي الرُّمة وعدم انصافه ، ليكون له موقف آخر نابع من احساس ذاتي ومراجعة شخصية أدارها الأصمعي مع نفسه في لحظات خلوة بها ، تمخض عنها هذا الجهد الكبير الذي بذله في رواية شعر ذي الرُّمة وفي شرحه ؛ ليؤكد اهتمامه بصاحبه وعنايته الفائقة بابداعه ؛ لأنه يستحق منه ذلك ، فتصدّى لإنجاز تلك المهمة ، وهو يروي شعر ذي الرُّمة عن استاذه أبي عمرو بن العلاء الذي رواه عن ذي الرُّمة نفسه .[١٠٠]

---

[٩٩] ينظر ذي الرُّمة شاعر الحب والصحراء /٤٤٠ .

[١٠٠] ينظر ديوان ذي الرُّمة ، مقدمة المحقق ٣٤/١ ، ٤٠ ، ٤١ .

وبعد هذا كله وفي ضوء ما تقدم ، تجلّى واضحا موقف الأصمعي من ذي الرُّمة ، وتجلّت طبيعة رؤيته لشاعريته وما تمخض عن ذلك الموقف وتلك الرؤية من آراء ونظرات وانطباعات ، وقفتُ عندها بتتبع فيه محاورة ومناقشة وعرض لأدلة وحجج أفضتْ الى ما توصلتُ اليه من استنتاجات ونتائج ، عبر نظرة موضوعية منصفة لموقف الأصمعي ورؤيته ، ونظرة موضوعية منصفة لابداع ذي الرُّمة وشاعريته ، مؤيدا نظرتيَ بشقيها ، بما وقفتُ عليه من آراء وأقوال ، صدح اصحابها فيها بكلمة حق رأوا صورته جليّة ساطعة ، ولو اردتُ الاستزادة مما قيل لأتيتُ بغير ما ذكرتُ ، ولكني تقيدتُ بالمسموح من عدد صفحات البحث فآثرتُ الايجاز .

آمل أن اكون قد وفقتُ في قول ما توخيتُ منه جلاء الحقيقة ، ولم أكن لأنجز ما أنجزتُ في هذا البحث إلا بتوفيق من الله العلي العظيم ، فهو جلَّتْ قدرته أعانني على السداد وهداني سبيل الرشاد فللّه الحمد في الأولى والآخرة والصلاة والسلام على رسوله وعترته الطاهرة وعلى صحابته الأخيار البررة .

المصادر :

❖ الاصمعي وجهوده في رواية الشعر العربي ، إياد عبد المجيد ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٩م

❖ الاضداد في كلام العرب ، ابو الطيب اللغوي (٣٥١هـ) ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، المجمع العلمي العربي دمشق ١٣٨٢هـ –١٩٦٣م

❖ الاغاني ، ابو الفرج الاصفهاني (٣٥٦هـ) تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الشعب ١٣٨٩هـ – ١٩٧٠م

❖ الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب ، السيد البطليوسي (٥٢١هـ) ، تحقيق الاستاذ مصطفى السقا ، الدكتور حامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨١م

❖ بقية التنبيهات ، علي بن حمزة البصري (٣٧٥هـ) ، تحقيق الدكتور خليل ابراهيم العطية ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ط١ ، ١٩٩١م

❖ البيان والتبيين ، الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، ط٤ ، ١٩٧٥م

❖ التنبيهات على أغلاط الرواة ، علي بن حمزة البصري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار المعارف ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٦م

❖ ثقافة الشاعر وأثرها في معايير النقد العربي القديم حتى نهاية العصر العباسي ، سعد الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م

❖ الحيوان ، الجاحظ (٢٥٥هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٤٥م

❖ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، مصر ، ط٣ ، ١٩٨٩م

❖ دراسات نقدية في الأدب العربي ، الدكتور محمود عبد الله الجادر ، دار الحكمة للطباعة ، الموصل ، ١٩٩٠م

❖ ديوان ذي الرُّمة ، تحقيق الدكتور عبد القدوس ابو صالح ، مؤسسة الايمان للطباعة ، بيروت ، ١٩٨٢م

❖ ذو الرُّمة شاعر الحب والصحراء ، الدكتور يوسف خليف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٠م

❖ شرح ديوان الفرزدق ، عبد الله الصاوي ، مطبعة الصاوي ، مصر ، ط١ ، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م

❖ شرح ديوان المفضليات ، الانباري (٣٢٨هـ) ، تحقيق لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٠م

❖ شرح شواهد المغني ، السيوطي (٩١١هـ) ، لجنة التراث العربي ، بلا تاريخ

❖ الشعراء نقادا ، الدكتور عبد الجبار المطلبي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م

❖ شعر عبدة بن الطبيب ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، دار التربية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧١م

❖ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (٢٧٦هـ) ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٨م

❖ طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٩٧٤م

❖ العقد الفريد ، ابن عبد ربه (٣٢٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، بلا تاريخ

❖ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٧٢م

❖ كتاب فحولة الشعراء للأصمعي ، تحقيق المستشرق ش.تورّي ، قدم له الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

❖ لسان العرب ، ابن منظور (٧١١هـ) ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، مصر ، بلا تاريخ

❖ مجالس العلماء ، الزجاجي (٣٤٠هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، مصر ، ط٢ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

❖ مراتب النحويين ، ابو الطيب اللغوي (٣٥١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

❖ المزهر في علوم اللغة وانواعها ، السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

❖ المصون في الأدب ، العسكري (٣٨٢هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٦٠م

❖ معجم الأدباء ، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ، تحقيق مرجليوث ، ط٢، ١٩٢٧م

❖ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، المرزباني (٣٨٤هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، بلا تاريخ

❖ النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري ، الدكتور نعمة رحيم العزاوي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨م

قراءة صرفية في جذور الأفعال الثلاثية والرباعية

الاستاذ الدكتورة خديجة زبار الحمداني
قسم اللغة العربية – كلية التربية للبنات –
جامعة بغداد

الملخص :

إنّ الأفعال من حيث عدد حروفها تقسم على مجردة ومزيدة ، والمجرد منها يكون على نوعين : ثلاثيا ورباعيا ثم اشتقاق المزيدات من المجردات ، بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة وبإمكان ردَ الرباعي المجرد إلى الثلاثي فقط ، لكن المسألة لا تنتهي عند هذا الحدّ ، إذ وجدنا الثلاثي المعاد إليه الرباعي قابل للردَ إلى الثنائي . وأول من اشار الى الثنائية في الكلام الخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال تقليباته للفعل الثنائي في معجم العين .

المقدمة :

إن المألوف بين علماء اللغة في قسمة الأفعال من حيث عدد حروفها إلى مجردة ومزيدة وجعل المجردة منها على نوعين : ثلاثي ورباعي ، ثم اشتقاق المزيدات من المجردات بزيادة حرف أو حرفين أو ثلاثة من طائفة الحروف المعلومة ، وسميت لذلك حروف الزيادة " سألتمونيها " على أن هناك من يرى إمكان ردِّ الرباعي المجرد إلى الثلاثي وذلك بحذف أحرف من أحرفه دون قيد بشرط بقاء اللحمة المعنوية بينهما ، مما ينجم عنه أن المجرد

الرباعي لا وجود له إنما هو ثلاثي مزيد فيه . ولكن من خلال بحثي في أصول الافعال الثلاثية والرباعية لم نقف عند هذا الحدِّ – بل ذهبنا إلى ما هو أبعد – وهو أن الثلاثي المعاد إليه قابل للردِّ هو ذاته إلى الثنائي مع استمرار الصلة المعنوية بين الثلاثة ، بحسب الاشتقاق اللغوي .

سنحاول في هذا البحث أن نبين أن الثنائية هي الأصل في عدد من الافعال الرباعية والثلاثية ، وأما البقية فسوى فروع أو مشتقات منها وسيتضح ذلك من الأمثلة أن الثلاثيات المردودة اليها الرباعيات يمكن إرجاعها أنفسها إلى ثنائيات .

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مبحثين وتمهيد ، في المبحث الأول نذكر فيه تقسيم العلماء للأفعال من حيث التجرد والزيادة ؛ ليكون القارئ على بِّينة أن هذه القسمة هي مردُّها إلى ما هو موجود في كتب اللغة . أما المبحث الثاني فسيكون للأفعال التي أصولها ثنائية ، وتطلب من ذلك الرجوع إلى المعجم العربي ؛ لنتتبع ذلك ، ليتضح للقارئ حقيقة ما نبحث عنه .

التمهيد :

تعريفه الفعل :

يُعدُّ كتاب سيبويه أول كتاب يدرس علم النحو والصرف والأصوات ويبحث في جوانب هذه العلوم فإذا أردنا تعريف الفعل يجدر بنا البدء بمن بدأ التأليف فيه : (أما الفعل فأمثلة أُخذت من لفظ أحداث الأسماء وبُنيت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع فأما بناء ما مضى

فـ(ذهَبَ وسَمَعَ ومَكَثَ وحَمَدَ ، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك امرا : اذهب واقتل واضرب ، ومخبرا : يقتل ويذهب ، ويضرب ، وكذلك بناء ما لم يقع وهو كائن إذا أخبرت) [1] ، فقد اشار سيبويه هنا إلى أصل الفعل فإنه مشتق من المصدر ، وأشار إلى الأزمنة التي يأتي الفعل عليها : الماضي بقوله لما مضى ، والأمر بقوله لما يكون ولم يقع وللمضارع بقوله ما هو كائن لم ينقطع .

وقال سيبويه في موضع آخر : ((فإذا قال ذهب ، فهو دليل على انّ الحدث فيما مضى من الزمان ، وإذا قال " سيذهب" فإنه دليل على أنه يكون فيما يُسْتَقْبَلُ من الزمان ، ففيه بيان ما مضى وما لم يمضِ منه ، وكما أن فيه استدلالا على وقوع الحدث) [2] قد أشار إلى المعنى الذي يحمله الفعل وهو الحدث والى زمانه .

وبهذا أصبح تعريف الذين أتوا بعد سيبويه للفعل هو ((ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة))[3] ، وهو تعريف ابن هشام .

أما كتب النحو والصرف الحديثة فقد اعتمدت على تعريف ابن هشام للفعل [4] أو عَوَّضوا عن لفظ (ما دَلَّ على معنى في نفسه) بقولهم " حَدث"

---

[1] الكتاب : ١/ ١٢.

[2] المصدر نفسه : ١/ ٣٥.

[3] شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : ١٤، وينظر الأصول في النحو : ١/ ٤١ ، والتكملة : ٥٠٧ ، والمفصل : ٢٤٣، وشرح المفصل : ٧/ ٢ ، والمقرب : ٤٥.

[4] ينظر : الفعل زمانه وأبنيته : ١٦، وجامع الدروس العربية : ٤٣١.

كما في التعريف : ((وهو كلمة دالة على حدث مقترن بزمن مثل : نَامَ الطفل))[٥] .

المبحث الأول :

أوزان الفعل الثلاثي والرباعي المجردة

قد درس الصرفيون الفعل ودلالته وأبنيته وفصلوا القول في أقسامه فالتقسيم الأول على مجرد ومزيد ، فالمجرد : ما كانت جميع حروفه أصلية ، والمزيد ما زاد على حروفه الأصلية بحرف أو اثنين أو ثلاثة وأحرف الزيادة تجمع في القول " سألتمونيها " ، ثم يقسم الفعل على ثلاثي ورباعي ، ولم يبلغ الفعل عندهم خمسة أصول لعلة لفظية ذكرها ابن جني ، إذ قال : ((وذلك أن الأفعال لم تكن على خمسة أحرف كلها أصول ؛ لأن الزوائد تلزمها للمعاني ، نحو حروف المضارعة ، وتاء المطاوعة ، وألف الوصل ... فكرهوا أن يلزمهما ذلك على طولها))[٦] فإذا نظرنا إلى بناء المجرد الثلاثي في صيغة الماضي وجدنا له ثلاثة أوزان بحسب حركة عينه مفتوحة ،مضمومة مكسورة هي ((فعَل ، وفعِل ، فعُل)) وبحسب حركة عينه في الماضي والمضارع إلى ستة أبواب معروفة ، ويرى الدكتور هاشم طه شلاش (رحمه الله تعالى) : وأن ((النظر إلى حركة عين الفعل في

---

[٥] ينظر عمدة الصرف : ١٤.

[٦] المنصف : ١/ ٢٨.

الماضــي يحــلُّ كثيــرا مــن الأشــكال ويجعــل دراســة أبــواب الثلاثــي يســيرة وسهلة))[٧] .

أما الفعل الرباعي فله وزن واحد هو " فَعْلَلَ " نحو : "زَلْزَلَ"[٨] .

أولا : أوزان الفعل الثلاثي المجرد :

الفعل الثلاثي المجرد باعتبار ماضيه :

١ - فعَل :

ذكـر الصـرفيون أن هـذا الـوزن ورد لعـدة معـانٍ فـي اللغـة لا تُحصـى ؛ لذلك لم يحاولوا استقصاءها كاملة[٩] ، قال الرضي : ((اعلم أن باب " فَعَل" لخفته لم يختص بمعنى من المعاني ، بل استُعمل في جميعها ؛ لأن اللفظ إذا خُفَّ كَثُرَ استعماله واتسع التصرف فيه))[١٠] .

٢ - فعِل :

ذكـر الصـرفيون هـذا الـوزن وأشـار بعضـهم الـى أن دلالـة الـوزن تـأتي للصـفات الملازمـة كـــ (الفَرح ، والحـزن ، والأدواء ، ومـا شـابهها ، وفـي الخلـو والامـتلاء : نحـو شَـبَعَ وظَمِـئَ وسَـكَرِ، والألـوان والحليـة والعيـوب : كَسِود ، وحَور ، وشتِر) [١١] ، وأشاروا أيضا إلى مجيء أفعال كُسِرَت عين

---

[٧] أوزان الفعل ومعانيها : ٢٢٠.

[٨] ينظر : الكتاب ٤/ ٧٧.

[٩] ينظر : شرح الشافية ١/ ٧٠ ، دروس في التصريف : ٦٢-٦٣.

[١٠] شرح الشافية :٧٠/١.

[١١] ينظـر : الكتــاب ١٧/٤، شــرح الشــافية : ١ / ٢٠-٢١ ، والافعــال للسرقســطي : ٦٠/١-٦١ ، وارتشاف الضرب :١/ ٧٦-٨١ ، ودروس في التصريف : ٥٧-٦٠ ، وأوزان الفعل ومعانيها : ٣١.

ماضيها ومضارعها وُجُوبا ، على وزن "فعِل يَفْعِل" وأغلبها معتلة الفاء نحو : "وَثِقَ" و " وَمِقَ" و" وَلِيَ" و" وَرِثَ" و"وَرِعَ" [١٢] ، وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى { وَوَرِثَ سُلَيْمِانُ دَاْوُدَ} [١٣]، و في قوله تعالى { أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُون }[١٤] .

٣ -فعُل :

يجمع الصرفيون على أنَّ الأفعال التي تأتي مضمومة العين في الماضي يكون مضارعها مضموم العين أيضا ، ويشترط فيها اللزوم [١٥] ، وقد وضعوا شروطا لهذا الوزن ، ((فلا يجوز أن يكون الفعل أجوفا يائيا ، أو مثالا واوّيا أو يكون اسم الفاعل منه على وزن " فاعِل" أما إذا كانت الصفة على وزن "فَعِيْل" فيندرج تحت هذا الوزن ، ولا يجوز أن يأتي من المضعَّف)) [١٦] ومن الشاذ في غير القرآن الكريم ((دَمَّ يَدَّمُ وألبَّ يَلبُّ))[١٧] .

---

[١٢] ينظر : الكتاب ٤/ ٥٤، المنصف : ٢٠٧/١ ، وابنية الصرف في كتاب سيبويه : ٣٧٩.

[١٣] النمل : ١٦.

[١٤] الأنبياء : ١٠٥.

[١٥] ينظر : المقتضب : ١/ ٧١، والمنصف : ٢١/١ ، والمخصص : ١٤/ ١٢٦.

[١٦] ينظر : شرح شافية ابن الحاجب ٧٦/١- ٧٧.

[١٧] ينظر : الكتاب ١٧/٤، شرح الشافية :١اظم٢٠-٢١ ، اوزان الفعل ومعانيها : ٢٩-٣٠.

واغلب ما يدلُّ عليه هذا الوزن ((الأوصاف الخلقية ومعاني الغرائز ، والطبائع والسجايا ، وهي صفات ملازمة لأصحابها ، إذ لم يكن لهم في اكتسابها أثر)) [١٨].

ثانيا : الفعل الرباعي المجرد :

أجمع الصرفيون على أن للفعل الرباعي المجرد بناءً واحدا لا غير هو فَعْلل يُفَعْلِل ، ويأتي لازما نحو (حشرج – ودربخ – وبرطم) ، ومتعديا نحو : (دحرج – يدحرج) و(بعثر – يبعثر) [١٩] ، ويكون الرباعي المجرد على نوعين :

الأول : مضَعَّف ، وهو ما كان " فاؤه" و" لامه" الأولى من نوع واحد ، وعينه ولامه الثانية من نوع آخر ، وقد يكون مرتجلا نحو : زلزل – يزلزل ، وقلقل – يقلقل ، وسلسل – يسلسل ، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى { وزُلزلوا زِلزالا شديدا }[٢٠] ذكر السمين الحلبي القراءات الواردة في هذا الفعل إذ قال : ((وزُلزلوا " قرأ العامة بضم الزاي الأول وكسر الثانية على أل ما لم يُسَم فاعله وروى غير واحدٍ عن أبي عمرو وكسر الأول ، وروى الزمخشري عنه إشمامها كسرا ووجه هذه القراءة أن يكون اتبع الزاي الأولى

---

[١٨] ينظر : ليس في كلام العرب : ٧٣ ، والمنصف : ١/ ٢٤٠ ، ودقائق التصريف : ١٨٥، وارتشاف الضرب : ١/ ١٥٣.

[١٩] ينظر : الكتاب ٤/ ٧٧-٧٨ ، وشرح الشافية : ١/ ٢١ ، وشذا العرف .

[٢٠] الاحزاب : ١١.

للثانية في الكسر ، ولم يَعْتَدَّ بالساكن ؛ لكونه غير حصين ، كقولهم " مِئتِين : بكسر الميم والأصل ضَمَّهما))[٢١].

اراد السمين هنا أن يوجّه كسر الزاي الأولى باتباعها الزاي الثانية ومثل بـ " مِئتَن" و" أنْبُؤُك" يريد " أَنْبئُك"[٢٢]

الثاني : الفعل الرباعي غير المضعف وهو ما اختلفت حروفه الأربعة نحو :

دحرج وبعثر وسرهف [٢٣]، وقد يُصَاغ من مركب قصدا إلى اختصاره ؛ للدلالة على حكايته نحو : بَسْمَلَ ، إذا قال :باسم الله ، سبْحَل : إذ قال سبحان الله ، حوْقَلَ وحَمْدلَ وغيرها [٢٤] .

أوزان الفعل الثلاثي المزيد ودلالته

الفعل المزيد : هو ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية ، نحو : (أَخَرجَ ، قاتل ، اسْتَعْصَمَ)[٢٥]

وبناءً على عدد أحرف الزيادة التي تلحق أحرفه الأصول يقسم على ثلاثة أقسام :

---

[٢١] الدُّرَ المَصُون : ٩/ ٩٩ ، وينظر ٨/ ٢٢١.

[٢٢] الكتاب : ٢/ ٢٥٥.

[٢٣] ينظر : الكتاب : ١/ ١٧٧ ، ٢/ ٢٤٥- ٢٤٦ ، ٣٤٠ ، وأبنية الصرف : ٣٨٩.

[٢٤] ينظر : دروس في التصريف ١/ ٦٩.

[٢٥] ينظر : الكتاب ٤/ ٢٣٥-٢٣٩ ، وارتشاف الضرب : ١/٨٣ ، وأوزان الفعل ومعانيها : ٥٦-٧٣.

القسم الأول : المزيد بحرف : وله ثلاثة أوزان :

أ أفْعَل :

زيدت فيه الهمزة قبل الفاء ، ويُعَدُّ الوزن الوحيد بين الأفعال الثلاثية المزيدة ، الذي صارت همزته همزة قطع ، وتسكن الفاء من كل فعل ثلاثي صحيح حي زيادة الهمزة قبلها ، ليصبح على وزن (أَفْعَل) [٢٦] ، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى { قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ }[٢٧] ، قال السمين : ((العامَّة على " أفلح" مفتوح الهمزة والحاء فعلا ماضيا مبنيا للفاعل .. وقرأ طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد " أَفْلِحَ" مبنيا للمفعول أي : دخلوا في أُفْلِحَ الفلاح ، فيحتمل أن يكون من أفلح متعديا ، يُقال : أفلحه أي : أصاره إلى الفلاح ، فيكون أفلح مستعملا لازما ومتعديا))[٢٨] .

دلالة أفعل في الكلام :

تعددت الأوجه لهذه الصيغة فقد ذكر لها اللغويون أرْبعا وعشرين دلالة أولها كما في قوله تعالى : { صِرّاطَ ٱلَّذِينَ انْعمتَ علَيْهم }[٢٩] ، إذ ذكرها السمين الحلبي بقوله : ((الهمزة في " انعمت " لجعل الشيء صاحبَ ما صيغ منه فحقَّه أن يتعدّى بنفسه ولكنه ضُمِّنَ معنى تَفَضَّل فتعدى تعديتَه ، ولأفعل أربعة وعشرون معنى ، تقدم واحد والباقي : التعدية نحو : أَخْرَجْتهُ ،

---

[٢٦] ينظر : الكتاب ٤/ ٥٥، والمقتضب : ٧٢/١، إصلاح المنطق : ٢٢٧/٢.

[٢٧] المؤمنون : ١.

[٢٨] الدُّر المصُوْن : ٣١٣/٨ – ٣١٤، وينظر : البحر المحيط ٦/ ٣٩٥ ، واتحاف فضلاء البشر :٢/ ٢٨١.

[٢٩] الفاتحة : ٧.

والكثرة نحو " أَظْبَي المكان أي كَثُر ظِباؤه ، والصيرورة نحو : أَغَدَّ البعير إذا صار ذا غُدَّة ، والإعانة نحو : أحْلَبْتُ فلانا أي أعَنْتُه على الحَلْبِ ، والسَّلْب نحو : أشْكَيْتُه أي : أزلت شِكايته والتعريض نحو : أَبَعْتُ المتاعَ ، أي عَرَضْتُه للبيع ، وإصابة الشيء بمعنى ما صيغ منه نحو : أحْمَدتُه أي وجدته محمودا ، وبلوغ عدد نحو : أعْشَرَتِ الدراهم ، أي بلغت عشرةٌ ، أو بلوغ زمان نحو : أَصْبَحَ أو مكان نحو : أَشْأَمَ ، وموافقة الثلاثي نحو : أحَزْتُ المكان بمعنى حُزْته ، أو أغنَى عن الثلاثي نحو : أرْقَلَ البعير ، ومطاوعة فَعَل نحو : قَشَع الريح فأقْشَع السحابُ ، ومطاوعة فَعَّل نحو : قطَّرْته فأَقَطَرَ ، ونفي الغريزة نحو : أسرع ، والتسمية نحو أَخْطَأْتُه أي سميتهُ مخطئا ، والدعاء نحو : أسْقَيْتُه أي قلت له : سَقالك الله ، والاستحقاق نحو : أحْصَدَ الزرعُ أي أستحق الحصاد والوصولُ نحو : أغْفَلته ، أي وَصَّلتُ عَقْلِي إليه ، والاستقبال نحو : أَفَقَتُه أي استقبلته بقولي أُفّ ، والمجيء بالشيء ، نحو : أكثرتُ أي جئت بالكثير ، والفرق بين أَفْعَل وفَعَل نحو : أشرقت الشمس أضاءت ، وشَرَقَتْ : طَلعت ، والهجوم نحو : أطْلَعْنُ على القوم أي اطْلَعْتُ عليهم))[٣٠] .

وذلك في قوله تعالى { وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ }[٣١] ، إذ قال السمين الحلبي : ((وقرئ تُدْرسون من أُدْرَس كتُكْرَمون من أكْرَمَ على أنَّ أفْعَل بمعنى فَعَّل بالتشديد فأدْرَسَ ودَرّس واحد كأكرم وكَرَّم وأَنْزَل ونَزّلَ))[٣٢] .

---

[٣٠] الدُّرَ المَصُوْن : ١/ ٦٨.

[٣١] آل عمران : ٧٩.

[٣٢] الدُّرَ المَصُون : ٣/ ٢٧٨ ، والقراءة لأبي حيوة ينظر : تفسير القرطبي ٤/ ١٢٣.

ب -فعَل :

وهو الفعل الثلاثي المزيد بالتضعيف العين ، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى { فَزَيَلْنا بَيْنَهُم }[٣٣] قال السمين : ((فَزَيَّلْنَا : أي فرّقنا ومَيَّزْنا ... واختلفوا في زَيّل هل وزنه فعّل أو فيْعَل ؟ ، والظاهر الأول ، والتضعيفُ فيه للتكثير لا للتعدية لأنّهُ ثلاثي متعدٍّ بنفسهِ ... ويقال زلِت الشيء عن مكانه أزيله ، وهو من ذوات الياء)) [٣٤] .

ج- فاعَل :

وقد زيدت الألف بعد فاء الفعل قال سيبويه : ((وتلحق الألف ثانية فيكون الحرف فاعَل))[٣٥] . ومن أمثلته في القرآن الكرؤيم قوله تعالى { يَخّادِعُونّ اللهَ وَالَّذينَ آمنُوا }[٣٦] ، قال السمين : ((الخِداع أصله الإخفاء ومن الأخدعان : عِرقان مستنبطان من العُنُق ومنه مخدع البيت ، فمعنى خادع أي : مُوهِمٌ صاحبه خلافَ ما يريد به من المكروه .. ومعنى يخادعون الله أي من حيث الصورة لا من حيث المعنى ، وقيل لعدم عرفانهم بالله تعالى وصفاته ظَنُّوُهُ ممن يُخادَعُ))[٣٧].

---

[٣٣] يونس : ٢٨.

[٣٤] الدُّرَ المَصُوْن : ٦/ ١٩١.

[٣٥] الكتاب : ٤/ ٢٨٠.

[٣٦] البقرة : ٩ .

[٣٧] الدُّرَ المَصُوْن : ١/ ١٢٥.

القسم الثاني : الفعل الثلاثي المزيد بحرفين :

ويأتي على الأوزان الآتية :

١ انْفَعَل :

وهو الفعل الثلاثي المزيد بالهمزة والنون في أوله ، وقد ذهب علماء الصرف إلى أن الأصل الغالب في هذا البناء أن يجيء مطاوعا للفعل الثلاثي المتعدي لواحد ، لتمكين المطاوعة ، فيأتي (انْفعل) لذلك غير متعدٍّ نحو قطعته فأنقطع [٣٨] .

٢ افْتَعَل :

هو ما زيدت " الألف " في أوله والتاء بعد فائه ، قال المازني : وتلحق التاء ثانية ويكون الفعل على (افْتَعَل) ويسكْن أوَّل حرف منه ، فتلزمه ألف الوصل في الابتداء ، نحو : اجْتَرَح واكتسب[٣٩] ، وكذلك من الأفعال (٣) افعلَّ (٤) تَفعلّ (٥) تفاعل .[٤٠]

٣ تَفاعَل :

تَفَاعَل : الثلاثي المزيد بتاء وألف : مضارعة يتفاعل [٤١] ، وقد ورد في قوله تعالى : ((تَظَاهَرُون عَلَيْهِم بالأثِم وَالعُدْوَانِ))[٤٢] ، ذكر السمين فيه

---

[٣٨] ينظر : الكتاب ٤/ ٦٥ ، والمقتضب ٢/ ١١٤، والمفصل :٨١.

[٣٩] المنصف : ١/ ٧٤.

[٤٠] ينظر : الكتاب ٤/ ٢٦-٦٩، شرح الشافية :١٨/١.

[٤١] ينظر : الكتاب ٤/ ٦٩.

[٤٢] البقرة : ٥٨.

قراءة ((" تَظَاهرون" قال : والأصل تتظاهرون فأُدْغِمَ لقرب التاء من الظاء ، و" تَظاهرون " مخففا والأصل كما تقدم ، إلا أنه حفظه بالحذف))[٤٣].

وقولـه تعـالى ((تَبـارَك الَّـذِي نَـزَّلَ الفُرقَـانَ))[٤٤] ، ذكـر السـمين : ((أن تبارك تعني تعالى شأنه في ذاته وصفاته وأفعاله على أتم وجه))[٤٥]

٤ - تَفَعَّل :

الفعل الثلاثي المزيد بتاء وتضعيف العين ومضارعه " يَتَفَعَّل " ، أشار سيبويه[٤٦] ومن تبعه من علماء الصرف[٤٧] واللغة [٤٨] إلى مجيء " تَفَعَّل" لمطاوعة " فَعَّل" وذكر الرضي أن معنى المطاوعة يكون في "تَفَعَّل" التي للعمل المتكرر في مهلة قال : (("تَفَعَّل" الذي للعمل المتكرر في مُهْلَةٍ مطاوعُ " فَعَّل" الذي للتكثير ، نحو :جرّعتُهُ الماء فَتَجَرَّعْتَهُ ، أي : كَثرتُ لك جَرْع الماء ، فتقبلت ذلك))[٤٩].

---

[٤٣] الدُّرَ المَصُون : ١/ ٤٧٨- ٤٧٩.

[٤٤] الفرقان : ١.

[٤٥] المصدر نفسه : ٨/ ١٧٥.

[٤٦] الكتاب : ٤/ ٨٣ .

[٤٧] ينظر : المقتضب ٢/١، ٧٨/ ١٠٥ ، والممتع في التصريف : ١/ ١٨٣، وشرح الشافية : ١٠٥/١.

[٤٨] ينظر : ديوان الأدب ٢/ ٤٦٥، والمخصص : ١٤/ ١٧٥.

[٤٩] شرح الشافية : ١/ ١٠٥- ١٠٦.

القسم الثالث : الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف :

وهو ما تضمن ثلاثة أحرف مزيدة وهي تكون إما مجتمعة من قبل الفاء وأما أن تسبق فيه زيادة قبل الفاء وتتأخر زيادتان بعدها ، أو بعد العين وأوزانه هي على النحو الآتي :

١ - اسْتَفْعَلَ :

بكسر الهمزة وسكون السين وفتح التاء وسكون الفاء وفتح العين واللام مضارعه يَسْتَفْعِل بفتح الياء وسكون السين وفتح التاء وسكون الفاء وكسر العين وهذا الوزن هو الأول من أوزان الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف ، وقد زيدت الهمزة والسين والتاء في أوله قال سيبويه : ((وتلحق السين أولا ، والتاء بعدها ثم تسكن السين ، فتلزمها الف الوصل في الابتداء ، ويكون الحرف على استفعل – يستفعل))[٥٠] .

٢ - افْعَوْعَل :

هو ثاني وزن من المزيد بثلاثة أحرف ، وهذا الوزن يأتي ؛ للدلالة على المبالغة في أصل الفعل ، قال سيبويه : ((وسألت الخليل فقال : كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد))[٥١] ، وذلك نحو : اعشوشب المكان كثر عُشْبُه .

---

[٥٠] ينظر : الكتاب ٤/ ٢٨٣ ، والمنصف : ١/ ٧٧.

[٥١] الكتاب : ٤/ ٧٥.

٣ -أفعالّ بتضعيف اللام [٥٢] نحو ازراقّ واحّمار .

هذا هو المألوف بين جمهرة الصرفيين في تقسيم الأفعال المجردة ومزيدة ، فضلا عن المبادلة بين هذه الأفعال،لم اذكرها لعدم الحاجة اليها في هذا التقسيم . إذ لاحظنا أن الثلاثي هو الغالب من هذا القسم من دون أن يعرضوا إلى الثنائي من تقسيمهم هذا .

المبحث الثاني : الأفعال الرباعية التي أصولها ثنائية :

إنّ الخليل أول من أشار إلى فكرة الثنائي في الأبنية عندما أشار إلى أصل الثلاثي ، وهو نوعان : ثنائي بالشكل الثلاثي بالحقيقة ، وهو المضعّف ، مثل : مدّ وصفّ وعمّ ، وهذا النوع هو الذي أراده بالثنائي .

ونوع ثانٍ هو الثلاثي بالشكل والحقيقة مثل : ذهَب ، وعى ، ونوى ، وسما . لقد قسّم الخليل أبواب كتابه على الثنائي وأراد به المضعّف ، ثم الثلاثي ، ثم الرباعي ، ثم الخماسي .[٥٣]

وفيما يلي سأذكر الأفعال التي أصولها ثنائية وهي على النحو الآتي :

١ -((اِشمأْزّ)) من شَمأز : نفر منه كراهة وانقبض . وهو من الثلاثي " شَمَزَ " . ومنه شمزت نفسه من الشيء : عافته وتقزّزت منه لكراهته . تشمَز وجهه : تقبض . أي غيَّر وجهه أو قطَّبه غيظا .

لكن هذا الثلاثي " شمَز" صادر عن الثنائي " مَزْ " . ومنه المزّ من الرّمان : ما كان طعمه بين حموضة وحلاوة . والمزازة طعم بين

---

[٥٢] ينظر التكملة : ٢١٨.

[٥٣] بالامكان الرجوع الى ابواب كتاب العين ، لأفادة من ذلك .

حلاوة وحموضة . والمزّة : الخمر فيها حموضة . والحموضة في الخمر والتمر تبعث الى تغيّر في الوجه وتقطيب في الجبين . والصلة المعنوية ظاهرة بين الثنائي والثلاثي ، كما بين الثلاثي والرباعي [٥٤] .

٢ -((دحرج)) : اداره على نفسه متتابعا في حدود . اشتق من " دحر " الدال على الدفع والابعاد . أما "دَحَر" فآت من " دح" بمعنى : دفع وبسط .[٥٥]

٣ -((افرنقع)) : تفرق . من" فرقع" : فرق . وهذا صادر من " فرق" . وفرق مشتق من الثنائي " فق" : انفرج.[٥٦].

٤ -((قرَطب)) : الجزور : قطع عظامها . من " قرط" . وهذا من الثنائي " قط" . وفي جميعها معنى القطع [٥٧].

٥ -((قرَضم)) : من " قرض". وهذا الثلاثي من " قض" . وفي كلها دلالة الكسر والقطع [٥٨] .

٦ -((قرضَب)) : قطع ، فرق . من " قضب" : صرم . وهو من الثنائي " قض".[٥٩]

---

[٥٤] ينظر : لسان العرب " شمز" و" مز"

[٥٥] ينظر : لسان العرب "دحرج"و" دح ح".

[٥٦] ينظر : لسان العرب " فرع " و" مزق" و" فقق" .

[٥٧] ينظر : لسان العرب " قرط" و" قطط" و" قرب" .

[٥٨] ينظر : لسان العرب " قرض " و" قرم" و" قضض" .

[٥٩] ينظر : لسان العرب " قرض" و"قصب" و" قضض"

٧ -((بـرقَش)) : خلـط الكـلام ، اختلـف لونـه ، و- الشـيء : نقشـه بـألوان شتى . من " رقش" : نقش ، زّين ، زخرف ، زوّر . وهو من الثنائي " رقّ " لطف ، حسن .[٦٠]

٨ -((بَعزَق)) : فرّق . صادر من " عزَق " فلانٌ الأرض : شقها وكربها . وهو آت من " عق" الثوب : شقه .[٦١]

٩ -((زعبَق)) : القوم . من " زعب" الشـيء : قطعـه . وهذا الثلاثـي من الثنائي " زَع" الظاهر في " زعزَع ، زعا ، زاع " : قطع .[٦٢]

١٠ -((إشمَعلّ)) : جدّ الرجل في المضـيّ . وهو من " مَعَل " : أسرع في سيره . وهذا من " مَعَ " في " مَعمَع " : عمل في عجل .[٦٣]

١١ -((جندل)) : صرعه على الأرض . من " جدل" : رماه على الجدالـة ، وهـي الأرض الصـلبة . وجدل الثلاثـي مشـتق مـن الثنـائي " جـدّ" : اشتدّ. [٦٤]

١٢ -((تَحذلق)) : تطرّف وتكيَّس ، مثل " حَذلق" : اظهر الحذق . وهو من " حذِق" : مهر فيس الأمر واتقنـه، أي عرف كيفيـة القطـع فيـه . وحذق من الثنائي " حذ" : قطع .[٦٥]

---

[٦٠] ينظر : لسان العرب " رقش" و" رقق"

[٦١] ينظر : لسان العرب " عزق " و" عقق" .

[٦٢] ينظر : لسان العرب " زعب" و" زكع" .

[٦٣] ينظر : لسان العرب " معل" و" معع" .

[٦٤] ينظر : لسان العرب " جدل" و" جدد" .

[٦٥] ينظر : لسان العرب " حذق " و"حذذ" .

١٣ -((خَتَلع)) : برز أو خرج إلى البدو . وهو من " خَتَع" : ذهب وانطلق . والثلاثي من الثنائي " تَعّ" : استرخى أي امتد ، أو من " تعا" : عدا ، أو من " تاع" : سال وانبسط على وجه الأرض ، ذهب إلى المكان وغيره ، أو من " تَعْتَع" : حرّك بعنف ، أقبل به وأدبر . وفي كلها معنى الحركة والامتداد والذهاب .[٦٦]

١٤ -((إبذعرّ)) الناس : تفرقوا وفرُّوا . من " بَذعَر" الصادر من " بَذر" الحب : ألقاه في الارض متفّقا . وبذر الله الخلق في الارض : فرقهم . و" بذر" مشتق من " ذر" الحبَ : فَرَقه ونثره . [٦٧]

١٥ -((احرنجم)) القوم : اجتمع بعضهم إلى بعضهم . من " حَرَجم " الإبل : ردّ بعضها الى بعض . يرد هذا الى الثلاثي " حرج" بمعنى ضاق . لكن لا لحمة معنوية ملائمة بين الاثنين ، فالأولى في نظرنا ردّه الى " الثنائي ودلالته : كَثُرَ واجتمع .[٦٨]

١٦ -((هيهب)) : أسرع . من " هَبْ" : أسرع ونشطٍ .[٦٩]

١٧ -((هَمرج)) عليه الخبر : خلطه عليه . ومنه " الهْمَرَجة " التخطيط ولغط الناس . من " هَرجَ" الحديث : خلط فيه . وهرّج في الحديث : مزَج وأتى ما يضحك منه . وهو من " هجّ" ، وهَجهَج " الفحل في

---

[٦٦] ينظر: لسان العرب " ختع" و" تقع".

[٦٧] ينظر : لسان العرب " بذر " و" ذرر" .

[٦٨] ينظر : لسان العرب " حرج" و" رحم" و" رجم" .

[٦٩] ينظر : لسان العرب " هبب " و" هيب" .

هديره : صاح شديدا . وهجهجَ بالبعير : صاح به وزجره ليكفَّ . وهجَّت النار : أتقدت وسُمِع استعارها . وهَجَ : زجر للكلب .[٧٠]

١٨ -((هَردَب)) : عدا عدوا ثقيلا . من " هرَب" : فرّ وهو من " هَبّ " السائر من الانسان والحيوان : نشط وأسرع [٧١].

١٩ -((اهرَمَع)) أسرع في مشيه . من " هرَع" : مشى مضطربا مسرعا . وهرع صادرٌ من " رعّ ، رَعرعَ" الماء الصافي : اضطرب على وجه الأرض . وترعرع الصبي : تحرَك . وترَعرَعت السن : قلقت وتحركت .[٧٢]

٢٠ -((تَمَنْطَقَ)) أظهر علمه بالمنطق . لكن " تمنطق " له معنى آخر بعيد عن هذا ، وهو لبس المنطقة ، وهي الحياصة ، أو النطاق . كما يقال أيضا " تَنطَّقَ" : شدّ وسطه بمنطقة . ونطقه : ألبسه المنطقة . فعلى رأينا أن " نطق" الدال على التكلم في الخارج ، وعلى الادراك في الداخل ، صادر من الثنائي " نط " : هذر . وأما " نطَق " المشتق منه " نطَّق وانتطق والمنطقة وتمنطق " الدال على الوسط والشِقة التي يشدّ بها الوسط ، فهو ناشئ عن " طَقّ " في " طاق" ، ومنه " الطوق" ، وهو كل ما استدار بشيء . وطائق كل شيء : ما استدار به . من جبل أو أكمه . و" الطاق" : ما عُطف

---

[٧٠] ينظر : لسان العرب " هرج" ، و"هجج" .

[٧١] ينظر: لسان العرب "هب" ، " هبب" .

[٧٢] ينظر : لسان العرب " هـ ع" و" ع ع" .

من الأبنية أي جُعِل كالقوس من قنطرة ونافذة وما أشبه . ومنه تطوّقت المرأة " لبست الطوق " وهو حلي للعنق يحيط به .[٧٣]

٢١ -((تملمّل))- من مَلمَله المرضُ : جعله يتمَلمَل ، أي يتقلب على فراشه . و" مَلمَل" : من " مَلّ" : تقلب مرضا أو غما.[٧٤]

٢٢ -((بَذرَق)) : المال : بدَده من " بَذَر" : فرَق . وهو من " ذَرّ" نشر ، فرق .[٧٥]

٢٣ -((اقشعرَّ)) – من " قشعَر " ، ومنه " القُشَعْرِيرَة" : ارتعد جلدُه ، وقفّ وتقبض . وهو من "شعِر" كثر شعره . والثلاثي من الثنائي " شَعّ" لان من خاصة الجلد الشعاع أو التقبض .[٧٦]

٢٤ -((عَرقل)) الكلام : عوَجه . من " عقل" : ربط ، شدَ . وهو من " عَقّ " : عصا . وفيه معنى القوة والشدة [٧٧].

٢٥ -((تمشْدَق)) من " شَدَقَ" ومنه تشدَق " : تفاصح . وشدَق مشتَق من " شق" . لأن الشدقين هما طرفا الفم ، أي شفَاه .[٧٨]

٢٦ -((هَذرَم)) النائم : أكثر الكلام وخلط فيه . من " هذر" : خلط وتكلم بم لا يبغي . وهو من " هذ " تكَم بغير معقول ، لمرض

---

[٧٣] ينظر : لسان العرب " نطق " و" نطط" .

[٧٤] ينظر : لسان العرب " ملل" .

[٧٥] ينظر: لسان العرب " بذر" و"ذرر".

[٧٦] ينظر : لسان العرب " شعر" و" شعع" .

[٧٧] ينظر : لسان العرب " عقر" و" عقق" .

[٧٨] ينظر : لسان العرب " شدق" و" شقق" .

أو غيره .[٧٩] ((دَملّج)) الشيء : إذا سوّى صيغته ، كما يُصاغ الدَملج ، وهو حلي يلبس في المعصم . من " دّمّج" : دخل الشيء واستحكم فيه . والثلاثي من الثنائي " دَجَ" : اظلم ، ؟؟ أي تداخل ظلامه بعضه في بعض .[٨٠]

٢٧ -((دَملك)) الشيء : ملَّسه . من " دَمك" الشيء : املسه . وهو من " دَم " طلى [٨١].

٢٨ -((قرفص)) : جمع وشدَ يديه تحت رجليه . ومنه جلس القرفصاء . من " ققص" الشيء : جمعه وقرب بعضه الى بعض . وققص ناشئ من " قف" الشيء : انضم بعضه الى بعض [٨٢].

٢٩ -((اشمخَرّ)) : ارتفع ارتفاعا كبيرا . من " شَمْخر" تكبَّر . وهو من " شمَخ" : ارتفع كثيرا وشَمخ الثلاثي صادر من " شمّ" ارتفع وتكبر ، أو من " شما" : علا أمره . [٨٣]

٣٠ -((تَمسَكن)) : صار مسكينا ، أي فقيرا شديد الاحتياج . من " سكن " أي قرّ ؛ لأن الفقر يقلل حركة المعوزّ ويذله . وسكن مشتق من الثنائي " كَنَ" [٨٤]

---

[٧٩] ينظر : لسان العرب " هذر " و" هذذ" .

[٨٠] ينظر : لسان العرب " رجح" و"دج ج" .

[٨١] ينظر : لسان العرب " دمك " و"دحم" .

[٨٢] ينظر : لسان العرب " ققص" و"ققف" .

[٨٣] ينظر : لسان العرب "شمخ" و"شمم" .

[٨٤] ينظر : لسان العرب " سكن" و" كنن" .

٣١ -((هَدمَل)) الرجل : خرّق ثيابه . من " هدَم" الثوب : رقعه ،والهدم والهدمة : الثوب الخلق المرَّقع . وهو من " هدّ" الرجل : هرَم .[٨٥]

٣٢ -((هَرجَل)) : اختلط مشيه . من " هرَج" الفرسُ : جرى واسرع في عدوه . وهرَج من " هجّ" : اتقدت النار . والاتقاد حركة سريعة .[٨٦]

٣٣ -((هَزمَل)) الرجل : افتقر . وهو من " هزل" ، وهذا من " هزّ" " ذال .[٨٧]

٣٤ -((إزلغَبَ)) الفرخ : طلع ريشه . والشعر . نبت بعد حلقه . من " زغب" الفرخ : نبت زغبه وهو ناعم الريش . وزغب آتٍ من " زبَّ" : كان أزبَّ . والأزب : ذو الزَبب مثل الزغب : صغار الريش [٨٨]

٣٥ -((زَحلف)) : دحرج من " زحف " مشى . وهو من " زحّ " : نحى .[٨٩]

٣٦ -((طغمش)) : كان في بصره ضعف . الأفضل أن هذا الفعل مأخوذ من " طمس " البصر : ذهب ضوؤه . وهو من " طمّ" غمر .[٩٠]

٣٧ -((فرتَّك)) الشيء : قطعه من " فرت" : فرت الرجل يفرت فرتا : فحر ، وفرن من " فتّ" : كسر .[٩١]

---

[٨٥] ينظر : لسان العرب " هدم " و" هدد" .

[٨٦] ينظر : لسان العرب " هرج" و" هجج" .

[٨٧] ينظر : لسان العرب " هزل" و" هزز" ؟

[٨٨] ينظر : لسان العرب " زغب " و" زبب" .

[٨٩] ينظر : لسان العرب " زحف" و" زحح"

[٩٠] ينظر : لسان العرب " طس" و " طمم".

[٩١] ينظر : لسان العرب " فرت " و" فتت" .

٣٨ -((فرشح)) فتح ما بين رجليه . من " فرَش" : بسط . وهو من " فشّ" : المرأة نفشها فشا نكحها .[٩٢]

الخاتمة :

نخلص مما ذهبنا إليه إنَ الأفعال من حيث عدد حروفها تقسم على مجردة ومزيدة ، والمجرد منها يكون على نوعين : ثلاثيا ورباعيا ثم اشتقاق المزيدات من المجردات ، بزيادة حرف او حرفين أو ثلاثة . وبامكان ردّ الرباعي المجرد قابل للردّ إلى الثنائي . وأول من اشار للثنائية في الكلام الخليل بن احمد الفراهيدي من خلال تقليباته للثنائي في معجم العين .

المصادر :

القرآن الكريم .

-أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، خديجة الحديثي ، منشورات مكتبة النهضة ببغداد ط١، ١٣٨٥هـ -١٩٦٥م .

-أتحاف فضلاء البشر لقراءات الأربعة عشر ، أحمد بن أحمد الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ) تحقيق وتقديم : الدكتور شعبان محمد اسماعيل ، عالم الكتب ، بيروت ط١ ، ١٩٨٧م .

-ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي : أثير الدين أبي عبد الله محمد يوسف (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد مصطفى التمّاس ، مطبعة المدني ، القاهرة ط١ ، ١٩٨٧م .

---

[٩٢] ينظر : لسان العرب " فرش " و" فشش" .

-اصلاح المنطق ، لابن السكيت : أبي يوسف يعقوب بن اسحاق (ت٢٤٤هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بالقاهرة ط٤ ، ١٩٧٧م.
-الأصول في النحو ، لابن السراج : أبي بكر محمد بن السريّ (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٢ ، ١٩٧١م.
-الأفعال ، لأبي عثمان سعيد بن محمد المعافري السرقسطي ، تحقيق : حسين محمد محمد شرف ، ومراجعة : الدكتور محمد مهدي علام ، الهيأة العامة للشؤون المطبعة الأميرية ، القاهرة ، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م .
-أوزان الفعل ومعانيها ، تأليف : الدكتور هاشم طه شلاش ، مطبعة الأداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧٧م.
-البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، مصر، ١٣٢٨هـ .
-التكملة ، لأبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة : كاظم بحر مرجان ، بغداد ،١٩٨١.
-التكملة ، وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي ، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (٢٨٨– ٣٧٧هـ) ، تحقيق : الدكتور حسن شاذلي فرهود ، المكتبة السعودية ، ط١ ،١٩٨١م .
-جامع الدروس العربية ، للشيخ مصطفى الغلاييني ، راجع هذه الطبعة ونقحها : سالم شمس الدين ، دار الكوخ للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ، احمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد محمد الخراط ، دار القلم ، دمشق ط١ ، ١٤٠٦- ١٤١٥هـ ، ١٩٨٦-١٩٩٤م .
-دقائق التصريف : لابن المؤدب ، تحقيق الدكتور حاتم الضامن والدكتور أحمد ناجي العمر ، ط١ ،١٩٨٧ منشورات المجمع العلمي العراقي ، بغداد .
-دروس في التصريف : الدكتور محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ط٣ ، ١٣٧٨هـ -١٩٥٨م .
-ديوان الأدب ، اسحاق بن ابراهيم الفارابي (ت ٣٥٠هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر ، القاهرة ١٩٧٠م .
-شذا العرف في فن الصرف ، تأليف الأستاذ الشيخ أحمد الحملاوي ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ط٥، ١٣٤٥هـ- ١٩٢٧م.
-شرح شافية ابن الحاجب ، رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي (ت ٦٨٦هـ) ، تحقيق : محمد نور الحسن ، ومحمد الزفاف ، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
-شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ابن هشام الانصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق : حنا الفاخوري ، دار الجيل ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٨م.

-شرح المفصل ، لابن يعيش : موفق الدين علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) ، عنيه بطبعه ونشره إدارة الطباعة المنيرية د.ت .
-عمدة الصرف ، تأليف الدكتور كمال ابراهيم ، دار الكتب للطباعة والنشر ، ٢٠٠١م .
-العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٢م .
-الفعل زمانه وابنيته ، الدكتور ابراهيم السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، مطبعة العاني – بغداد ، ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م .
-كتاب سيبويه ، لابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٣ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
-لسان العرب ، لابن منظور ، ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٦م .
-ليس في كلام العرب ، لابن خالويه : أبي عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق : الدكتور أبو الفتوح شريف ، الناشر مكتبة الشباب ، القسم الأول د. ت.
-المنصف : لابن جني ، تحقيق الاستاذين : ابراهيم مصطفى و عبد الله أمين ، دار احياء التراث القديم ط١ ، ١٩٥٤.

بيت المراسل (E_2.KAS/S_4, E_2.KAŠ$_4$)
في النصوص المسمارية السومرية
(محطة او بيت الاستراحة)[١]

الاستاذة الدكتورة نواله احمد المتولي

جامعة بغداد- كلية الاداب

الملخص :

لا تـزال كثيـر مـن المصـطلحات اللغويـة التـي وردت فـي الكتابـات المسمارية من بلاد الرافدين غير مترجمة بشكل نـهائي ويشوبها الغموض في بعض الاحيان ، سواء في النصوص السومرية او الاكديـة ، خاصـة اذا ما عرفنا ان اولى الترجمات وردتنـا عن طريق من قام بحل رموز الكتابـة وترجمتها من الباحثين الاجانب الذين يجهلون اللغة العربية ومفرداتـها .

ورد المصطلح (E_2.KAS/S_4; KAŠ$_4$) في النصوص السومرية منذ وقـت مبكـر مـن تـاريخ بـلاد الرافـدين ، ويعنـي حرفيـا "بيـت الطريـق" او " بيت المراسل" ، وهي اشـارة واضحـة الـى البيوتـات التـي تنشأ او تقام على الطريق لاغراض عدة ، على سبيل المثـال ، الاستراحة اثنـاء السفر ، وربما احيانا للمبيت ليلة واحدة او اكثر ، وبشكل خـاص لاولئـك الاشخـاص الذين يقومون اما بايصال الرسائل (البريد) او الـذين يقومـون بنقل المؤن

---

[١] القي البحث في المؤتمر الدولي الثاني الذي اقامته كلية العلوم السياحية – جامعة كربلاء للمدة من ١١-١٢/ آذار/ ٢٠١٤ ، الا ان بحوث المؤتمر لم تنشر من قبل الكلية المذكورة .

والمواد الغذائية والمواد الاخرى بين المدن مع بعضها او بينها وبين الاقاليم التابعة لدولة اور الثالثة ، اما لاغراض التجارة او لاغراض ادارية او ربما عسكرية.

المقدمة :

المصطلح في اللغة العربية :

اذا ما رجعنا الى اللغة العربية فمعنى البيت هو " المسكن" ، وقيل بيت الله اي " المسجد او "مقرات الصلاة " ، وبيت الرجل " امراته وعياله" ، وبيت الشعر " كلام موزون على صدر وعجز" ، وبيت القصيد " احسن ابيات القصيدة " ، وقيل " جاري بيت بيت " اي "ملاصق".

ان اصل كلمة بيت في اللغة العربية من الفعل "بات" ، و"بات فلان" اي " ادركه الليل" سواء نام ام لم ينم" ، والشيء اذا مضت عليه ليلة يقال له " بائت " ، فعلى سبيل المثال ، "خبز بائت او " شراب بائت" او "طعام بائت" ، والفعل بات اي "جعله يبيت ، والبيات يقال " أتاهم الامر بياتا " اي "في جوف الليل"[٢].

---

[٢] مصطفى ، ابراهيم وآخرون ، المجمع الوسيط ، الجزء الاول ، بدون سنة طبع ، ص٧٧ .

مـن مجمـل هـذه التفسـيرات لمعنـى كلمـة "بيـت" (وجمعـه بيـوت او أبيـات) ، مـن الممكـن ان نعطـي تفسـير للمصـطلح السـومري (E_2.KAS/S_4,KAŠ$_4$) بانـه " بيـت الطريـق" او "بيـت المراسـل" ، وهـو المسكن الذي يبيت فيه الانسان ليلا او "يستريح فيه نهارا " ، اما في اللغة الانكليزية فقد ترجم المصطلح (House Road) "بيت الطريق" او "محطة".

المصطلح في النصوص السومرية

قبل ان نبدأ بتفسير المصطلح السومري (E_2.KAS$_4$, E_2.KAŠ/Š$_4$)، سنعطي تفسير لمعنى الفعل السومري (E_2.KAS/S_4, KAŠ/Š$_4$)، والذي يقابله في اللغة الاكدية الجذور (*Akk. lasāmu; nērubu, ûšān*)[٣] ، فقد أجمعت القواميس الخاصة بالدراسات المسمارية على ان معنى الفعل (KAS4/ KAŠ4) هو "ركض" و "ركض سريعا" ، (to run; to run fast) ، ومن معانيه ايضا "سافر او سافر سريعا" (to travel/ to travel fast) ، وللفعل معنى ثالث هو "هرب" (*Akk. nērubu*) (to fleet, to escape)[٤] ، واستخدم الفعل للاشارة الى الجنس البشري والحيواني والطيور على حد السواء[٥].

(3) CAD, (l), p. 104ff; CAD, (Š/1), p. 39f; 409

(4) CDA, p. 351

(5) CAD, (L), p. 105f

الفعل هو من الافعال السومرية التي وردت منذ عصر مبكر من تاريخ بلاد الرافدين ، فتشير النصوص المعجمية (Lexical Texts)[٦] الى ان الفعل (KAS$_4$/Š$_4$) قد ورد منذ عصر السلالات السومرية الثالث (ED III)[٧] ، واستمر ذكره على مر العصور التاريخية لبلاد الرافدين ، وتشير النصوص المسمارية كذلك الى انم المصطلح ورد بالصيغة المكررة (KAŠ$_4$. KAŠ$_4$) ، ومن صيغة الفعل ورد مفهوم الشخص الذي يقوم بعملية الجري او اركض والتي اشارت النصوص السومرية اليها مع العلامة (lu$_2$) وهي العلامة الدالة على الوظائف والمهن اذ وردت بصيغة (^{lu2}KAŠ$_4$) ، الا ان المهنة ترد احيانا بدون العلامة الدالة[٨] ، وعليه اطلقت هذه الصيغة في اللغة السومرية على الشخص الذي يقوم بإيصال الرسائل او البريد وهو "الساعي او المراسل او الرسول" وحرفيا تعني "الراكض" (messenger, runner) ، اذ ان مهمة المراسل او الساعي تتطلب الجري او الركض والسرعة في انجاز مهامه وايصال الرسائل والاخبار ، ويتناظر المصطلح (^{lu2}KAŠ$_4$) في اللغة السومرية مع معنى المصطلح (^{lu2}KIN.GI$_4$–A/ ^{lu2}KIĞ$_4$.A) الذي يعني "الرسول او المبعوث

---

(6) Antonie Cavigneaux, et–al, the Series Erim2–huš= anantu and an–ta–gal$_2$= šaqû, MSL 17, Roma, 1985, p. 3ff

(7) Visicato, G. & Westinholz, A., "Some Unpublished Sale Contracts from Fara", Fs Cagni, 2000, p. 1116

(8) keiser, C.E., BIN, vol III, p.84; Snell, D.C.,& Lager, C.H., YOS, vol, XVIII, p. 47

او ($_{lu2}$KIN.GI$_4$–A LUGAL/ ^{lu2}KIĞ$_4$.A LUGAL) وتعني "المبعوث الملكي" ايضا (messenger, envoy) [٩].

ورد ذكر المراسل في كثير من النصوص المسمارية ومن عصور عدة ، ومن تلك النصوص النصوص ذات المضامين الاقتصادية والادبية والملكية والادارية ، فقد ورد ذكره في نصوص عصر السلالات السومرية والعصر الاكدي ونصوص سلالة اور الثالثة والعصر البابلي القديم والوسيط وصولا الى العصر البابلي الحديث. فمن ملحمة كلكامش وردت اشارة الى الركض والسرعة في الجري اذ ذكر (ul ki ša a panî la–sa–an–šu$_2$) وتعني "ان سرعتي في الركض لم تعد كما كانت من ذي قبل"[١٠] ،

ذكرت نصوص العصر البابلي القديم في وصف سرعة جري المراسل ما يأتي ، فقد ورد في احد النصوص (lu–us–ma ṣabīti) وتعني "يركض كالغزال" [١١] ، ولا يزال يشبه الشخص السريع في المش او الركض "انه يركض كالغزال" للاشارة الى السرعة ، وفي نص اخر وصف المراسل بانه يركض مثل الكلي الصغير وهو دليل اخر على سرعته (ki murāni.. a–la–su–um urkika) وتعني تبعتك تركض كالكلب الصغير ، وذكر في احد النصوص ما ترجمته "هو ارسلني لانشاء حقول المراسل" [١٢]. ومن رسائل مدينة ماري من العصر البابلي القديم ايضا ذكر ما ترجمته "من بينهم

---

(9) CDA, (M/i), p. 260ff (Akk. Mār šipri

(10) CAD, (L), p.105f

(11) CAD, (L), p.

(12) CAD, op–cit, p. 106

شخص ذو مهنة حلاق (*Akk. gallabu*) وشخص من العيلاميين ، اثنان من المراسلين من مدينة بابل[١٣].

هناك افعال وردت في اللغة السومرية لها معنى مشابه لمعنى الفعل (KAŠ4) منها (kas4-du; kas4-gun; kas4-dug4; kas4-kar) "يركض ويهرب ويهرول" ، الا انها افعال مركبة من مقطعين وليست افعال اعتيادية[١٤].

المصطلح في النصوص الادبية

اشارت النصوص المسمارية الى اهتمام ملوك وحكام بلاد الرافدين بهذا المرفق الحيوي "بيت المراسل" ، ويأتي ذلك من اهتمامهم بالنشاط التجاري والطرق التجارية من ناحية ، وبالامور الادارية وسرعة ايصال الرسائل والمؤن من ناحية اخرى ، فقد ورد في النصوص العائدة الى زمن حكم ملوك سلالة اور الثالثة(٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) وبشكل خاص ملكها الثاني الملك شولكي (٢٠٩٥-٢٠٤٧ ق.م)[١٥] ،

---

[13] CAD, op-cit, p. 107

[14] Karshasi, F., Sumerian Compound Verbs, 2000, p. 129f,

[١٥] حول سلالة اور الثالثة والوضع السياسي لها والاوضاع الاقتصادية التي كان لها دورا هاما في انهاء حكم السلالة بعد حكم دام ماة عام ونيف . ينظر
المتولي ، نواله احمد محمود ، مجدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة) ، بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١ وما بعدها ، و ص ٣٠٥ وما بعدها.

اذ اشــارت احــدى كتاباتــه الادبيــة (قصــيدة مــدح الملــك شــولكي) (A Praise Poem of šulgi (šulgi A)) الى ذكر "بيت الطريق" او "بيت المراسل" ، الذي يعد اقدم ذكر مدون في الكتابات المسمارية لهذا المرفق يرد على لسان ملك من ملوك بلاد الرافدين في النصوص الادبية ، ولـم يقتصـر اهتمـام الملـك شـولكي بتـامين الطـرق البريـة فحسـب بـل كـان اهتمامه واضحا ايضا في تامين الطرق وحركة الملاحة النهرية ، فهو يذكر في قصيدة مدح شولكي في الاسطر ٢٦-٣٥ ما نصه(١٦)

26–^{d}šul–gi–me–en lugal kalag–ga sağ–bi–še$_3$ e$_2$–a–me–en

27–a$_2$–nun–ğal$_2$ zag–še–ni–še$_3$ hul$_2$–la i$_3$–me–en–na–ke$_4$–eš

28–ğiri$_3$ hu–mu–gur kaskal kalam–ma–ke$_4$ si he$_2$–mi–sa$_2$–sa$_2$

29–danna hu–mu–gen$_6$ e$_2$ gal–la he$_2$–bi$_2$–du$_3$

(16) Prichard, et–al, ANET, 585, Kramer, S.N., "Commerce and Trade Gleaning from Sumerian Litrature", IRAQ, vol–39, 1977, p. 65

30–[zag–ba ^{giš}kiri$_6$ he$_2$–bi$_2$–gub] he$_2$–bi$_2$–ib$_2$–du$_3$ ki ni$_2$ dub$_2$–bu he$_2$–bi–ğar zag–ba UNU.SAR–bi ki ri–ib du he$_2$–bi–ğal$_2$

31– ki–bi lu$_2$ zu–a he$_2$–em–mi–tuš

32–sig–ta du igi–nim–ta du–e

33–a$_2$ sed$_4$–bi–še$_3$ ni$_2$ he$_2$–eb–$_2$i–te–en–te–en

34–nitah har–ra–an–na du kaskal–e ği$_6$ ba–an–da–sa$_2$–a

35–iri du$_3$–a–gin$_7$ i–ni– ha–ba–ši–in–tum$_3$

الترجمة العربية

"٢٦– اما الملك شولكي ، الملك القوي ، المتفوق على الجميع

٢٧–٢٨ وسعت المسالك وجعلت الطريق مستقيما

٢٩– أمنت السفر ،وبنيت ثلاثة بيوت كبيرة (سكن)

٣٠– زرعت الحدائق على جانبيها

٣١–٣٢ أسست أماكن للراحة ، وجعلت الناس يستقرون

٣٣– يمتعون انفسهم في ظلالها الباردة

٣٤– الرحالة الذين يسافرون في الليل

٣٥– يجدون هناك ملجا كأنهم في مدينة جيدة "

المصلح في نصوص سلالة اور الثالثة

ورد ذكر المصطلح (E_2–KAS_4) في نصوص سلالة اور الثالثة ، اذ ورد مع اسماء المدن ، فعلى سبيل المثال ذكر مع مدينة كيرسو (تلو) واوما (تل جوخة) ومدينة ابيشال[١٧] ، ففي احد نصوص مدينة اوما ورد :

"e_2–kas_4 ($ša_3$) $umma^{ki}$, e_2–kas_4 $ša_3$ i_7–gir_2–su^{ki}" [18]

وتعني " بيت المراسل العاد لمدينة اوما ، بيت المراسل العائد لقناة مدينة كيرسو"

وفي نص اخر من اوما ايضا ورد"

$giri_3$–se_3–ga e_2–kas_4 a–pi_4–sal_4^{ki} [19] "

وتعني : رجال بيت المراسل العائدين لمدينة ابيشال".

وفي نص اخر من اوما ايضا ورد فيه ذكر المراسل مع مدينتي ابيشال وباشيمي[٢٠] :

---

[١٧] هي احدى المدن التابعة لمقاطعة اوما ولا يعرف اسمها القديم ينظر:

McC Adams, R., & Nissen, H.J., The Uruk Country Side, the Natural Setting of Urban Societies, Chicago and London, 1972, p. 36.

[18] Syracuse, 426 rev. 3;4

[19] Genouillac, H. De., Texts Economic d'Omma del' époque d'Our, TCL, vol–5, Paris, 1922, no. 6038, rev.iii 29; Englund, R.K., "Ur III Sundrie", ASJ, vol–14, 1992, 100, rev. 13

[٢٠] حول مدينة باشيمي ينظر:

الربيدي ، احمد كاظم طاهر ، تل ابو شيجة "مدينة باشيمي" في ضوء نتاج التنقيبات

"e_2–kas_4 a–pi_4–sal_4^{ki} u_3 gab aba–šim–e^{ki} gub–ba; 12–[x] x $niğ_2$ i–ga a–pi_4–[sal_4^{ki}] u_3 gab aba–šim–e [ki]"[21]

ونص اخر من اوما مؤرخ في السنة الثالثة من حكم شو سين ، ذكر ارسال ماشية الى بيت المراسل ،[٢٢]:

e_2–kas_4 $Umma^{ki}$–še3

ورد في نص من مدينة كيرسو (تلو) مؤرخ في السنة ٤٧ من حكم الملك شولكي ذكر سلة الرقم الى بيت المراسل[٢٣] ،

"pisan–dub–ba 2–$ša_3$ $^{kuš}di_{10}$–gan 3–e_2–kas_4 ir_3–su^{ki}4–i_3–gal_2"

وتعني "سلة رقم (طينية) جلدية حملت (نقلت) الى بيت المراسل العاد لمدينة كيرسو".

الاثرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الاثار ، ٢٠١٣ ، ص ٤٨ وما بعدها

(21) Watson,, P.J., Neo– Sumerian Texts from Umma and Other Sites, Catalogue of Cuneiform Tablets in Biemingham City Museum, (BCT 2), 1993, no.50:2

(22) Waetzoldt, H. – Yildiz, F., MVN, vol–16, no. 606

(23) Sigrist. M., BM Messenger 249; Nelson, Pisan–dub–ba, 211 (AS7/../..)

هناك نصوص عدة مؤرخة بزمن سلالة اور الثالثة تورد ذكر بيت المراسل ، نورد منها ايضا ، اشار احد النصوص الى حزم من القصب وجلود ماشية وحيوانات ارسلت الى بيت المراسل ، وذكر نص اخر " عددا منم عمال كوروش šguru) قد وزعو او ارسلو لاغراض عدة كان من بينها ارسال عدد منهم الى بيت المراسل " [٢٤].

ورد ذكر مصطلح بيت المراسل مع مصطلح القرابين (sa_2–du_{11})[٢٥]، اذ اشارت تلك النصوص الى عدد من المواد ، على سبيل المثال مادة الشعير والخبز والزيت النباتي وانواح من الاسماك وانواع من الخراف والماشية قد خصصت الى بيت المراسل ، وهناك عدد كبير من النصوص المسمارية لا يسعنا ذكرها جميعا وسنكتفي بالامثلة الواردة ادناه وهي من مدينة اوما مع ذكر تواريخ النصوص[٢٦] :

---

[24] Alexander Uchitel, "Erin–25–didli (11): Patterns of Conscription and Work Assignment during the year AS8–ŠS1", ASJ, vol–18, 1996, p. 228

[٢٥] حول نصوص قرابين (sa_2–du_{11}) ينظر:

عبد الرحمن ، شيماء وليد ، نصوص sa_2–DU_{11} في ضوء نصوص مسمارية اقتصادية منشورة وغير منشورة من سلالة اور الثالثة (٢١١٢–٢٠٠٤ ق.م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الاثار ، ٢٠١٤ ، ص

[26] Ozaki& Sigrist, PBOA, vol–1, 662; TCTI, vol–2, 2556, PBOA, vol–1, 1673; PBOA, vol–1 1097; Fish, CST 783

"sa_2–du_{11} e_2-kas_4" (ŠS–9/../..); (AS7/7/..); 770 (AS 7/6/..); (AS 1/../..); Š 46/../..); ŠS 3/../..).

ان المفردة (KASKAL) (*Akk. harrānu*) تعني "طريق" (way; road) ، وان المصطلح السومري (KASKAL .E_2) (*Akk. girru;* *harrānu; hūlu*)[٢٧] ، وتعني حرفيا "بيت الطريق" او "محطة الطريق" (way station) ، وهو يتناظر مع معنى المصطلح (E_2–KAS/ $Š_4$)، ومن المحتمل ان المقطع (KAS) يعطي معنى المفردة (KASKAL) ذاته. اذ ان العلامة (KAS) هي ذاتها علامة (KASKAL) التي تعني "طريق ()

كل ما تقدم عن مصطلح (E_2–KAS_4/ $Š_4$) ، "هو من الناحية اللغوية وما وردنا في النصوص المسمارية تعود لمراحل زمنية عدة ، اما من الناحية الاثارية وبشكل خاص الناحية العمارية لتلك البيوت ، فلم تزودنا التنقيبات الاثارية الى اليوم بانموذج من تلك الاماكن ولا يعرف شكلها ومخططاتها. فعسى ان تكشف لنا التنقيبات الاثارية في المستقبل عن احد تلك البيوت او المحطات التي كانت بمثابة مقرات او دور استراحة للمسافرية والمراسلين والتجار في بلاد الرافدين وان تعطينا صورة او انموذجايوضح لنا مخطط تلك البيوت.

---

(27) Borger, R., AOAT,–305: 302

العلامات المسمارية للممفردات والمصطلحات

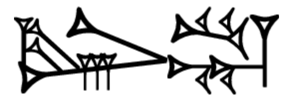
الفعل ركض ($KAS_{4//}Š_4$)



بيت المراسل (E_2–$KAS_{4/}Š_4$)



المراسل ، الراكض (^{lu2}KAS4/Š4)



بيت الطريق او محطة الطريق (E_2.KASKAL)



المصادر :

المصادر العربية

١ -الزبيدي ، احمد كاظم طاهر ، تل ابو شيجة "مدينة باشيمي" في ضوء نتاج التنقيبات الاثرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الاداب ، قسم الاثار ، ٢٠١٣.

٢ -عبد الرحمن ، شيماء وليد ، نصوص sa_2–DU_{11} في ضوء نصوص مسمارية اقتصادية منشورة وغير منشورة من سلالة اور الثالثة (٢١١٢–٢٠٠٤ ق.م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، قسم الاثار ، ٢٠١٤.

٣ -المتولي ، نواله احمد محمود ، مجدخل في دراسة الحياة الاقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة) ، بغداد ، ٢٠٠٧.

٤ -مصطفى ، ابراهيم وآخرون ، المجمع الوسيط ، الجزء الاول ، بدون سنة طبع .

٥ -

المصادر الاجنبية

1-Alexander Uchitel,
"Erin-25-didli (11): Patterns of Conscription and Work Assignment during the year AS8-ŠS1", ASJ, vol-18, 1996.

2-Antonie Cavigneaux, et-al,
The Series $Erim_2$-huš= anantu and an-ta-gal_2= šaqû, MSL 17, Roma, 1985.

3-Black, G.,et-al,
A Concise Dictionary of Akkadian, Wiesbaden, 2000.

4-Borger, R.,

Mesopotamische Zeichenlexokon,, Munster, 2004 (AOAT,-305)

5-Englund, R.K.

"Ur III Sundries", ASJ, vol-14, Hiroshima, 1992

6-Fish, T.,

Catalogue of Sumerian Tablets in the John Rylands Library, Manchester, 1932. (CST)

7-Gelb, I.J., et-al,

The Chicago Sumerian Dictionary, (CAD), Chicago, 1956ff

8-Genouillac, H. De.,

Texts Economic d'Omma del' époque d'Our, TCL, vol-5, Paris, 1922

9-Karahashi, F.

Sumerian Compound Verbs, 2000

10-keiser, C.E.,

New Sumerian Account from Drehem, 1971, BIN, vol III

11-Kramer, S.N.

"Commerce and Trade Gleaning from Sumerian Litreture", IRAQ, vol-39, 1977

12-McC Adams, R., & Nissen, H.J.,

The Uruk Country Side, the Natural Setting of Urban Societies, Chicago and London, 1972.

13-Nelson, R.C.,

Pisan-dub-ba Texts from the Sumerian Ur III Dynasty, Ph.D. Diss. University of Minnesota 1976

14-Ozaki& Sigrist,

Ur III Administrative Tablets from the British Museum, PBOA, vol-1.

15-Prichard,J.B. et-al,

Ancient Near Eastren Texts Relation to the Old Testament, Princeton, 1969 (ANET).

16-Sigrist, M., Textes Économiques Néo-Sumeriens de l'Université de Syracuse, ERC 29, Paris 1983

17-Snell, D.C.,& Lager, C.H.,

Economic Texts from Sumer, 1991,YOS, vol, XVIII.

18-Visicato, G. & Westinholz, A., "Some Unpublished Sale Contracts from Fara", Fs Cagni, 2000.

19-Waetzoldt, H. - Yildiz, F., Die Umma-Texte aus den Archäologischen Museen zu Istanbul. Band II. Nr. 601-1600, Materiali per il Vocabolario Neosumerico 16, Rome 1994

20-Watson,, P.J.,

Neo- Sumerian Texts from Umma and Other Sites, Catalogue of Cuneiform Tablets in Biemingham City Museum, (BCT 2), 1993.

الري وتقنياته في أعمال عدد من ملوك العراق القديم

الأستاذ الدكتور هُديب حياوي غزالة

قسم الاثار – كلية الآداب

جامعة بابل

الملخص :

ارتبطت المياه بالحياة عموما ارتباطا مباشرا و بالزراعة خصوصا , واشتهر العراق ومنذ القدم بخصب تربته ومحاولة التحكم بري أراضيه الزراعية طوال السنة بنظام عُدَّ من أهم الانجازات التي امتاز بها العراقيون القدماء .

يستقصي البحث من النصوص الكتابية ، والاعمال الفنية لعدد من ملوك العراق القديم ، وعبر مختلف العصور التاريخية اهتمامهم بعمليات الري, إذ إن شّق القنوات ، واستصلاح الاراضي الزراعية ، وصيانة الجداول كانت واحدة من أهم وظائف الحاكم ، أو الملك الصالح التي يفتخر بها ، ويحاول من خلالها الحصول على رضا الآلهة والشعب ، وهذا ما سجلته تلك النصوص التي تؤكد لنا أن القيام بأعمال الري يُعُّد من المآثر التي يفتخر بها هؤلاء الملوك ، يُعُّد من المنجزات التي لها أبعاد فكرية وعقائدية , إذ ان تلك الأعمال كانت تقَدم كقرابين الى الآلهة مما يجعل حفر القنوات عملا دينيا مقدّسا ؛ لارتباط المياه بالخير .

يدرس البحث في صفحاته كذلك التقنيات التي عرفها العراقيون القدماء استعملوها في عملية ارواء اراضيهم الزراعية ، وتوفير المياه لها بطرائق متعددة ، ومعرفة كيفية تحديد الحصص المائية بين المدن والفلاحين بتشريع نصوص قانونية كان لها الاثر الكبير في تنظيم الري .

المقدمة :

ارتبطت المياه بالحياة والاستقرار والتمدن ، وشغلت بال الانسان منذ القدم في كيفية الحصول عليها ، وتوفيرها ، وتنظيمها وخزنها ؛ لأنها تعني الوجود كما يقول العلاّمة الراحل الدكتور حسين علي محفوظ : (الماء أصل الحياة و"من الماء كل شيء حيٍّ " وللإنسان والماء قصة طويلة عجيبة فوق هذا الكوكبذ ، وهو من أسباب البقاء والفناء معا . وجوده وعدمه ، كثرته وقلته ، حلاوته ومرارته ، وصفاءه وكدره . كل أولئك شغل الناس قديما وحديثا . واذ اعتمدت الحياة على الماء ، واذا كان الماء أساس الاجتماع والعمران ، فلا بدَّ من هذا الاهتمام الطويل المستمر)[١]

وأرتبطت المياه بالحياة عموما ارتباطا مباشرا وبالزراعة خصوصا ، فان شهرة العراق ومنذ القدم بخصب تربته ومحاولة التحكم بري أراضيه الزراعية طوال السنة بنظام عُدَّ من أهم الإنجازات التي امتاز بها العراقيون القدماء ، إذ إن اعتماد نظام للري باستعمال تقنيات تُعدُّ في حينها متقدمة تساعد على التوسع في حجم مساحات الاراضي المزروعة ، وبالتالي والاهتمام بتحديد ملكية الأراضي ومساحاتها وذلك نتيجة عمل مسح للحقل وحسابات رياضيه ، وقد وصلت الينا خرائط متعددة لحقولٍ زراعيةٍ منها واحدة قد عثر عليها في مدينة اومَّا السومرية لحقل امر بمسحه ملك سلالة أور الثالثة (٢١١٢- ٢٠٠٤ق.م) أمار- سن (٢٠٤٦-٢٠٣٨ق م) مساحته نحو مئة دونم تقسم على قطع صغيرة بأشكال مختلفة ، في حين وصلت إلينا خارطة

---

[١] محفوظ ، حسين علي ، " القنوات في التراث" ، بحوث ندوة الري عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ،١٩٨٦، ص٤ من البحث .

تعود الى منتصف الألف الثاني ق.م توضح الشبكة الإروائية ، وملكيات الحقول ، ومن ضمنها حقل ملكي والعديد من القرى الزراعية [٢] .

لقد أدرك ملوك العراق القديم ، وعبر كل العصور التأريخية .

إنّ مشاريع الري وتنظيمها والسيطرة عليها عن طريق معرفتهم بالتقنيات اللازمة ؛ لذلك هي من أهم مسؤولياتهم اتجاه الآلهة والشعب[٣] ، خصوصا في المناطق التي لا تنعم بقدر كافٍ من الأمطار ، وتتضح هذه الحقيقة في السهل الرسوبي ، إذ كانت لجهود طلائع المستوطنين من السومريين في منتصف الألف الخامس ق.م ولجهود من تبعهم في العصور التأريخية اللاحقة أثر كبير في تحويل تلك البيئة المغمورة بمياه الفيضانات والمتميزة بكثرة الأهوار والأدغال الى حقول زراعية وبساتين مثمرة.[٤] ، كما أدرك الانسان أن مصيره الفناء في هذه الرقعة الجغرافية قاسية المناخ مالم يكن هنا تفكير في كيفية تنظيم عملية الري بانشاء قنوات مائية [٥] تساعده في الحصول على غذاء غير مهدد باخطار الفيضانات

---

[٢] الأحمد ، سامي سعيد ، " الزراعة والري" ، حضارة العراق ، ج٢، بغداد ،١٩٨٥، ص١٧٠.

[٣] ساكز، هادي ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، فرنسا ،١٩٧٩، ص٤٢٥.

[٤] الدباغ ، تقي ، " التدجين والانتاج ونظم الزراعة والأرواء " ، العراق في موكب الحضارة ، ج١، بغداد ، ١٩٨٨، ص٧٤.

[٥] حول القنوات المائية القديمة . انظر:

كوتزه ، البرخت ، دراسة اثارية للأقنية القديمة ، سومر ، م١١، بغداد ،١٩٥٥، ص٢١٩ وما بعدها .

باروواء أراضيه الزراعية وتجنب خطرها .[٦]

تنظيم الري من المآثر الملكية السامية :

بدأت زراعة السومريين في الجزر المتناثرة بمنطقة الأهوار ، وكانت زراعتهم محدودة دونما ارواء بالاعتماد على رطوبة التربة ، وعندما تكاثر عدد السكان أحيوا أراضي جديدة من الأهوار بعد تجفيفها ، وذلك بعد تسويرها بسدودٍ ترابيةٍ وتفريغ المياه منها بواسطة فتحات يحدثونها في الاسوار إلى جداول استخدمت فيما بعد لسقي الحقول الزراعية ، واستمر العمل بتجفيف الاهوار واستغلالها فاستصلحت بهذه الطريقة أراضي واسعة .[٧]

إن شّق القنوات واستصلاح الأراضي الزراعية وصيانة جداول الري أصبحت وظيفة من وظائف اهتمام الحاكم ، أو الملك الصالح التي يفتخر بها ويحاول بها الحصول على رضا الآلهة والشعب ، وهذا ما سجلته لنا وبوضوح شواهد كثيرة من النصوص الكتابية الملكية ، إذ يُعدُّ القيام بأعمال الري من المآثر الملكية في الأعمال السنوية المسجلة بحسب الصيغة (السنة التي فيها شُقّ جدول أو حُفرت فيها قناة ، وُيعدُّ هذا منجزا من المنجزات السامية للحاكم ، أو الملك .[٨]

---

[٦] غولايف ، المدن الأولى ، ترجمة طارق معصراني ، موسكو ،١٩٨٩، ص٢٤-٢٥.

[٧] الدباغ ، المصدر السابق ، ص٥٩.

[٨] بوتس ، دانيال تي ، حضارة وادي الرافدين- الاسس المادية ، ترجمة كاظم سعد الدين ، بغداد ،٢٠٠٦ ، ص٤٩-٥٠ .

وعُدّت الأعمال الخاصة بالري ذات أبعاد فكرية وعقائدية عند الملوك ، إذ إن تلك الأعمال كانت تُقدّم" قرابين إلى الآلهة " مما يجعل حفر قنوات الري عملا دينيا مقدّسا.

وكان عند السومريين احتفالا لعيد خاص يُقامُ في مدينة (نفر) أُقدس المدن السومرية الا وهو "عيد الري" إذ تُقدّم فيه االقرابين الى الآلهة انليل وزوجته ننليل[٩] ، ولا غرابة إذن في أن يكون للعراقيين القدماء إله خاص بالمياه ألا وهو الإله انكي (ايا) ومرتبته بين الآلهة بعد الآله انو وانليل ومركز عبادته مدينة أريدو [١٠] وتظهر لنا صورة هذا الإله على الأختام الأسطوانية بحالات متعددة وتنساب بالمياه من كتفيه[١١] . شكل (١)

ارتبطت المياه بالخير إلاّ أنّها مع ذلك كانت واحدة من أهم أسباب النزاعات والخلافات بين مدن العراق القديمة إذ إنها دخلت في حروب من أجل الاستحواذ على مصادر المياه التي تروي الاراضي الزراعية ، ولا سيما ان اقتصاد المدينة العراقية قائمٌ على ركيزة أساسية ألاّ وهي الري لارتباطه بالزراعة[١٢] ، فكان الاستيطان والاستقرار يتغير بتغير مجاري الأنهار وتوزيع

---

[٩] الطعان ، عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم ،ج١ ، بغداد ، ب.ت ، ص٣٠٩.

[١٠] رشيد , فوزي ، "الديانة" ، حضارة العراق ، ج١ ، بغداد ،١٩٨٥ ، ص١٥٥ وما بعدها.

[١١] الشاكر ، فاتن موفق ، رموز اهم الآلهة في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الموصل ، ٢٠٠٢ ، ص٣٥ وما بعدها .

[١٢] الطعان ، عبد الرضا ، المصدر السابق ، ص٩٤.

المياه والسيطرة عليها[١٣] ، وهذا يحتاج الى فكر وجهد تنظيمي جماعي[١٤]، وأشارت أقدم الأدلة التاريخية التي عثر عليها الى أن حدود المدن كانت تثبت ومنذ القدم بالقنوات ومجاري المياه التي أصبحت تعني الحدود بين مدينة وأخرى ، الى جانب ذلك فقد كان خطر طغيان شواطئ الأنهار وقت الفيضان في فصل الربيع يشكل تهديدا خطيرا على البلاد عموما وعلى ترسيم الحدود بين الحقول خصوصا ، إذ كان يزيلها ، وكان ذلك حافزا لتطور علم الهندسة والمساحة من أجل ترسيم الحدود بين الحقول والمدن.[١٥]

التنظيم القانوني للري :

لأهمية المياه الكبيرة في الحياة والتمدن والحضارة لها من أثر مباشر في استقرار الانسان فقد أولت أكمل القوانين العراقية القديمة وأهمها ، ألا وهي شريعة حمورابي اهتماما بالغا بتنظيم بعض الأمور التي تخصُّ عملية الري والتزاماته من أفراد المجتمع ، لما لذلك من أثر في توفير سبل العيش المعتمدة على الزراعة .

---

[١٣] حول تحولات الأنهار وأثرها على الأستيطان البشري في العراق انظر:

خروفه ، نجيب ، تحولات انهار العراق واثرهما على العمران ، بحوث ندوة الري عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ،١٩٨٦ ، ص٣ من البحث وما بعدها .

[١٤] فرانكفورت ، هنري ، فجر الحضارة في الشرق الادنى ، ترجمة ميخائيل خوري ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص٦٣.

[١٥] حنون ، فاضل كاظم ، مشاريع الري في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، واسط ،٢٠٠٤ ، ص٥٩.

يتفاخر الملك حمورابي في مقدمة شريعته بأنه (هو الذي وفّر لشعبه المياه)[١٦] ، إذ ان ذلك يُعدُّ واحدا من أهم أولوياته في حكم البلاد كما سنرى ذلك لاحقا في البحث.

تشير الشريعة في مادتها (٥٣) الى أهمية تقوية سداد النهر ، ومعاقبة مْن يقصر في ذلك .

(اذا أهمل رجل في تقوية سدِّ حقله ، ولم يقوِّ سده، وحدثت كسرة في سده، فترك الماء يخرب الأرض المزروعة "المجاورة" ، فعلى الرجل الذي حدثت الكسرة في سده ان يعوِّض الحبوب التي سبب تلفها "في حقل جاره").

في حين شددت المادة (٥٤) على ذلك بما يأتي :

(فان كان غير قادر على تعويض الحبوب ، فعليهم أن يبيعوه وممتلكاته وعلى المستأجر "الفلاح" الذي أتلف حبوبهم ان يقتسموا "الثمن")[١٧].

ويعني ذلك أن الأهمال والتقصير من أي شخص ستكون عقوبته شديدة ، وهي فقدان حريته لأنه كان سببا مباشرا بإلحاق الأذى والضرر بحقول الفلاحين الآخرين .

---

(16) Driver.G.,and Miles.J.,The Babylonian Laws, Vol.11, Oxford,1955 P. 9

(17) ibid .,P.31

وهناك المادتان (٥٥ و٥٦) من الشريعة ، فتشير المادة (٥٥) الى ما يأتي :

(اذا تقاعس رجل أثناء فتح جدوله الخاص للسقي ، فترك الماء يغمر حقل جاره ، فعليه ان يدفع حبوبا " لصاحب الحقل المتضرر " بقدر ما " ينتجه حقل " جاره)[١٨].

اما المادة (٥٦) فتضيف ما يلي :

(اذا فتح رجل الماء وخرّب العمل الذي انجز في حقل جاره ، فعليه أن يدفع " لجاره" عشرة كور من الحبوب لكل بور " من مساحة الحقل")[١٩].

مما تقدم نرى أن التنظيم القانوني من أهم مقومات نجاح عملية الري والاستفادة القصوى من المياه المتوافرة ومن ثمَّ تنظيم الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للتجمعات السكانية التي استقرت في قرى بدائية في بادئ الأمر ثم أصبحت مدنا لها شهرة بما تركته من إرث حضاري مهم[٢٠].

التنظيم الحقلي للري :

تُعدُّ مصادر المياه وكمياتها واحدة من أهم أسباب الخلافات والنزاعات التي تحدث بين مدن العراق القديم كما نوهنا ، ولعلّ أشهرها النزاع الطويل

---

(18) ibid

(19) ibid

(٢٠) الهاشمي ، رضا جواد ، تاريخ الري في العراق القديم ، سومرم ٣٩ ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٧٠.

بين المدينتين السومريتين اومًا ولجش[٢١] ؛ لذلك أدرك ملوك العراق القديم أن من أهم الأمور التي تحدُّ مثل تلك النزاعات هي تنظيم عملية الري حقليا بالتوزيع وتحديد الحصص المائية بين المدن .

إنّ أعمال تنظيم السقي ، وتحديد كمية المياه والإشراف عليها تتطلب إدارة محكمة تتمتع بصلاحيات تبدأ بالملك ويليه حكام المدن والمقاطعات ، ويتبعهم عدد من الفنيين الذين يشرفون على التنفيذ المباشر .

ونستشف من أحد النصوص الكتابية أن هناك تعاملا بالوقت لحساب حصص المياه فنقرأ ما يأتي :

" لمدة خمسة أيام القادمة سيفتحون الماء لي" .

وفي إحدى الرسائل التي وجهها حمورابي الى أحد الحكام التابعين له يأمره فيها بمراقبة توزيع المياه بنفسه [٢٢] ومع هذا الإشراف المباشر للملك ، وحكامه على تنظيم عملية الري فإنّ من أهم الموظفين المسؤولين عن ذلك التنظيم هو كوكالوم(gugullum)[٢٣] ، وهناك وظيفة مهمة وهي (عامل القناة) ، ويكون مسؤولا عن تنظيف القناة الإروائية من النباتات والطحالب

---

[٢١] يعد الصراع بين المدينتين السومريتين لجش واوما على الأراضي الزراعية ومصادر المياه هو من أقدم وأطول النزاعات التي نشأت بين مدن العراق القديم . انظر باقر ، طه ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، ط١ ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٣، ص٣١٧ وما بعدها .

[٢٢] الهاشمي ، رضا ، جواد ، تأريخ الري .. , ص٧١.

[٢٣] عبد المالك ، منذر علي ، قاموس المصطلحات السومرية – الأكدية ، بغداد ، ٢٠١٣ ، ص٦٠.

المائيــة العالقــة فيهــا ووردت هــذه الوظيفــة بالأكديــة (Sekiru(m)[٢٤] ، وكــذلك هنــاك(makru) ، أو(makiru) وهــو المســؤول عــن فــتح الميــاه للسقي [٢٥] ؛ ولشدة حرص العراقيين القدماء على هذا التنظيم كان للري قضــاة مختصــون بحســم مشــاكله ، وهــو قاضــي الميــاه المعــروف باســم (dayanu.Sha.amesh) [٢٦] ومما يزيدنا إعجابا بملوك العراق القديم ؛ لاهتمــامهم بــالري وتنظيمــه مــا يقولــه ملــك بابــل نبوخــذ نصــر الثــاني (٦٠٤-٥٦٢ ق م) بفخر واعتزاز :

" انا مراقب القنوات وساقي الحقول وفلاح بابل "[٢٧]

إنّ المتتبع لهذا الاهتمام الكبير من الملوك لمشاريع الري ، وتنظيمها يلاحظ العدد الكبير من تلك المشاريع والقنوات التي قاموا بإنشائها في العديد من المدن ، وبعض من تلك المشاريع أُقيمت محاولةً لإنقاذ بعض المناطق التـي تعـاني مـن مشـكلة الملوحـة[٢٨] ، كمـا نلاحـظ أن لهـؤلاء الملـوك وعيـا

---

[٢٤] الجبوري ، علي ياسين ، قاموس اللغة الأكدية - العربية ، ط١ ، ابو ظبي ، ٢٠١٠ ، ص١٦٣.

[٢٥] المصدر نفسه ، ص٣١٧.

[٢٦] الهاشمي ، رضا ، جواد ، تأريخ الري ... ص٧١.

لمعرفة المزيد عن هذه الوظائف الخاصة بالري انظر:

الحسناوي ، فائز هادي علي ، المهن الاقتصادية في العصر البابلي القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ،٢٠٠٩ ، ص٦١ وما بعدها .

[٢٧] CAD ,No.10,M,Part I,P.126.

[٢٨] رشيد فوزي ، نظم الأرواء في العراق القديم " ، مجلة آفاق عربية ، العدد/١ ، بغداد ،١٩٨٥ ، ص٩٦ وما بعدها .

واعتقادا تاما أن في حالة تغيير النهر لمجراه ، أو جفاف الجداول كان المزارعون يتشتتون لهجرتهم من مناطق سكناهم ، وأن الشؤم والخراب سيحلانِ في المدينة اذا لم يكن هناك جهد في إعادة حفر او كري مجرى النهر[٢٩] ، لهذا فإن هذا الاهتمام المتزايد بتلك المشاريع له انعكاسات مباشرة على تقوية اللحمة الاجتماعية للمجتمع العراقي القديم ، فيزداد الشعور بالمواطنة والانتماء من ضمان حصة الفرد المائية لحقله الزراعي ومن ثَمَّ تامين عيشه .[٣٠]

طرق الري :

لا بد لنا ونحن نتحدث عن الري ومشاريعه ان نتطرق الى طرق الري ؛ فبالنظر لتعذر الري السيحي في مناطق واسعة من العراق ؛ بسبب التباين بين مستويات الأرض ومستوى النهر ، وتعذر الري السيحي في الأراضي والحقول البعيدة خصوصا عند شحة المياه في موسم الصيف اختلفت الأساليب والتقنيات المتبعة في عمليات رفع المياه ليس من الانهار فقط بل كانت الآبار واحدة من المصادر الرئيسة للسقي ولاسيما في المناطق الشمالية من العراق التي يصعب سقيها سيحا[٣١] ، وصُنِّفت الآبار على نوعين

---

[٢٩] اوبنهايم ، ليو ، بلاد مابين النهرين ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص١٤٠.

[٣٠] بوتس , دانيال تي ، المصدر السابق ، ص٤٩.

[٣١] حنون ، فاضل كاظم ، المصدر السابق ، ص٦٢.

بحسب نوعية المياه فيها ، فمنها عذبة وصالحة للشرب ومنها تستخدم لسقي المزروعات ؛ لانها مالحة.[٣٢]

الري بالواسطة :

كان الدلو هو من أبسط الطرق للري بالواسطة ، وورد ذكره في النصوص السومرية (UD–KA–BAR) وبالأكدية(dalu)[٣٣] وهو عبارة عن آنية مصنوعة من الجلد ، أو الفخار ، أو سلة من الخوص المطلي بالقير، وفيما بعد استخدم المعدن في صناعته ويتم إنزالها الى مصدر المياه (البئر ، أو النهر) بواسطة حبل يتم سحبه باليد وتستخدم لأغراض الشرب وسقي الحيوانات وبعض الاستخدامات البسيطة في الحياة اليومية للإنسان التي لاتتطلب كميات وفيرة من المياه .[٣٤]

إن اختراع العراقيين القدماء للعجلة في العصر الشبيه بالكتابي (٣٥٠٠–٢٨٠٠ق.م) [٣٥] كان له الأثر الفاعل في تطور عملية الري بالواسطة ، إذ انعكس ذلك الى توصلهم إلى ابتكار نوع من الآلات البسيطة التي تتطلب جهدا أقل وتوفر كميات أكبر من المياه باعتمادهم على (البكرات) التي كانت تعلق في عارضة خشبية تثبت في اعلى فوهة البئر ،

---

[٣٢] الهاشمي ، رضا جواد ، تأريخ الري ... ، ص٧٤.

[٣٣] لابات رينيه ، قاموس العلاقات المسمارية ، بغداد ،٢٠٠٣ ، ص٢٣٧.

[٣٤] حنون ، فاضل كاظم ، المصدر السابق ،ص٦٣.

[٣٥] باقر ، طه ، مقدمة ، ص٢٣٦.

واستُخدمت الحبال أو السلاسل البرونزية ؛ لربط الدلاء ، فكانت هذه الطريقة توفر كميات اكبر من الماء في الدفعة الواحدة التي تستخدم للشرب .[٣٦]

وتردنا إشارات في النصوص الكتابية بحصة الفلاحين الذين يعملون في أرض تسقى بالواسطة تزيد عن حصتهم من الأراضي التي تسقى سيحا ، وذلك للجهود المضاعفة التي يبذلها الفلاح في الأرض التي تسقى بالواسطة ، إذ جاء مانصه :

" سوف نعطيك حصة قدرها ٣/٢ من الحقل الذي يُسقى سيحا و ٣/١ من الحقل الذي يسقى بالدلو (الواسطة)[٣٧].

وتوضح لنا منحوته تعود إلى زمن الملك الآشوري آشور ناصر- بال الثاني(٨٨٣-٨٥٩ ق م) طريقة عمل الدلو في البئر بنظام البكرة ، إذ يشاهد في الشكل (٢) البكرة التي يمرُّ بها الحبل الذي يتدلى من إحدى نهايتيه إناءٌ (الدلو)[٣٨]

وما يهمنا في هذا النوع من السقي هو استعمال تقنية (البكرات) في رفع المياه وهي واحدة من الابتكارات العراقية القديمة .

---

[٣٦] الهاشمي ، رضا جواد ، تأريخ الري ، ص٧٥.

[37]CAD .D. (dalu).

[38]Laessoe.J."Reffexctions On Modren and Ancient Oriental Water "Jcs, vll, I .P.12

الدالية(الشادوف) :

الداليـة كمـا يسـميها العراقيـون القـدماء ، والمعروفـة عنـد المصـريين بالشـادوف وجاءتنـا مصـورة علـى خـتم اسـطواني يعـود الـى العصـر الأكـدي (٢٣٧١-٢٢٣٠ ق م) شـكل (٣) ، وتُعـدُّ مرحلـة مهمـة مـن مراحـل تطـور السحب الآلي للمياه.[٣٩]

يمكن وصـف الداليـة بأنهـا عبـارة عن عمـود خشـبي يقف علـى مسند ، فإذا ارتفع رأس من رؤوس العمود نزل الرأس الثاني وهكذا ، وتشد الى جانب العمود القصير ثقالة معاكسة ، ويدلى دلو في الماء ، ثم ينحني على الثقل المقابل ويرتفع الدلو فيفرغ الماء في الساقية التي تدفعه الى الحقل ، وهكذا تتكرر العملية ، ومن ثم استخدمت الحيوانات في عملية الجر مثل (الحمار والثور) [٤٠]

صـورت هذه الآلـة المتطـورة نسبيا في منحوتـة من عهد الملك الآشوري سـنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق م) شـكل (٤) اذ يسـتند العمـود هنـا الـى دعامـة بنائيـة بـدلا مـن الركيـزة الأفقيـة الخشـبية وصـنع رأس الثقالـة علـى شـكل يـد منحرفـة ، كـذلك نشـاهد فـي هـذه المنحوتـة داليتـين إحـداهما ترفـع المـاء مـن المجرى الى ساقية مرتفعة ، والثانية مزدوجة ترفع الماء من هذه الساقية الى

---

(39) Forbers.R.J.,Studies in Ancient Technology.vol2 .Leiden,P.42.

(٤٠) كونتينيو ، جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ، وبرهان عبد التكريتي ،بغداد ، ١٩٧٩ ، ص٨١.

ساقية ثانية ، ومن الجدير بالذكر أن هذه الطريقة ما تزال متبعة في بعض مناطق العراق في وقتنا الحاضر.[٤١]

الكــرد :

يستند عمل الكرد الى عدد من البكرات الرافعة تنصب عند حافة النهر تمر بها حبال تربط في إحدى نهايتها أوعية كبيرة من الجلد ، وتشدّ الحبال من الطرف الثاني الى حيوان ، لغرض سحبها ، وللوعاء حافة سائبة تشدّ بحبل آخر ، فتغلق أو ترسل فتنفتح ، ويُعمل للحيوان في حركته منحدر ترابي يساعده على الحركة السهلة عند سحب الأوعية فيبقى الحيوان يتحرك ذهابا ، ومجيئا فتنزل الأوعية الى الماء وتغرفه ، ثم يشد حبل فوهة الإناء ، وتُسحب ويقوم شخص بمسك حبل فوهة الوعاء ؛ للتحكم بفتحه وغلقه أثناء نزوله وصعوده ويراقب حركة حيوان السحب.[٤٢]

يُعدُّ هذا الابتكار في تقنية الري هو أحد الابتكارات المهمة التي عرفها فلاحو العراق القديم الذي بقيَ مستعملا الى الآن ولاسيما في مناطق الجزيرة العربية .[٤٣]

---

[٤١] سوسة ، أحمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التأريخية ، ج١ ،بغداد ،١٩٨٣ ، ص٤٨٠ وما بعدها .

[٤٢] سوسة ، احمد , الري والحضارة , ج١, بغداد , ١٩٦٩ ، ص١١٤.

[٤٣] الهاشمي , رضا جواد , تأريخ الري ... ص٧٥.

الناعـور:

هي آلة رافعة تتكون من طوق خشبي يتفاوت في قطره الذي قد يصل الى عشرة امتار أحيانا ، ويصل بينه وبين المركز قطع خشبية ضخمة تربط ربطا محكما حول محور من جذع شجرة ؛ لتكون دولابا يستند إلى دعامتين من الحجر مبنيتين على زاوية قائمة مواجهة لمجرى النهر[٤٤] ، وتوضع سلسلة من جرار فخارية صغيرة مربوطة بحبال قوية على طول دائرة الطوق الخشبي الخارجية ، وحين يعمل الدولاب ويتحرك ويدور باتجاه محوره تصعد الجرار السفلى الممتلئة بالماء الى أعلى فتصب مافيها من ماء بساقية حفرت أعلى من مستوى ماء النهر ، وتدور الآله وتمتلئ الجرار وتفرغ ماءها وهكذا.[٤٥]

وهناك الكثير من الاشارت اللغوية التي وردتنا تشير الى استخدام العراقيين القدماء لهذا النوع من وسائط السقي منذ القدم ، التي توفر كمية مياه جيدة لري الأراضي الزراعية وهو واحد من أهم الأبتكارات التقنية المهمة في تاريخ الري الذي ما زال يستعمل في العراق وبعض الأقطار العربية الأُخرى .[٤٦]

---

[٤٤] سوسة احمد , تاريخ حضارة وادي الرافدين .... , ج١, ص٤٨٩.

[٤٥] الاحمد ، سامي سعيد ، " الزراعة والري " ، حضارة العراق ، ج٢ ، – بغداد ،١٩٨٥، ص١٨٣ .

[٤٦] الهاشمي ، رضا جواد ، بغداد ، تاريخ الري ... ، ص٧٦.

نظام الكهاريز :

لا بد لنا ونحن نتحدث عن طرق السقي أن نذكر أحد أنظمة الري المعروفة في العراق القديم ، ألّا وهو نظام (الكهاريز) الذي يعتمد على تسريب المياه الجوفية عبر قنوات تشيد في باطن الأرض يختلف انحدارها عن مستوى انحدار الطبقة الصخرية الحاوية للمياه بالاستفادة من انحدار الأرض الطبيعي في سفوح الجبال ، أو أطراف الهضبات وحتى تصل القناة الى حدود سطح الأرض بالقرب من القرى والمستوطنات والأراضي الزراعية ، فتخرج الى سطح الأرض ، ويُستفادُ من المياه ، لتلبية احتياج الحياة اليومية [٤٧]، إذ تكون تلك المياه نقية وخالية من الجراثيم ؛ لأنها مياه جوفية مرشحه ولا تنقل معها الطمى والغرين في مواسم الفيضان ، وما زالت هذه الطريقة مستخدمة في العديد من الأقطار العربية والمجاورة في وقتنا الحاضر. [٤٨]

ملوك ومشاريع :

هناك الكثير من الدلائل المادية التي توضح حجم الجهود التي بذلها سكان العراق القدماء وملوكهم في تنظيم شؤون الري والسيطرة على مجاري الأنهار فيما نشاهده اليوم من قيعان الأنهار القديمة المندرسة التي كانت

---

[٤٧] الهاشمي ، رضا جواد ، " الافلاج من مشاريع الأرواء العربية القديمة" ، مجلة كلية الآداب – جامعة بغدادآ ، العدد/٢٥/بغداد ١٩٧٩ ، ص٢١.

[٤٨] أيوب ، محمد ساهر ، وآخرون ، " القنوات الباطنية والكواظم " ، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتأريخ العلوم عند العرب ، مركز أحياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد ، ج١ ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٥٧٧.

جداول شقت من الأنهار ، ومنذ عصر العبيد (الألف الخامس ق م) في جميع أنحاء العراق ، اذ توجد بالقرب منها الأطلال التي كانت أصلا مدنا عامرة ، وكانت بعض هذه الجداول تربط الفرات بدجلة [٤٩]. بعد ان فطن العراقيون القدماء الى خصائص ومميزات النهرين ، وبخاصةٍ ظاهرة ارتفاع مناسيب الفرات عن دجلة فاستغلوها بشقٍّ القنوات من الفرات باتجاه دجلة ، فضلا عن الاهتمام البالغ للملوك في أعمال صيانة ، وترميم ، وتنظيف ، وكري الأنهار ، والقنوات وتخليصها من العوائق ، ولتسهيل مرور المياه فيها الى الأراضي الزراعية[٥٠]

واجه العراقيون مشكلة كبيرة من مشاكل الري ألّا وهي السيطرة على المياه الفائضة وخزنها للاستفادة منها عند الحاجة ، فكانت فكرة إقامة السدود والخزانات واحدة من أهم ابداعات العراقيين القدماء للتصدي لهذه المشكلة ، وهذا مانستشفه من النصوص المسمارية التي ذكرت إقامة السدود والمواد المستخدمة ، وكمياتها لغرض إنشاء سدٍّ أو خزن مياه .

وقد عرف السومريون مثل هذه المشاريع ، وهذا ما جاء في نصوصهم ، اذ أطلقوا على السدود تسمية (kun–zi–da)[٥١] وفي الاكدية

---

[٤٩] الدباغ ، تقي ، المصدر السابق ، ص٦٧ ، وحول عصر العبيد انظر :
سلمان ، كاظم جبر ، حضارة العبيد في جنوب العراق ، بابل , ٢٠١٧ .

[٥٠] المتولي ، نواله احمد ، مدخل في دراسة الحياة الأقتصادية لدولة اور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية (المنشورة وغير المنشورة) بغداد ، ٢٠٠٧ ، ص١٧٦.

[51] Stein,K.,"Notes on the Irrigation System in third millemium Southern Babylonia ICM, Part I,No 4,P.14.

(hirtu) [٥٢] واتقنوا تقنية مهمة وهي طريقة سدِّ الثغرات في تلك السدود بـ (البطخة) أو باستعمال المرادي وبواري القصب والأتربة ، والبطخة عبارة عن لفات ضخمة طويلة مكونة من عدة طبقات محشاة بالشوك والبردي والقصب وسعف النخيل تُشدُّ بها الثغرة في شاطئ النهر[٥٣] ، واتقنوا انشاء المسنيات بالآجر والقار؛ لصيانة الضفاف من التآكل والانجراف بتيار الماء ، وتشير النصوص الكتابية كذلك الى أنّهم كانوا يكسون قعور جداولهم بالحجر والحصى لمنع التآكل فيها ، وكان ذلك يكون بإشراف الملك[٥٤].

إنّ من أقدم مشاريع الري السومرية وأهمها النهر الذي شّقه ملك لجش انتمينا (٢٤٠٤-٢٣٧٥ ق م) من نهر دجلة الى منطقة لجش بمسافة نحو ١٣٠كم والذي يجري فيه الآن شط الغراف [٥٥]. ويتجلى أهتمام هذا الملك بالري ومشاريعه بأكماله للسد المهم الذي بدأ به سلفه أي- أناتم (٢٤٥٤-٢٤٢٥ ق م) لتلافي شحة المياه بعد نزاع مع المدينة المجاورة أومَّا ، أذ أستعمل الآجر المشوي والقار لمقاومة الرطوبة الناتجة من المياه اذ بلغت كمية القار فيه ما يقارب ٢٥٩٠٠ لتر وقد أقيم هذا السد على قناة (لوماجيمدو الحدودية) وهو يستوعب ما يقارب (١٧) سبعة عشر مليون غالون من الماء ، وتظهر ضخامة هذا المشروع من كمية الطابوق الذي

---

(52) CAD,H,P.168

(٥٣) الاحمد سامي سعيد ،العراق القديم ، ج١ ، بغداد ،١٩٧٨ ، ص٢٨٣-٢٨٤.

(٥٤) المتولي ، نوالة أحمد ، المصدر السابق ، ص١٧٦.

(٥٥) الأحمد ، سامي سعيد ، العراق القديم ، ج١ ، ص٢٨٣.

أستعمل فيه وبلغ حوالي (٨) ثمانية ملايين طابوقة فيما بلغت كمية القير ٢٦٤٩٦٠لتر.[٥٦]

كان الهدف الرئيس من بناء هذا المشروع العظيم هو درء خطر الفيضان الذي يهدد البلاد سنويا ، ومن ثم الاستفادة من خزين المياه الذي فيه وقت الحاجة .

المصلح أورنمكينا :

اشتهر حاكم مدينة لجش (٢٣٥١-٢٣٤٢ ق م) بإصلاحاته الاجتماعية التي هي أول اصلاحات عرفها التاريخ [٥٧]، ولكن أعماله في مجال الري تستحق الذكر هنا ، ففضلا عن فتحة قناة اروائية فإنه أقام خزانا جعله (وفير المياه) فيقول :

"....حفر

من أجل الآلهة نانشه

نهر ادنادو

---

[٥٦] حنون ، فاضل كاظم ، المصدر السابق ، ١٦٨ . انظر كذلك :

الشمس ، ماجد عبد الله ، " الأرواء عند العرب " ، ندوة الري عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العربي – جامعة بغداد ، بغداد ،١٩٨٦ ،ص٢من البحث .

[٥٧] حول هذه الأصلاحات انظر:

سليمان ، عامر ، القانون في العراق القديم ، بغداد ،١٩٨٧ ،ص١٤١ وما بعدها

رشيد ، فوزي ،" الشرائع " العراق في موكب الحضارة " ،ج١ ،بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٢٠٦ وما بعدها.

جدولها المحبوب

وجعلت خزانات المياه

كالبحر في غزارتها".[٥٨]

وحرصا من الملوك بالإشراف المباشر على بناء السدود إرضاءً للآلهة ، وللشعب تخبرنا الكتابات التأريخية ان ملك سلالة الوركاء الخامسة اوتوحيكال (٢١٢٠-٢١١٤ ق.م) مات غرقا وهو يشرف ميدانيا على بناء سدٍّ على أحد الأنهار.[٥٩]

ملوك أور الثالثة ومشاريعهم :

بدخول العراق في عهد حكم سلالة أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) بعد تحريره من الكوتيين من قبل أول محرر في تاريخ العراق القديم الملك اوتوحيكال السالف الذكر .[٦٠] ، شهدت البلاد اهتماما استثنائيا في مجال مشاريع الري ، وذلك لأن الاحتلال الكوتي دمر العديد من القنوات والمشاريع الإروائية في مناطق متعددة من العراق[٦١] ، فنقرأ في نصوص مؤسس

---

[٥٨] باقر ، طه ، الشرائع والتنظيمات القانونية في حضارة وادي الرافدين ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م-٢٧/ بغداد ١٩٧٦ ، ص١١٤ .

[٥٩] باقر ، طه ، مقدمة ، ص٣٨١.

[٦٠] خلف لنا اوتوحيكال والذي يعد قائد أول ثورة تموزية في تاريخ العالم نصا مهما حول التحرير. انظر :

باقر ، طه ، مقدمة ، ص٣٨٠.

[٦١] اوتس ، جون ، بابل تاريخ مصور ، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي ، بغداد ، ١٩٩٠ ،ص٦٤.

السلالة أور نمو (٢١١٢-٢٠٩٥ ق م) الذي يُعدُّ أول مشرع قانوني في تاريخ الانسانية [٦٢] ، عن قيامه بحفر قناة ري سمّاها

(نانا كوكال) على الحدود بين لجش واور ، الى جانب حفره لخزان كبير ، كما قام باعادة ربط مدينة أور بنهر الفرات ، ولعلّ من أهم النصوص المسمارية التي تؤكد اهتمام هذا الملك بمشاريع الري هو النص المسماري المكتوب على مسمار فخاري عثر عليه في مدينة المدائن (١٥كم عن مدينة تلو الآثارية) ، إذ أخبرنا فيه أورنمو عن حفره قناة تُدعى اين – اوريكال(En–urigal)[٦٣] ، وتؤكد لنا النصوص الكتابية عن وجود الكثير من القنوات الإروائية المهمة الأخرى التي أنجزت في عهد هذه السلالة ، ولعّل من أهمها تلك الشبكة الإروائية من القنوات التي تأخذ الماء من شط الغّراف (قناة دجلة) وتصبه في نهر الأوتورنكال[٦٤] مثل قنوات

(كوناكارا) و(ناناتومو) وغيرها.[٦٥]

---

[٦٢] رشيد فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، بغداد ،١٩٨٧، ص٢٥ وما بعدها .

[63] AL–Rawi–F.,En–Urigal anather canal dug by ur nammu ,Sumer ,Vol,49, Baghdad,1989–1990,P.84F

[٦٤] حول مجرى هذا النهر وتفرعاته انظر :

سالم ، خوله معارج ، مدن على نهر الايتورونكال في عهود السيطرة الاجنبية للعراق ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ٢٠٠٧ ص٥٦ وما بعدها .

[٦٥] الاحمد ، سامي عيد ، العراق القديم ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص١٤٣.

الساقي حمورابي :

جاءت شهرة الملك حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ق.م) من تشريعاته القانونية وتنظيماته الإدارية [٦٦] ، ولكننا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا : إنّ شهرة هذا الملك في مجال الري لا تقل في أهميتها عمّا قام به في مجال التشريع ، للجهود الاستثنائية التي بذلها للعناية بالري ومشاريعه ، ويتبين لنا ذلك جليّا من نصوصه التي تحدث فيها عن قيامه بشّق قنوات جديدة ، وتنظيف القنوات القديمة ، وكريها وتوفير المياه الى مدن البلاد فيقول بأنه : "جلب مصادر لا تنضب من المياه إلى بلاد سومر وأكد"[٦٧]. ويتفاخر حمورابي في مقدمة شريعته القانونية بتوفيره المياه للسكان ، ووسع الأراضي الزراعية[٦٨]، كما تضمنت تلك الشريعة عددا من المواد القانونية التي تخصُّ شؤون الري وتنظيمه كما ذكرنا ذلك آنفا .

لقد أدرك حمورابي بوضوح أن السيطرة على مصادر المياه ، وتنظيمها بإقامة المشاريع الخاصة بها يعني السيطرة السياسية على الحكم خصوصا أنه كان طموحا بتحقيق وحدة البلاد والتي تحققت فعليا عام

---

[٦٦] حول سيرة حمورابي وانجازاته في مختلف المجالات انظر :

كلينغل ، هورست ، حمورابي ملك بابل وعصره ، ترجمة غازي شريف ، بغداد ،١٩٨٧.

الاعظمي ، محمد طه ، حمورابي ، بغداد ،١٩٩٠.

[67] King –L.W,The Letters Inscriptions of Hammurabi.Vol III,Landon , 1900,P.190.

[٦٨] رشيد فوزي ، الشرائع العراقية القديمة ، ص١١٤-١١٥.

١٧٥٣ق.م[٦٩]. ويتأكد لنا دوره وحكام مدنه باهتمامهم بشؤون الري ، وتنظيمه من مجموعة الرسائل الموجهة الى هؤلاء الحكام التي تحثّهم على ضرورة متابعة شؤون السقي اذ نقرأ في أحد رسائله ما نصه :

" اذا كان هناك ماء (كافٍ) في لارسا وأور لاتبني سدا عند(فم) النهر الذي أخبرتك عنه ، أما إذا لم يكن هنالك ماء في لارسا وأور ، ابني سدا في منابع الانهار التي أخبرتك عنها ،يجب ان تحصل لارسا وأور على الماء"[٧٠].

ونقرأ في نص آخر ما يشير الى اهتمامه بحفر القنوات وتطهيرها اذ بقوله :

(في السنة التاسعة من حكمي حفرت قناة واسميتها باسمي "حمورابي – حيكال – فيض حموربي "–Humurapi–Hegal" وأمرت بتطهير قناة "Tilidu" من أجل معبد انليل)[٧١].

شغلت الفيضانات وخطرها بال حمورابي ؛ لهذا فكر في إنشاء السدود والنواظم لدرء هذا الخطر والسيطرة على مياهها من خزنها ، والاستفادة منها عند الحاجة في فصل الصيف ، فنقرأ في أحد كتاباته التي توثق أعماله : إنّه بنى سدا كبيرا عند فم أحد القنوات التي شقّها جاء فيها :

---

[٦٩] الأعظمي ، محمد طه ، المصدر السابق ، ص٨٠.

[70] Driver. G.R,Letters of the First Babylonian Dynasty, OECT,Vol III, Part I, 1924, P.2,No.2

[71] ANET,P–270.

(في ذلك الوقت انا حمورابي ، الملك القوي محبوب الآلهة العظام ، بنيت ، سدا عظيما على رأس القناة بالتراب الكثير وأقمته عاليا مثل الجبل" وسميت ذلك السدَّ " Dur-Sin-maballit-abim-Walidia " وبهذا جعلت اسم سن موبلط الأب الذي أنجبني ينتشر في جهات العالم الأربعة)[٧٢] ، كما أنه كان يوجه حكام مدنه في كيفية التصرف عند حدوث الفيضانات فنقرأ في إحدى الرسائل مخاطبا أحد حكامه مانصه :

(اذا وجدت عند تفتيشك أن السدود لا تقوى أمام مياه الفيضان القادم أفتح القنوات ،كما أخبرتك)[٧٣] وكانت لحمورابي معالجات أخرى في مواجهة نقص المياه أو زيادتها عن الحاجة في أوقات الفيضانات الشديدة ، وذلك بالاستفادة من المنخفضات الطبيعية كالأهوار والمستنقعات المنشرة في جنوب العراق ، فعمل على إنشاء خزانات اصطناعية لخزن المياه الفائضة ؛ اذ ورد في رسالة موجهة منه الى أحد حكامه يخبره فيها :

(جاء الفيضان مسرعا ،الماء يزداد بسرعة، أفتح الخزان المنشئ من أجل الاهوار وأملأ الحقول المجاورة الى لارسا بالماء).[٧٤]

إنّ ما يثير الانتباه والأعجاب بمتابعة حمورابي لشؤون الري وسقي الحقول الزراعية أنه تلقى رسائل من الفلاحين الذين لديهم مشاكل في الحصول على المياه التي تكفي لسقي أراضيهم ، بسبب ارتفاعها عن مستوى

---

(72) king .L.w.op.cit.pp.190-191.

(73) Driver.G.R.OECT Vol III,P.10 No.31

(74) Ibid .P.3 No.7.

النهـر المجـاور ، فـأمر حمـورابي فـي حينهـا حـاكم المدينـة بمتابعـة ما ورد في رسالة أحد الفلاحين ومعالجة الأمر بقوله :

(فـإذا كـان الحقـل أعلـى مـن مسـتوى المـاء (مـاء النهـر) أعطـوه حقـلا بجانب النهر... يمكن أن يسقي منه).[٧٥]

ونستشـف ممـا تقـدم أن شـؤون الـري تُعـدُّ فـي مقدمـة الأعمـال الإداريـة والمسـؤوليات التـي اضـطلع بهـا حمـورابي وأشـرف عليهـا وتـابع حكـام مدنـه لتنفيذها .

مشاريع ملكية آشورية :

على الرغم من أن المنطقة الشمالية من العراق تعتمد في زراعتها على الأمطار ، إلا أنّها لا تخلو من مشاريع للري تدلّ على براعة الآشوريين في هذا المجال ، ومنها مشروع ناصـر بـال الثـاني (٨٨٣-٨٥٩ ق م) الخـاص بمدينـة نمـرود ، ومشـاريع سـنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق.م) التـي أقامهـا فـي المنطقة كما سنرى ذلك لاحق

فاتحة الخير لآشور ناصر بال الثاني :

حفر آشور ناصر بال الثاني قناة سّماها فاتحة الخير (Patti–Hegalli) وتُسمّى الآن محليا (قناة النكوب) ، طولها نحو ٢٥كم ، وتأخذ مياهها من

---

[٧٥] الاعظمي ، محمد طه ، المصدر السابق ، ص١٠٧.

الزاب الأعلى لأرواء سهل مدينه كالح (نمرود) ؛ لأن مناسيب هذا النهر أعلى من مستوى دجلة[٧٦].

جاءت تسمية هذه القناة بالنكوب أو (النقوب) ؛ وذلك لوجود ثلاث فتحات في سطح هضبة صخرية كان الماء يجري من خلالها الى هذه القناة [٧٧]. التي تمرُّ في غالبتها في ممر (نفق) قطع بالجبل على طول ضفة الزاب الأعلى اليمنى (أمام قرية الكوير الحالية) ، ثم يسير شمالا على طول الحافة الشرقية للسهل حتى يصل قرب سور مدينة النمرود الخارجي [٧٨] ، وبعد أن ينتهي النفق يظهر (جدول) الماء مكشوفا ، وقد نقر في الصخر بعرض نحو أربعة أمتار فيمتد بموازاة نهر الزاب الأعلى متجها نحو سهل نمرود.[٧٩]

لقد عثر الانكليزي لايارد في أثناء تنقيباته في المدينة عام١٨٤٥م.[٨٠] على لوح من الحجر كتبت عليه كتابات تشير الى قيام الملك

---

[٧٦] الاحمد ، سامي سعيد ، " الزراعة والري في العراق القديم" ، ندوة التربة والزراعة عند العرب ، مركز احياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٤ من البحث .

[٧٧] عواد ، كوركيس ، تحقيقات بلدانية – تاريخية اثرية في شرق الموصل ، سومر ، م١٧، بغداد ،١٩٦١ ، ص٩٥.

الاصيل ، ناجي ، جولة استطلاعية في موطن الآثار في الالوية الشمالية ، سومر ، ٥ ، بغداد ،١٩٤٩ ، ص٣١٩.

[٧٨] الأحمد ، سامي سعيد ، الزراعة والري في العراق القديم ، ص١٤.

[٧٩] اغا ، عبد الله امين والعراقي ، ميسر سعيد ، نمرود ، بغداد ،١٩٧٦ ، ص٣٠.

[٨٠] المصدر نفسه ص٣١.

اسرحدون(٦٨٠-٦٦٩ ق.م) بتجديد حفر القناة ، إذ قام بكريها ، وتوسيعها ، وحفر ناظم لتنظيم الري فيها .

إنّ مستوى النفق الذي كان يجري فيه الماء أصبح الآن أعلى من ماء الزاب ؛ بسبب ترسبات النهر التي طمرت القناة ، ولم تعد ظاهرة للعيان .[٨١]

سنحاريب يروي نينوى وأربيل :

يُعدُّ سنحاريب واحدا من أهم ملوك العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) امتاز بأهتمامه الكبير بمشاريع الري ، فأعمال الإرواء التي قام بها كانت مدهشة[٨٢] ، فمن دراسة المشروع الإروائي الخاص بالعاصمة نينوى تبين أن نهر دجلة الذي يلامس أطراف المدينة كان بمستوى منخفض بالنسبة لأرضها ، فضلا عن ذلك وكما أشار سنحاريب في كتاباته فإنّ مياه دجلة في منطقة نينوى قد تبذل مذاقها بسبب عيون الكبريت الواقعة في الجهة المقابلة للمدينة .

إنّ هذا الأمر شغل باله ، وفكر بعمل مشروع يمكن بواسطته جلب الماء الى نينوى من مصادر أخرى غير نهر دجلة [٨٣]. إذ إن المدينة أصبحت تعاني من شحة المياه ، ويحدّثنا عن ذلك بقوله :

---

[٨١] عواد ، كوركيس ، المصدر السابق ،ص٩٥.

[٨٢] حبيب ، طالب منعم ، سنحاريب سيرته ومنجزاته ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٨٦ ،ص١٥٢ وما بعدها .

[٨٣] رشيد ، فوزي ، نظم الأرواء في العراق القديم ، ص٩١.

" كانت حقول المدينة مهملة قاحلة جرداء كالقيراذ ، لم يكن لأهلها ماء يروون به زرعهم فكانوا يرفعون أنظارهم نحو السماء مستمطرينها ".

ويستمر النص ، ليتحدث عن قيامه باروائها بعد إقامته لمشروع سّماه باسمه (قناة سنحاريب).[٨٤]

قام سنحاريب بشِّق قناة من نهر الكومل عند مضيق بافيان ، ولكي يتمكن القائمون على العمل من ايصال مياه هذا النهر الى نينوى عملوا قناة حجرية ، وعبّارة عند الوادي الذي يعترض طريق هذه القناة ؛ لتسمح هذه العبارة بمرور مياه سيول الأمطار التي تجري ضمن الوادي [٨٥]، والقناة مشيّدة من الحجر المطلي بالقار ؛ لكي يمنع تسرب المياه[٨٦] ، وبعد ان تجتاز المياه العبارة والقناة تصب بعد ذلك في أحد روافد نهر الخوصر الذي يصل بدوره الى مدينة نينوى ومن بعدها يصبُّ في نهر دجلة ، وسميت العبارة والقناة (القناطر)(Aqueducts)[٨٧] باسم (جروانه)؛ لأنها تقع بالقرب

---

[٨٤] سفر ، فؤاد ، " أعمال الأرواء التي قام بها سنحاريب " ، سومر ، م٣ ،ج١ ، بغداد ،١٩٤٧ ، ص٨٠.

وحول نصوص سنحاريب الخاصة بمشروع ارواء نينوى انظر :

Jacobsen, Th.,and lloyd ,S.Senna cheribs Aqueduct at Jerwan, chicago, 1935,PP.31-43.

[٨٥] رشيد ، فوزي ، نظم الارواء في العراق القديم ، ص٩١.

[٨٦] سفر ، فؤاد ، المصدر السابق ص٨٠.

[٨٧] الملائكة ، جميل ، "روائع الاعمال الهيدروليكية في العراق القديم" , مجلة آفاق عربية ، العدد١ ، السنة الخامسة ، ١٩٧٩ ، ص٦٠.

من قرية جروانه في قضاء الشيخان في محافظة نينوى ، إذ توجد في هذه المنطقة بقايا خمس قناطر، ولكن معظمها قد تهدم [٨٨]

يبلغ طول هذا المشروع الإروائي نحو ٨٠ كم ، وقد شيّد سنحاريب عند قرية بافيان سدا كان بمثابة ناظم للسيطرة على مياه نهر الكومل المتدفقة [٨٩]، كما اقام منحوتات شامخة تخلد أعماله التي تقع اليوم في خنس الواقعة على الضفة الغربية لنهر الكومل في الشيخان[٩٠].

ويُعدُّ المهندسون في وقتنا الحاضر أن مشروع سنحاريب الإروائي من روائع الأعمال التي طبقت فيها مبادئ الهيدروليك الحديثة في الحياة العملية ، كما يُعدُّ هذا العمل أول مشروع لإسالة الماء الى المدن ، والذي انجز عام٦٩١ ق.م.[٩١]

مشروع إرواء أربيل أول تقنية للكهاريز في التاريخ :

فكرة هذا المشروع تهدف الى جلب مياه نهر باستورة بتقنية الكهاريز التي سبقت الإشارة اليها الى مدينة أربيل، ويمكن مشاهدة آثار هذا المشروع بالقرب من قرية مورتكة الواقعة ٢٠كم شمال مدينة اربيل اذ توجد مسناة من

---

[٨٨] سفر ، فؤاد , المصدر السابق , ص٨٢.

[٨٩] رشيد ، فوزي ، نظم الارواء في العراق القديم ، ص٩٢.

[٩٠] خنسي ، بيوار ، الآثار في خنس واهميتها ، اربيل ، ٢٠٠٦ ، ص٤٨.

[٩١] الملائكة ، جميل المصدر السابق ، ص٦٠.

وللمزيد حول هذا المشروع ينظر:

مظلوم ، طارق عبد الوهاب ، "مشروع ارواء نينوى" ، مجلة النفط والتنمية ، العدد٧ ، ٨ ، بغداد ، ١٩٨١، ص٩١ وما بعدها .

مكعبات حجرية في وسطها فوهة لانتقال المياه من النهر الى الكهاريز الخاصة بالمشروع[٩٢] ، وعلى أحد الأحجار المكعبة يوجد نص مسماري يتحدّث فيه عن جهوده في عمل هذا المشروع ؛ لإرواء أربيل بقوله :

" أنا سنحاريب ملك العالم ، ملك بلاد آشور ، حفرت ثلاثة أنهار في جبال خاني وهي جبال في أعالي مدينة أربيل ، وأضفت إليها مياه العيون التي في اليمين واليسار من جوانب تلك الانهار ، ثم حفرت قناة (تمتد) الى أواسط مدينة أربيل موطن السيدة العظيمة الآلهة عشتار ، وجعلت مجراها مستقيما " [٩٣]

إنّ هذا المشروع يُعدُّ أقدم قناة إروائية عملت بنظام الكهاريز ، والمعروف عربيا باسم (الأفلاج) ، ويبدو أن منطقة أربيل هي إحدى المناطق القديمة التي شاع استعمال القنوات فيها على نطاق واسع فيما بعد .

اعتمد بناء هذه القناة على نقل المياه من نهر باستوره الذي ينبع من جبال سفين وصلاح الدين وباني – باوه– داغ وهي الجبال التي عرفها الآشوريون باسم جبال خاني وتجري في وديانها عدد من الانهار الصغيرة التي تتجه الى نهر (باستوره) ، التي تعتمد عليه في أخذ مياهها ، فضلا عن بعض العيون الموجودة في الجبال .[٩٤]

---

[٩٢] سفر ، فؤاد ، المصدر السابق ، ص٨٤ .

[٩٣] رشيد ، فوزي ، نظم الاروا في العراق القديم ، ص٩٢.

[٩٤] الهاشمي ، رضا جواد ، "الافلاج من مشاريع الارواء العربية القديمة" ، ص٣٤-٣٥.

إنّ فوهـة القنـاة المكتشـفة مربعـة الشـكل أبعادهـا (١٢٠×١١٢سـم) وجدرانها وسقوفها مشيدة بالحجارة المهندمه ، كما رصفت أرضيتها بالحجر ايضا ، وتمتد القناة بهذه السعة الى نحو(٦) ستة أمتار ، ثم تبدأ بالتوسع التدريجي حتى يصل عرضها ٢٧٠سم ، وهنا يقتصر التشييد الحجري على الجانبين لارتفاع (٥٠سم) .

إنّ التوسع فـي عـرض القنـاة يعطينـا دلـيلا علـى مهـارة التقنيـة التـي استخدمها الآشوريون في هذا المشروع ، لمنع تيار الماء من تخريب القناة ، كما شُوْهِد من جانبي مدخل القناة ثقبان هما موضعا قضيبين ، لتثبيت بوابة القناة ، وتنظيم مائها ، وعلى طرفي القناة مسّناة تسند أتربة المرتفع الذي ورائها من الانهيار ، وتمنعه من التآكل ، وتحافظ على فوهة القناة من الخراب .[٩٥]

تـدلل لنـا هـذه القنـاة سـبق الآشـورريين فـي ابتكـارهم ، لتقنيـة نظـام الكهاريز ، ولكن هذا النظام لم يكن منتشرا في كل مناطق العراق القديم لعدم الحاجة اليه في أغلبها بسبب وفرة المياه في أنهاره التي شهدت تنظيما لافتا للنظر في إقامة مشاريع إروائية مختلفة لسقي الأراضي الزراعية ؛ ولهذا السبب انحسر اعتماد نظام الكهاريز في العراق قديما ، وحتى وقتنا الحاضر في المناطق الشمالية منه .[٩٦]

---

[٩٥] سفر ، فؤاد ، المصدر السابق ، ص٨٤-٨٥.

[٩٦] الهاشمي ، رضا جواد ، "الافلاج من مشاريع الارواء العربية القديمة" ، ص٣٦.

نبوخذ نصر الثاني ومشارع الري :

عُرِفَ عن نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) الذي حكم في العصر البابلي الحديث(٦٢٦-٥٣٩ ق.م) بأنه كان عسكريا بارعا وعمارا متميزا وبخاصةٍ في بناء وإعمار عاصمتهِ بابل[٩٧] ،ومع هذه الاهتمامات فقد أولى اهتماما بمشاريع الري حاله حال ملوك العراق القديم الذين سبقوه في هذا المجال .

تشير النصوص المسمارية الى أن هناك (١٨) ثماني عشرة قناة مائية كانت تخترق بابل على ضفتي الفرات وهي تمرُّ في الحقول الزراعية القريبة من بابل ، وبعض هذه القنوات تمتد بعيدا حتى تصل الى مشارف نهر دجلة [٩٨]، وتذكر المصادر الكلاسيكية إلى أن نبوخذ نصر الثاني شقّ حال تسلمه الحكم نهر ملكا (أحد فروع نهر الفرات ، ويمرُّ بمدينة سبار، ويمتد بموازاة الضفة اليمنى لنهر دجلة حتى يصل الى نقطة مقابل مدينة الكوت الحالية[٩٩] ، كما ذكرت تلك المصادر أن هذا الملك شيّد فوق مدينة سبار (شمال بابل) خزانا محيطه أربعون فرسخا (الفرسخ٣-٤ ميل) وعمقه عشرون

---

[٩٧] حول سيرة نبوخذ نصر الثاني وانجازاته انظر:

محمد ، حياة ابراهيم ، نبوخذ نصر الثاني ، بغداد ،١٩٨٣.

[٩٨] سعيد ، مؤيد ،بابل ، عمان ،٢٠١٠ ، ص٥٣ وما بعدها .

[٩٩] سوسه ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الآثارية والمصادر التاريخية ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٨٦، ص١٥٤.

قامـة (القامـة ٦ أقـدام) وأقـام لـه بوابـات يمكـن فتحهـا ؛ لإرواء الأراضـي الزراعية [١٠٠].

يُعدُّ إنشـاء بحيرة لخـزن الميـاه فـي منخفض عقرقوف (موقـع العاصـمة الكاشية (دوريكاريكالزو) هـي واحدة من أهم أعمال نبوخذ نصـر الثاني في مجال الري مستفيدا من انخفاض هذه المنطقة ؛ لإنشاء البحيرة التي تمتد بين الفرات ودجلـة ؛ لتكـون كـذلك حصـنا دفاعيـا لمدينـة بابـل ضـد الاعتـداءات الخارجيـة ، فضـلا عن فائدتها فـي خـزن الميـاه والاستفادة منهـا فـي حـالات الشحة (الصيهود)[١٠١] وفي ذلك يقول :

(حتـى لا يقتـرب العدو ، عديم "الرحمه" من بابـل أحطـت الـبلاد بميـاه غزيرة مثل امتداد البحر أمواجه مثل أمواج البحر الواسع ... قويت دفاعاتها بمهـارة وجعلـت مدينـة بابـل تشـبه الحصـن)[١٠٢]. يبلـغ محيط البحيـرة نحـو ٢٠٠كـم وعمقهـا ٣٦م تقريبـا [١٠٣]، وتـذكر المصـادر الكلاسـيكية أن هنـاك جدولا كان يزود البحيرة بالمياه من نهر الفرات ، ويتم إطلاق المياه المخزونة بوساطة فتحـات خاصـة فـي السد المحيط بـالبحيرة مـن جهـة الجنـوب والـذي كـان مكسـوا بالحجـارة والقـار وكـذلك السـدود المحيطـة بـالبحيرة مـن بقيـة جهاتها .[١٠٤]

---

[١٠٠] الأحمد ، سامي سعيد ، حضارة العراق ، ص١٧٣.

[١٠١] غزالة ، هديب ، الدولة البابلية الحديثة ، دمشق ، ٢٠٠١ ، ص١٠٨.

[١٠٢] حنون ، فاضل كاظم ، المصدر السابق ، ص١٧٣.

[١٠٣] سوسة ، احمد ، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية ، ج٢ ، بغداد ،١٩٤٥، ص١٥.

[١٠٤] سوسه ، احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، ج٢ ، ص١٥٠.

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن نبوخذ نصر الثاني ومشاريعه الإروائية بالإشارة الى طريقة سقي (الجنائن المعلقة) الشهيرة ، التي ذكرتها المصادر الكلاسيكية بأنها بنيت من قبله ، واعتقد المنقبون الألمان بوجودها اعتمادا على ما ذكرته تلك المصادر [١٠٥]، ولكن لا توجدُ دلائل آثارية تثبت ذلك لحد الآن [١٠٦] ، وما يهمنا هنا هو طريقة سقيها .

إنّ وصف الجنائن وشرفاتها وسطوحها المدرجة بعضها فوق بعض ، التي رصفت من تحت كما يعتقد البعض بطبقات من القصب والقار ، لمنع ماء السقي من التسرب ، إذ كان الماء يرفع اليها بوساطة سلسلة من الدوالي (الناعورات) التي تشغلها الدواب ، وتُعدُّ هذه الطريقة من الطرائق المتقدمة في حينها لانها تعتمد على المبدأ المعروف في وقتنا الحاضر بـ(الهيدروليك)[١٠٧].

إنّ كل ما تقدم ذكره يعطينا دلائل على مدى ما توصل اليه العراقيون القدماء من معرفة وتقدم في مجال هندسة الري واهتمامهم الكبير بمشاريعه ، ولا بد لنا ونحن نختتم حديثنا في هذا المجال الثر من الحضارة الانسانية ان نستشهد بالرقيم الطيني المحفوظ في المتحف البريطاني برقم(BM85194) الذي يقدم حلولا لاربع عشرة مسألة عن السدود والجدران الساندة والآبار والساعات المائية وأعمال الحفر، ومنها المسألة الرابعة التي تتعلق بمقاطع السداد على جانبي القنوات والأنهار ، وكذلك طريقة حساب القاعدة العليا A

---

[١٠٥] غزالة ، هديب ، المصدر السابق ، ص١٩٦.

[١٠٦] سعيد مؤيد ، المصدر السابق ، ص١٤٦ وما بعدها .

[١٠٧] الملائكة ، جميل ، المصدر السابق ، ص٦١.

لمقطع شبه منحرف متساوي الساقين بمعرفة القاعدة السفلى(B) وظل زاوية الميل(Ø) ومساحة المقطع (A) على النحو الآتي :

$$a^2=b^2-4A \tan Ø$$

ويمكن استعمال العلاقة نفسها في حساب مقاطع القنوات ، وبالتحقيق تبين أن ما توصل اليه مهندسو الري في العراق القديم هو صحيح وهي دلالة المعرفة المتقدمة في شؤون هندسة الري وتقنياته .[١٠٨]

المختصرات الواردة في هوامش البحث

1. ANET:Pritchard,j.,Ancient Newr Eastern Texts Relating to the old Testment.New Jersey ,1969.
2. C A D : The Chicago Assyrian Dictionary, (Chicago 1956 FF).
3. ICM: Irrigation and Cultivation in Mesopotamia , Cambridge ,1988.
4. OECT:Oxford Editions of Cuneiform Texts,Oxford University Press .

---

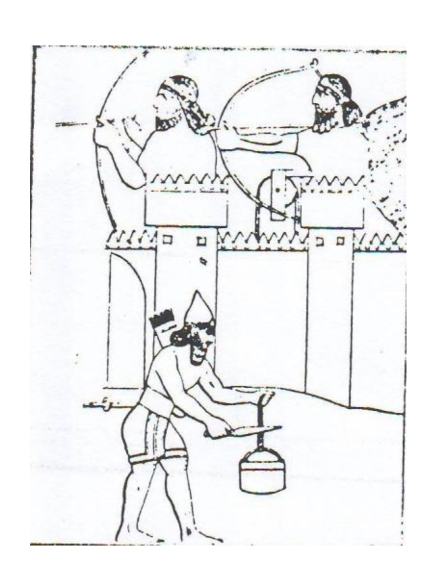
[١٠٨] الملائكة ، جميل ، المصدر السابق ، ص٥٨.



شكل (١)

ختم اكدي يصور الإله انكي جالسا والمياه تنبع من كتفيه عن :-

صبحي أنـور رشيد وحيـاة عبـد علـي الحـوري , الأختـام الاكديـة فـي المتحف العراقي , بغداد ١٩٨٢، ص١١٩



شكل (٢)

منحوته اشورية من قصر آشور ناصر بال الثاني تصور عمل البكره في سحب المياه . عن :-

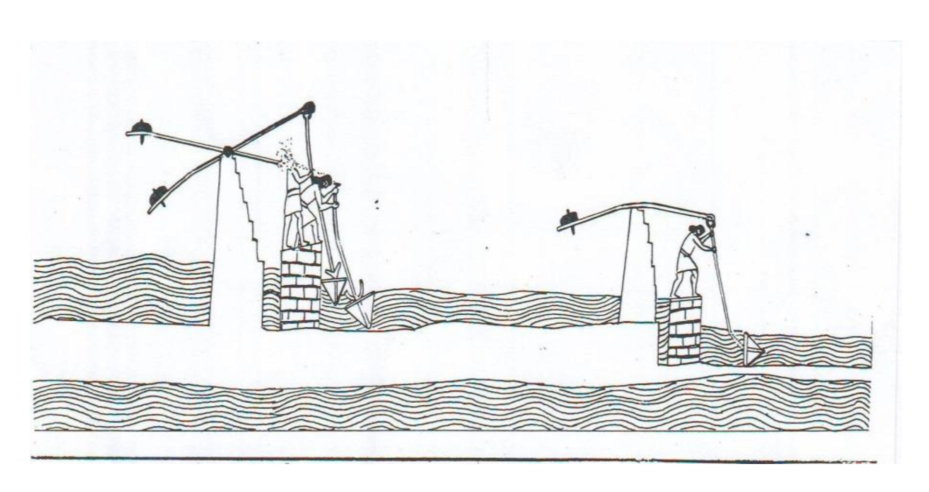
J.Leassone 'Reflection on Modern and Ancient Oriantal works' JCS,VII.p.12



شكل (٣)

الدالية (الشادوف) مصورة على ختم اكدي عن :-

احمد سوسه ، تأريخ حضارة وادي الرافدين ، ج١، بغداد ،١٩٨٢ ، ص ٤٨٤



شكل (٤)

صورة لمنحوته جدارية من قصر الملك سنحاريب توضح عمل الدالية (الشادوف). عن:-

رضا الهاشمي ، تأريخ الري في العراق القديم ، سومر ،ج١،ج٢، م ٣٩ ، بغداد ،١٩٨٣، ص ٧٨ .

تعدد تقاويم الشهور في عصر اور الثالثة

الأستاذ خالد سالم اسماعيل
قسم اللغات العراقية القديمة
كلية الاثار – جامعة الموصل

الملخص :

لعبت تقاويم الاشهر ولازالت دورا مهما ومفصليا في حياة الناس ، وان تنظيم وإعداد هذه التقاويم ومسمياتها تنوعت بحسب ثقافات الشعوب وتراثها الحضاري ونظمها السياسية التي كانت سائدة انذاك .

وقد كان لتقاويم الاشهر دورا مهما في الحياة اليومية للعراقيين القدماء ، وان هذا الموروث الحضاري الفريد يعد ابتكارا سومريا بأمتياز .

ان تعدد تقاويم الاشهر التي اعتمدت في عصر اور الثالثة (٢١١٢–٢٠٠٤ ق.م) خضع لكثير من الاجتهادات في المباحث نظرا لتباين تقاويم مدن مثل : كرسو ، اداب ، اور ، نفر ، بوزورش– داكان ، اوما ، ايشان ...

فضلا عن بعض التقاويم الخاصة باسماء تجار مشهورين أمثال : تورام – ايلي و سيأْ ، ويناقش البحث ابرز التقاويم واكثرها شهرة وشيوعا في مدونات ووثائق عصر اور الثالثة التي يمكن تصنيفها بحسب اهميتها القومية او السياسية او الدينية او الاقتصادية .

المقدمـة :

لعبت تقاويم الشهور ولازالت دورا مهما ومفصليا في حياة الناس ، وان تنظيم وإعداد هذه التقاويم ومسمياتها تنوعت بحسب ثقافات الشعوب وتراثها الحضاري ونظمها السياسية التي كانت سائدة آنذاك .

وقد كان لتقاويم الشهور دورا مهما في الحياة اليومية للعراقيين القدماء ، وان هذا الموروث الحضاري الفريد يعد ابتكارا سومريا بأمتياز ، إذ ان المقطع السومري (ITI) الذي يعني (الشهر)[١] وان هذا اللفظ السومري يمكن تقريبه الى المفردة العربية « عِدَةُ » و لنا ان نستشهد بالاية الكريمة « إنَ عِدةَ الشُهورِ عِندَ الله إثنا عشرَ شهرا في كتابَ الله يومَ خلقَ السماواتِ والارضَ .. »[٢].

وكذلك الاية « وجَعَلنَا الليلَ والنهارَ آيتينِ فمحونَا آيةَ الليلِ وجَعلنَا آيةَ النهارِ مُبصِرةً لتبتغوا فَضلا من رَبِكُم ولتعلمُوا عددَ السنينَ والحسابَ وكُلَ شيءٍ فَصلناهُ تَفصيلا »[٣] ، وقوله تعالى « هو الذي جَعلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نورا وقَدَرَه منازلَ لتعلموا عددَ السنينَ والحسابَ »[٤] ، وقوله تعالى : « فعِدتُهنَّ ثَلاثةُ اشهرٍ... »[٥].

---

[1] CDA , p.434 : a .

(٢) القرآن الكريم ، سورة التوبة (الآية : ٣٦).

(٣) القرآن الكريم ، سورة الإسراء (الآية : ١٢).

(٤) القرآن الكريم ، سورة يونس (الآية : ٥).

(٥) القرآن الكريم ، سورة الطلاق (الآية : ٤).

كما يمكننا الاستشهاد بالفاظ سومرية اخرى اعتمدت لتسمية شهر استنادا لمعاجم سومرية اخرى اوردتها كالاتي :

ITI_6 , ITUD , $ITID_X$, …

التي يقابلها اللفظ الاكدي u—war او u—ar في النصوص المعجمية والمعاجم اللغوية ومن معانيها « يوم » او « يوم في شهر جديد » او « اليوم الاول من الشهر » [٦].

وقد وضع السومريون المقطع ITI كعلامة دالة تسبق اسماء الاشهر[٧] . حتى ان العلامة الصورية وشكلها في العصور السومرية المبكرة هي عبارة عن اربعة مسامير تحيط بالرقم (١٠) المكرر لثلاث مرات وهي دلالة الى ان اكتمال الشهر بـ (٣٠) يوما [٨] ، ونورد المخطط في ادناه ليوضح تطور علامة الشهر عبر العصور التاريخية وتطور النظام الكتابي :

---

[6] Foxvog , D. , Elementary Sumerian Glossary , USA , 2010 , p.29 : b ;

وينظر كذلك :

CAD , A/II , p.259 : a ; Sallaberger ,W., SZ , p.32 .

[٧] إسماعيل ، خالد سالم " العلامات الدالة في الكتابات المسمارية " ، مجلة (آداب الرافدين) ع ٣٨ (الموصل : جامعة الموصل ، ٢٠٠٤م) ص٢٠٤.

[٨] لابات ، رينيه ، قاموس العلامات المسمارية ، ترجمة : البير ابونا ، وليد الجادر , خالد سالم إسماعيل (بغداد : ٢٠٠٤م) ص ٥٩ ، العلامة : ٥٢ .

بابلي حديث	بابلي وسيط	بابلي قديم	عصـــر اور الثالثة	كتابة اركائية

اشوري حديث	اشوري وسيط	اشوري قديم

على الرغم من ان بعض الاشـهر حسب التقويم الذي اعتمده العراقيون القدماء كانـت (٢٩) يومـا ولـيس (٣٠) يومـا ، وكـان يسـتدل علـى ذلـك فـي كتابـاتهم المسـمارية اللاحقـة مـن وضـع الـرقم (٣٠) بعـد اسـم الشـهر غيـر المكتمل اي الذي يكون عدد ايامه (٢٩) يوما ، اما بالنسبة للشهر المكتمل فكان يبتدأ بـالرقم (١) بعد اسم الشـهر كدلالـة مؤكدة علـى ان الشـهر الـذي سبقه أكملت عدته وهي (٣٠) يوما[٩].

---

(9) Neugebauer , O. , The Exact Sciences in Antiquity , Denmark, 1952 , p.106 ;

وكذلك ينظر :

روثن ، مارغريت ، علـوم البـابليين ، ترجمـة: يوسـف حَبّـي (بيـروت: ١٩٨٠م) ص ٨٧ – ٩٠.

مهما يكن من امر فبعد التقديم اعلاه لابد لنا من الولوج في تفاصيل عنوان بحثنا الذي يركز على مسألة مهمة جدا هي تعدد التقاويم التي اعتمدت في عصر أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق. م) الذي كان مثار بحث وتمحيص وكثير من السجالات في المباحث الحديثة ، وهذا الامر لم يكن في مجمله ناتجا عن اختلاف في رؤى الباحثين او اجتهادهم وانما حدث ايضا بسبب تباين التقاويم التي اعتمدتها المدن في عصر اور الثالثة وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر تقاويم مدن : كرسو ، اداب ، اور ، نفر ، بوزورش – داكان ، اوما ، ايشان مزيد ، اري – ساكريك ، فضلا عن بعض التقاويم الخاصة التي أُدرجت تحت اسماء اشخاص قد يكونون تجار مشهورين تركوا سجلات ارشيفات (Archives) اقتصادية ضخمة مثل سجلات تورام – ايلي و سي– آ– آ ، حيث قام الباحثون المحدثون بادراج تقاويم متباينة لهاتين الشخصيتين ، كما نجد في هذين التقويمين اسماءً لشهورٍ تفوق العدد المعتاد لشهور السنة ألا وهو (١٢) شهرا ، وهذا ما سنناقشه لاحقا بعد عرض ابرز التقاويم واكثرها شهرةً وشيوعا في مدونات ووثائق عصر اور الثالثة التي يمكن لنا تصنيفها بحسب اهميتها السياسية او الدينية او الاقتصادية ، فتقويم مدينة كرسو السومرية هو التقويم الاساس الذي استعمل قبل و بداية تأسيس عصر اور الثالثة واعتُمد لاحقا حيث شاع استخدامه في مدة حكم الملك السومري اورنمو (٢١١٢– ٢٠٩٥ ق.م) ثم استعمل التقويم الخاص بمدينة اور عاصمة مملكة اور الثالثة ذات الهيمنة السياسية ، كما لا يمكن اغفال تقويم مدينة نفر المقدسة لدى السومريين التي يعدها البعض العاصمة الدينية بغض النظر عن اي حكم سياسي ساد في

العراق القديم ، كذلك تقويم مدينتي اوما وبوزورش _داكان (دريهم) ذات النفوذ الاقتصادي انذاك . ان التقاويم انفة الذكر مرت بمراحل تطورية وطرأت عليها تغييرات كثيرة[١٠] في مسميات الشهور و اعدادها وتسلسلها داخل التقويم الواحد و خصوصا المدة التي اعقبت حكم مؤسس سلالة اور الثالثة أورنمو (اورنما) اي ابتداءا من حكم ثاني ملوكها شولكي (٢٠٩٤– ٢٠٤٧ ق.م) وهو صاحب اطول مدة حكم بين ملوك هذه السلالة التي دامت (٤٨) عاما ، وخلفاءه حتى نهاية عصر اور الثالثة (٢٠٠٤ ق.م) وهم على التوالي :

الملك الثالث : امار – سين (٢٠٤٦– ٢٠٣٨) ق.م.

والملك الرابع : شو – سين (٢٠٣٧–٢٠٢٩) ق.م.

والملك الخامس (الاخير) : ابي – سين (٢٠٢٨–٢٠٠٤) ق.م[١١].

فعلى الرغم مما يبدو أنه محاولات لتوحيد التقاويم في هذا العصر ، الا اننا نجد دويلات مدن سومرية كانت مستقلة سابقا مثل : او ما وكرسو حافظت على تقاويمها الخاصة بها حتى بعد دمجها ضمن مملكة اور الثالثة ، حتى انه في مراحل لاحقة وجدنا تطابقا في جميع تقاويم شهور المدن , الا اننا في الوقت نفسه وجدنا استثناءا واضحا لمدينة نفرفي عدم استعمالها لشهر مثل : ezem –^{d}Šul–gi ضمن تقويمها اسوة ببقية المدن

---

(10) Cohen , M.E. , The Cultic Calendars of the Ancient Near East , Maryland , 1993 , p.69 .

(١١) ويحدد الباحث شابان بالكتاب ادناه نهاية حكم أبي – سين في عام ٢٠٠٢ ق. م. ينظر :

Charpin , D. , Edzard , D.O, ; Stol , M. , Mesopotamien , Die alt babylonische Zeit , OBO , 160 / 4 , 2004 , p.385 .

الأخرى ، وكذلك الحال بالنسبة للشهر $\text{še–sag /sag}_{11}\text{–ku}_5$ الذي أُدرِج في كل التقاويم ، كما ان معظم اسماء الاشهر التي تم استخدامها يفترض انها ذات صلة بالتقويمات المحلية , فضلا عن ذلك ان معظم المدن اقتبست استعمال الشهرالاضافي : min 3[m n] او diri [m n]iti , وحتى الشهر المضاف هذا لم تتم اضافته في توقيتات منتظمة او ثابتة من خلال الحكم المركزي في اور كما يظن البعض ، على الرغم من عدم اثبات ذلك (على وجه اليقين) فبعد اجراء عملية حسابية تبين انه في المتوسط العام كان يضاف كل ثلاث سنوات وهي محاولة لمزامنة التقويمات الشمسية مع تلك التي تعتمد على التقويم القمري .

ان المتغيرات التي تحصل في موقع القمر توحي بتقسيم بسيط للشهر الاداري(الرسمي) الذي تكون مدته ٣٠ يوما الى قسمين وكل قسم كان يتالف من ١٥،٥يوم اي اسبوعين حيث يتراوح الاسبوع الواحد بين (٧- ٨) ايام[١٢].

علما ان التباين و الاختلاف في تقاويم المدن ظهر جليا خلال حكم اخر ثلاثة ملوك من عصر اور الثالثة ، و ان هذه التغييرات على ما يبدو كانت نتيجة حتمية لعوامل الضعف التي انتابت مملكة اور الثالثة بعد ان كانت قوة عظمى تحكم تحت لوائها معظم مدن جنوب اور وشمالها.

مهما يكن من امر لابد لنا ان نعرض الاثنا عشر شهرا التي كانت تعتمدها مدينة اور في بداية نشأتها و نقصد هنا تقويم مدينة لكش في عصر حاكمها كوديا الذي كان بالاصل هو التقويم المعتمد في اكثر من مدينة

---

(12) CDLI , Ur III Calendars , Wiki , 2017 .

سومرية وبمثابة التقويم الاقدم والاساس بالنسبة للتقاويم التي ظهرت لاحقا في مدينـة اور ومـدن اخـرى سنأتي علـى ذكرها بحسـب أهميتها ، والتقـويم الآتـي هـو الـذي كـان معتمـدا فـي مدينـة لكـش[١٣] فـي عصـرالحـاكم كوديـا بحـدود (٢١٤٠ ق.م) وكان وفق الآتي :

I. $buru_x$–maš
II. gu_4–ra_2–IZI–mu_2–mu_2
III. ezem–[d]Li_9–si_4
IV. šu–numun
V. ezem–$munu_4$–gu_7
VI. ur
VII. ezem–[d]Ba–ba_6
VIII. mu–šu–du_8
IX. mes–en–DU
X. amar–a–a–si
XI. še–kin–a
XII. ezem–še–il_2–la

---

(13) Cohen , 1993 , p. 66

اما التقويم الذي اعتمدته مدينة اور لغاية السنة الثلاثين من حكم ملكها شولكي(١٤) هو الآتي :

I. še–KIN–ku_5

II. maš–ku_3–ku_2 / maš–da_3–ku_2

III. šeš–da–ku_2

IV. u_5/ub–bi^{mušen}–ku_2

V. ki–siki–^{d}Nin–a–zu

VI. ezem–^{d}Nin–a–zu

VII. a_2–ki–ti

VIII. ezem–^{d}Šul–gi

IX. šu–eš–ša /ezem–^{d}Šu–^{d}Su'en

X. ezem–ma—

XI. ezem–an–na

XII. (ezem)–^{d}Me–ki–ĝal_2

XII^{2}. diri(ezem)–$^{(d)}$Me–ki–ĝal_2(–ke_4–us_2–sa)

بينما كانت مدينة نفر(١٥) لها تقويمها الخاص الذي لم يتأثر بالتغييرات التي طرأت على تقاويم عصر اور الثالثة وخصوصا بعد السنة الثلاثين من حكم الملك شولكي ولغاية السنة الرابعة والعشرين من حكم الملك ابي– سين وهو كما مبين في أدناه :

---

(14) Sallaberger , W. , Der Kultische Kalender der Ur III – Zeit , Teil . 1 , Berlin , 1993 , p.7 .

(15) Sallaberger,W.,1993,p.7 .

I. barag–za_3–ĝar

II. gu_4–si–su(–a)

III. sig_4–ga (/–ka/–a)

IV. šu–numun(–na/–a)

V. NE–NE–ĝar(–ra)

VI. kin–^{d}Inana

VII. du_6–ku_3(–ga)

VIII. ^{ĝeš}apin(–du_8–a)

IX. gan–gan–e_3(/ga–ga–e_3)

X. ab–e_3 /ku_3–ŠIM

XI. ziz_2–a(–ka)

XII. še–KIN–ku_5

XII^2. diri še–KIN–ku_5

اما تقويم مدينة اوما(١٦) ذات الدور الاقتصادي الهام وخصوصا في عهد الملكين شو– سين وابي– سين كان التقويم المعتمد فيها هو :

I. še–KIN–ku_5 /še–sag–ku_5

II. sig_4–$^{ĝeš}i_3$–šub–ba–ĝar

III. še–kar–ra–$ĝal_2$–la /$ĝa_2$–la

IV. nesaĝ

V. Ri

---

(16) Sallaberger,W.,1993,p.9 .

VI. šu–numun

VII. min–eš$_3$(ezem–^{d}Amar–^{d}Su'en)

VIII. e$_2$–iti–6

IX. ^{d}Li$_9$–si$_4$

X. ezem–^{d}Šul–gi

XI. pa$_4$–u$_2$–e (pa$_5$–u$_2$–e)

XII. ^{d}Dumu–zi

XII^2. diri

ان مشكلة تعدد تقاويم المدن في عصر اور الثالثة كانت ولازالت باقية دون حلٍ شافٍ او رأي ثابت يسهل على قارئي النصوص المسمارية التي تعود لهذا العصر الاستعانة به في تحديد تقويم متكامل ومعتمد لهذه المدينة او تلك ، وعلى ما يبدو ان معظم الدراسات المقدمة من الباحثين أمثال : كيلب (Gelb.I.J.) ومارك كوهين(Cohen.M.E.) وفالتر سلابيركر (Sallaberger.W.) وماكنوس فيدل (Widell.M.) وكارفنكل (Garfinkie.S.J.) واخرون لم نأت على ذكرهم ، الذين عملوا بجد ومثابرة من خلال مقالات عديدة خصصت لموضوع تقاويم الاشهر التي اعتمدت في مدن مملكة اور الثالثة ، على الرغم من ذلك بقي هذا الموضوع شائكا ومربكا وغير واضح الاسس التي بنيت عليها أرائهم [١٧] ، مما يجعل حديثي العهد في دراسة و قراءة النصوص المسمارية التي تعود لهذا العصر في حيرة من امرهم ان لم اقل في متاهة عند تناولهم للاسطر الخاصة

---

[17] Sallaberger , 1993 , p.p.5-11 ; Cohen , 1993 , p.p.69-160 .

بالتقويم المعتمد وهنا اقصد الى اي مدينة يمكن نسبه ، والسبب في ذلك متآتٍ من الاجتهادات والاراء المتباينة التي طرحها الباحثون المتخصصون والضالعون في دراسة نصوص عصر اور الثالثة نخص منهم الذين تناولوا مسألة تقاويم الاشهر للمدن السومرية بشيءٍ من التفصيل ، والغريب في هذا الامر ان جميع هؤلاء الباحثين بقي معتد برأيه فيما يخص هذه المسألة ، وان هذا التباين يكمن في امرين رئيسين :

الاول : عدد الشهور المعتمدة لكل تقويم .

والثاني : تباين اسماء الشهور واختلاف تسلسلها في تقويم مدينة عن أخرى .

و لعله من المفيد هنا مناقشة الامرين اعلاه بشيء من التفصيل لغرض التنبيه الى مسائل عدة نعتقدها مهمة في ايضاح اللبس الحاصل الذي وقع اوقد يقع فيه الباحثين المحدثين في اختصاص المسماريات عند تعرضهم الى مسألة تقاويم الشهور من هذا العصر بالذات.

فيما يخص **الامر الاول** فكما هو معروف ان معظم التقاويم و نظام العد وحساب الوقت الذي كان معتمدا في العراق القديم منذ العصور الاولى كان قد استند في الغالب على النظام الستيني في العد ومنه جاء عدد شهور السنة إثنا عشر شهرا ، ونرى ذلك واضحا في العصور التي سبقت عصر اور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ ق.م) وان معظم الباحثين يجمعون على ان التقويم المعتمد لغاية السنة الثلاثين من حكم الملك شولكي هو تقويم المدينة

السومرية الشهيرة كرسو(١٨) الذي لا يختلف كثيرا عن التقويم الذي اعتمده الامير كوديا حاكم مدينة لكش السومرية(٢١٤٠-٢١٢٠ ق. م) :

I. še–KIN–ku_5

II. maš–ku_3–ku_2 / maš–da_3–ku_2

III. šeš–da–ku_2

IV. u_5/ub–$bi^{mušen}$–ku_2

V. ki–siki–^{d}Nin–a–zu

VI. ezem–^{d}Nin–a–zu

VII. a_2–ki–ti

VIII. ezem–^{d}Šul–gi

IX. šu–eš–ša /ezem–^{d}Šu–^{d}Su'en

X. ezem–ma—

XI. ezem–an–na

XII. (ezem)–^{d}Me–ki–$\hat{g}al_2$

XII^2. diri(ezem)–$^{(d)}$Me–ki–$\hat{g}al_2$(–ke_4–us_2–sa)

---

(18) Widell ,M.,"The Calendar of Neo-Sumerian Ur and Its Political Significance , CDL1 , 2004 , p.p.1-2; Sallaberger , 1993 , p.9 .

وكذلك العصر الذي سبقه اي العصر السرجوني حيث كان التقويم المعتمد فيه يتألف من اثنا عشر شهرا ايضا وعُرِفَ بتقويم مدينة اداب[١٩] و كما مبين في الاتي :

I. eš$_{2}$–gana$_{2}$–ra
II. eš$_{2}$–gar$_{3}$–šu–gar–ra
III. še–sag–sig$_{6}$–ga
IV. a$_{2}$–ki–ti
V. ab–e$_{2}$–zi–ga
VI. ga–udu–ur$_{4}$
VII. du$_{6}$–ku$_{3}$
VIII. ni$_{3}$–^{ĝeš}kiri$_{6}$
IX. mu–TIR
X. ezem–^{d}Šuba$_{3}$–nun–na
XI. ezem–^{d}Nin–zadim
XII. še–kinx–a / še–kin–ku$_{5}$

ولكن التغيير المفصلي في نظام التقويم السومري حدث بعد السنة الثلاثين من حكم الملك شولكي الذي قام بادخال مسمى لشهر جديد اطلق عليه ^{ITI}ezem–^{d}Šulgi ويعني شهر «عيد شولكي» الذي كان قد سبقها بخطوة غريبة على السومريين وهي تأليه نفسه ، الامر الذي بدى معه التباسا واضحا في اعداد الاشهر وتسلسلها في تقويم مدينة اور ، وهكذا نجد

---

(19) Chohen , 1993 , p.202 .

الباحثين قاموا باضافة شهر على التقويم ليصبح (١٣) شهرا او كما يسميه البعض بالشهر المضاف ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل بدأ الباحثون يؤشرون تغييرات على نظم التقويم المعتمدة في السنة الثالثة والرابعة من حكم الملك شو- سين وكذلك السنة الثالثة من حكم الملك ابي- سين واستمر هذا الامر حتى السنة (٢٤) من حكمه [٢٠] ، و بطبيعة الحال فإن معظم الباحثين يعزون امر هذه التغييرات الى ضرورات سياسية .

وان هذا الامر تطور لاحقا ليصل عدد الاشهر الى اكثر من شهر مضاف بحيث ان بعض التقاويم الخاصة بسجلات التجار المشهورين مثل سجلات تورام- ايلي وصلت عدد شهور التقويم التي اعتمدها هذا التاجر الى (١٥) شهرا بحسب تحديد الباحثين من خلال احصاء ورودها في نصوص هذا الارشيف[٢١]

---

[20] Widell , CDL1 , 2004 , p.1.

[٢١] الجنابي ، جاسم عبد الأمير ، نصوص مسمارية غير منشورة من ارشيف التاجر تورام- ايلي ٢٠٤٦-٢٠٠٤ ق.م ، رسالة ماجستير غير منشورة - قسم الاثار (بغداد : كلية الاداب - جامعة بغداد ، ٢٠١٤م) ص١٢٣.

فضلا عن التقويم المبين في ادناه :

I. ezem–a–bi

II. ^{ĝeš}apin

III. ezem–an–na

IV. ezem–a–$dara_4$

V. ezem–$^{d}Li_9$–si_4

VI. ezem–ma—

VII. ezem–^{d}šul–gi

VIII. gi–sig–ga

IX. kir_{11}–si–ak

X. nig_2–e–ga

XI. nig_2–^{d}En–lil_2–la_2

XII. še–KIN–ku_5

XII^2. šu–gar–ra

لو امعنا النظر بتقويم التاجر تورام – ايلي سنلاحظ انه يتكون من خليط لتقاويم المدن السومرية , وهذا يؤيد ما ذهبنا اليه : انه لكثرة تعاملاته مع اكثر من مدينة جعل مدون نصوصه يعتمد اكثر من تقويم ، اي حسب المدن التي جاء منها الاشخاص او التجار الاخرين .

ولو تمعنا ايضا باسماء الشهور الواردة في التقويم اعلاه لوجدنا هنالك حوالي ستة اشهر من التقويم تبدأ بالمقطع (ezem) وهي كلمة سومرية تعني «عيد» وهنا لابد لنا من الوقوف عند هذا الكم الهائل من الاعياد او

المناسبات التي ربما هي مناسبات او اعياد محلية لتلك الممالك اوالمدن ذكرت في النصوص المسمارية ربما لشهرتها او طغيانها على اسماء الاشهر الرسمية في التقويم ، كما نرجح ان الباحثين قد ادرجوها ضمن تقاويم المدن كونها سبقت بالمقطع (ITI) الدال على اسم شهر ولانه موقعها في النص المسماري جاء قبل الصيغة التاريخية او اسم السنة (Year names) ذلك لانه ليس من المعقول ان السنة فيها اكثر من (١٢) شهر و احيانا يصل الى (١٥) شهر ؟!

او ان يقع مبتكري النظام الستيني اقصد السومريون في هذا الخطأ الفادح ، والا لماذا كانت التقاويم التي سبقت عصر اور الثالثة تتألف من اثني عشر شهرا ؟

لذا يمكننا القول ان معظم التقاويم التي اعتمدت في المدن السومرية من عصر اور الثالثة كان لها تقويما يقع سقفه الزمني والحسابي بأثني عشر شهرا وان تباين اعدادها بالتقاويم لا يمكن لنا الا ان نعزوه التباسا في فهم النظام التقويمي الذي اعتمد ومازال حتى وقتنا الحاضر ، ففي عصرنا الحاضر هنالك اكثر من تقويم تعتمده شعوب العالم كالتقويم الميلادي والهجري ... وجميعها تقع في (١٢) شهر بغض النظر عن الاختلاف البسيط في احتساب ايام الشهر الواحد بين هذا التقويم او ذاك .

وان الامر الذي يعزز رأينا هذا هو **الامر الثاني** الذي سنناقشه هنا ألا وهو تباين اسماء الشهور وتسلسلها في تقاويم مدن عصر اور الثالثة ،

فادناه نعرض لتقويم مدينة بوزورش – داكان (دريهم)[٢٢] ذات الشهرة بنظامها الاقتصادي في هذا العصر :

I. maš–da_3–ku_2	عيد او وليمة الغزال
II. šeš–da_3–ku_2	عيد او وليمة الخنزير
III. u_5–bi_2–ku_2	عيد أكل طيور أُبي
IV. ki–siki–^{d}Nin–a–zu	عيد جز او نقع الصوف
V. ezem–^{d}Nin–a–zu	عيد نن – آزو
VI. a_2–ki–ti	عيد أكيتي (السنة الجديدة)
VII. ezem–^{d}Šul–gi	عيد شولكي
VIII. šu–$eš_{(5)}$ –ša	شو – ايشا
IX. ezem–ma—	العيد العظيم
X. ezem–an–na	عيد السماء
XI. ezem–^{d}Me–ki–$\hat{g}al_2$	عيد ميكيكال
XII. še–KIN–ku_5	حصاد الشعير
XII^2. diri še–KIN–ku_5	الشهر الإضافي لحصاد الشعير

(22) Sallaberger,W.,1993,p.8

وكذلك الحال مع التقويم الآتي العائد الى مدينة ايري– ساكريك[٢٣] التي احصي لها أربعة عشر شهرا :

I. šu–gar(–gal)

II. ^{ĝeš}apin

III. kir$_{11}$–si–ak

IV. ses–da–gu$_{7}$

V. ezem–^{d}Li$_{9}$–si$_{4}$

VI. ezem–a–bi

VII. gi–sig–ga

VIII. ezem–^{d}Šul–gi

IX. nig$_{2}$– ^{d}En–lil$_{2}$–la$_{2}$

X. ezem–a–dara$_{4}$

XI. nig$_{2}$–e–ga

XII. ezem–an–na

XII^{2}. še–sag$_{(11)}$ –ku$_{5}$

XII^{3}. diri

ان تزايد اعداد اسماء الشهور في التقاويم التي اعتمدت في المدن السومرية وبحسب ورودها في النصوص المسمارية يقودنا الى امر هام وهو ان زيادة التبادل التجاري الذي نشط بشكل واضح بين المدن في عصر اور الثالثة وكذلك تعدد التقاويم المعتمدة في تلك المدن انعكس على زيادة اسماء

[23] Owen , D.I. , NISABA , 15 , Maryland , 2013 , p.72 .

الشهور في التقويم الواحد ، مما جعل البعض يحتسب اشهر اضافية لبعض المدن سيما وان معظم النصوص المسمارية والوثائق الاقتصادية التي تعود الى هذا العصر هي نصوص مصادرة لصالح المتحف العراقي او تلك التي تحتفظ بها متاحف ومعاهد عالمية او بعض المجموعات الخاصة اي انها لم تأت من تنقيبات علمية منظمة وان عدم معرفة المكان الذي انتزعت منه تلك الرُقُم الطينية دفع البعض الى الاستنتاج ان هذه النصوص تعود الى مدينة بعينها دون اخرى إستنادا الى اسماء الشهور التي اعتمدت في ذات التقويم[٢٤] ، وان هذا الامر لم يغفله العديد من الباحثين الذين استنتج بعضهم ان بعض السجلات (أرشيفات) الخاصة لبعض مشاهير تجار ذلك العصر والذين اتينا على ذكرهم انفا كانوا قد دونوا تقويما خاصا في سجلاتهم ووثائقهم الاقتصادية اعتمادا على اكثر من نظام تقويمي اي ان التباين في اعداد الأشهر ومسمياتها متآتٍ من تعدد النشاط او التعامل الاقتصادي لهؤلاء التجار مع اكثر من مدينة وبما ان لكل مدينة لها تقويمها الخاص بها كما اسلفنا الذكر , الامر الذي انعكس بدوره على الزيادة المضطردة في اعداد ومسميات الشهور في الارشيف الواحد وهذا ما نجده واضحا في سجلات التاجر تورام ايلي ، و يرى الباحث كارفنكل ان مدوني النصوص المسمارية للتاجر تورام ايلي اعتمدوا تقاويم محلية لمدن مجاورة اخرى غير المحل الذي تم فيه تسجيل العقد او الاتفاق او القرض او البيع

---

[24] Van de Mieroop , M. , " Turam – ili an Ur III Merchant " JCS , 38 , 1986 , p.4.

او الاستلام ...الخ[٢٥] ، ولذلك نجد ان العديد من النصوص المسمارية معلومة المكان الذي اكتشفت فيه و كذلك محدد الموقع الذي تمت فيه الصفقة لا تتطابق فيها اسماء الاشهر مع التقويم المحلي المعتمد في تلك المدن .

ومما تقدم نجد ان الاستنتاج الامثل الذي يمكن طرحه هو ان تعدد النظم التقويمية التي اعتمدت في مدن عصر اور الثالثة ، فضلا عن التباين في مسميات شهورها وكذلك التعديلات التي اجريت على التقاويم يمكن ان يعزى لدوافع سياسية[٢٦] فرضتها تغييرات في الجغرافية السياسية التي سادت بين المدن السومرية وولائاتها ، كان لها التأثير الاقوى في ذلك التباين الذي نعاني منه الان في فهم واضح و جلي للتقاويم التي اعتمدت في مدن عصر اور الثالثة .

وهنا لابد لي من الاشارة الى مسألة اخرى تخص الشهر الذي كان من المفروض ان يقع في اول اشهر السنة السومرية ألا وهو شهر (akiti) وهو الشهر الذي كان يشهد احتفالا مهيبا وخاصا يسمى عيد رأس السنة , لكننا نجد معظم الباحثين يضعونه في قوائم شهور بعض المدن بتسلسل يقع في منتصف السنة فمثلا في تقويم مدينة بوزورش– داكان (دريهم) يضعه الباحث سلابيركر كشهر سادس ، وفي تقويم مدينة اخرى يجعل تسلسله

(25) Garfinkei,S.,"Turam-ili and the Community of Merchant in Ur III Period" , JCS ,54, 2002,P.25.
(26) Widell ,M., CDLI, 2004, P.2

رابعا ، على الرغم من ان الباحث كيلب جعله الشهر الاول ضمن التقويم السومري لمدينة اداب[٢٧].

وان هذا الامر يحتاج الى مناقشة و تحليل معمقين للخروج برأي مسند بأدلة تدعم تسلسله الحقيقي ضمن التقويم .

I. a_2–ki–ti
II. ab–e_3–zi–ga
III. ga_2–udu–ur_4
IV. du_6–ku_3
V. nig_2–giš–šar
VI. mu–tir
VII. ^{d}Ninni–za–nun
VIII. ezem–^{d}Nin–mug
IX. še–gur_{10}–ku_5
X. še–še–gur_{10}–a
XI. šu–gar
XII. še–sag–$ša_6$–ga

(27) RLA , 5 , 1976 – 1980 , p. 299 .

أثر الدين على الاقتصاد
في مكة قبل الإسلام

الأستاذ المساعد الدكتور
حسن كاظم دخيل
الكلية التربوية المفتوحة

الملخص :

كان العرب في جاهليتهم يحجون الى الكعبة من جميع أرجاء الجزيرة العربية ، كما حجت اليها شعوب من أمم أخرى .

وللحج ارتباط كبير بالحياة الاجتماعية والاقتصادية عند العرب فقد كان للكثير من تقاليده إثر واضح في حياة المجتمع العامة ، فكانوا يتخذونه وسيلة من وسائلهم الاجتماعية ، إذا يفدون الى مكة من كل صوب فيلتقون في موسم الحج وأسواقه ، في ظل الأشهر الحرم .

ونتيجة ارتباط الحج بهذا الأمور فإنّ موعده لم يكن ثابتا ، بل يتغير بحسب الأحوال المرتبطة به .

وكان للعرب عدة بيوت يحجون اليها قبل الإسلام حتى استقروا على المناسك التي علّمها نبي الله إبراهيم (عليه السلام) لابنه إسماعيل والتي اتخذها المسلمون في ما بعد طقوسا لأداء فريضة الحج التي كانت مرتبطة إلى حدٍّ ما بالنشاط الاقتصادي قبل الإسلام ...

المقدمة :

شغلت المعتقدات والعبادات والطقوس الدينية حيزا كبيرا ومهما في حياة الشعوب القديمة ، إذ تركت آثارا واضحة على مسيرتها الحضارية ، ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا : إنّ الجانب الديني من أبرز العوامل المؤثرة في حضارات الأمم القديمة ، فهو يسهم في تحديد الأطر والتقاليد والأعراف والقوانين وله أثره في الحياة الاقتصادية والفكرية .

ومما لا شك فيه ان المعتقدات الدينية قديمة قدم الإنسان ، فهي ترجع إلى أزمان بعيدة من عصور ما قبل التاريخ ، ومن البديهي أن نفترض أن الفرد في العصور القديمة الأولى كان يتعبد في بيته قبل أن تنشأ فكرة إقامة المعابد ، إذ كان المعبد في أقدم أطواره حجرةً صغيرةً مشيّدةً باللبن ، وتحيطها أرض مربعة الشكل تقريبا ولا يزيد طول ضلعه عن ثلاثة أمتار فيها تجويف يعرف بهيكل المعبد [١]

١. الحج قبل الإسلام :

يُعدّ الحج من أقدم الشعائر و الطقوس الدينية العربية القديمة وقد أسهب اللغويون في عراض هذه المفردة الثنائية الأصل ، وهي اسم صوت يخرج من الفم عند إجهاد النفس ، كما يجري عند الأعمال اليدوية التي تتطلب جهدا كبيرا مثل : أعمال النجارين والحدادين وغير ذلك ، ثم دلت الكلمة على الدوران ، ثم الاحتشاد في المواسم والأعياد ، وثم القصد ثم

---

[١] باقر ، طه : وآخرون ، تاريخ العراق القديم ، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد ، د ، د) ج٢ ص٢٧ .

الزيارة الى المقاصد ، ومن المعاني الأخرى لكلمة الحج هو كثرة القصد الى من يعظّم [٢] ، ولعلّه أراد بذلك التوجه الى مكان بعينه يحظى بمنزلة كبرى لدى قاصديه ، وكذلك ورد أن الحج يعني التوجه " حجّ إلينا فلان أي قدم " أي توجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضا وسنة ، أي يقصدونه ويزورونه [٣] ، والحج كذلك يعني القصد : وهو كثرة الاختلاف والتردد [٤].

حج العرب إلى الكعبة سواء أكان أفي الحجاز أم في خارجها ، وطافوا حول البيت وقدّسوه وأقسموا به يقول الشاعر زهير بن أبي سلمى [٥] :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله   رجال بنوهُ من قريشٍ وجرهم[٦]

---

[٢] الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد (ت ١٧٥ هـ) ، العين ، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد (بغداد ، ١٩٨١) ، ج٣ ، ص٩ .

[٣] ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت ٧١١هـ) لسان العرب ، دار صادر ، (بيروت ، ١٩٥٦ م) ، ج٢ ، (مادة حج) .

[٤] الزبيدي محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مصطفى حجازي ، مطبعة الكويت (الكويت ، ١٩٦٩ م) ، ج٥ ، ص ٤٥٩، مادة حج) .

[٥] زهير بن أبي سُلمى : زهير بن أبي رباح بن ثور بن الحارث بن مازن .... بن طابخة بن الياس بن مضر ، من أبرز شعراء العرب . ينظر : ابو الفرج الاصفهاني ، علي بن محمد القرشي (ت ٣٥٦هـ) الأغاني ، تحقيق إبراهيم الابياري ، دار الشعب (القاهرة ١٩٧٠م) ، ج١٠ ، ص٣٢٢ .

[٦] الشنتمتري ، ديوان زهير بن أبي سلمى ، المكتبة العربية ، (حلب ، ١٩٧٠م) ، ص١٠

وبعد انتهاء النبي إبراهيم (عليه السلام) من بناء البيت الحرام في مكة أمره الله عزّ وجلّ أن يؤذن في الناس بالحج ، وهذا ما جاء في قوله تعالى " وأذِن في الناس بالحَج يَأتُوك رِجالا وعلى كُلّ ضامرٍ يَأتين مِن كُلّ فَجّ عَميق " [٧] .

وأصبحت الكعبة من أهم بيوت العبادة عند العرب ، ونالت قدسية ومكانة عالية فاقت غيرها ، لأنّها أول بيت للحج ، إذ قال تعالى : " إن أوَلَ بَيتٍ وُضِع للناس للذي ببكة مباركا وهدًى للعالمين " [٨] .

وكان العرب في جاهليتهم يحجون إلى الكعبة من جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية ، فحج إليها ملوك حمير وكِنْدَة وغَسان ولخم [٩] . كما حجّ إليها بعض شعوب الأمم الأخرى منهم الهنود والفرس [١٠].

وللحج ارتباط كبير بالحياة الاجتماعية والاقتصادية عند العرب [١١] ، فقد كان للكثير من تقاليده أثر واضح في حياة العرب العامة ، فكانوا يتخذونه وسيلة من وسائلهم الاجتماعية ، إذ يفدون إلى مكة من كل صوب فيلتقون

---

[٧] سورة الحج : آية ٢٢ .

[٨] سورة آل عمران : آية ٩٦ .

[٩] الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ) ، معجم البلدان دار صادر ، (بيروت ، ١٩٥٥ م) ، ج٥ ، ص١٨٣ .

[١٠] الخربوطلي علي حسني ، تاريخ الكعبة ، دار الجيل ، (بيروت ، ١٩٧٦م) ، ص١١ .

[١١] البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت٤٤٠هـ) : الآثار الباقية عن القرون الخالية تحقيق أدور ساكو ، (لا ييزك ، ١٩٢٣م) ، ص٦١ .

فـي موسـم الحـج وأسـواقه [١٢] ، فـي ظـل الأشـهر الحـرم [١٣] ، فيجتمعـون ويتعـارفون ويتبـادلون المنـافع مـن بيـع وشـراء ومبادلـة ، ويعقـدون مجـالس المفاخرات والمشاورات وحلِّ المشكلات ، وكل صاحب دعوة يريد أن يعلن عنها ، يجد في موسم الحج مجالا واسعا وصالحا [١٤] .

ونتيجة ارتباط الحج بهذه الأمور فإنّ موعده لم يكن ثابتا ، بل يتغير من سنة إلى أخرى ، بحسب الأحوال المرتبطة بهم ، مما جعلهم يؤخرون (ينسؤون) الأشـهر الحُرُم [١٥] فيبـدؤون عـادة بشـهر المحـرّم ، فيحلـون فيـه أعمالهم ويؤجلون حرمته إلى شهر صفر ، وهذا ما عرف بالنسيء [١٦][١٧] ،

---

[١٢] ابن حبيب ، أبو جعفر محمد بن أمين الهاشمي (ت ٢٤٥هـ) : المحبر ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسن السكري ، دار الافاق الجديدة ، (بيروت ، ١٣٦١هـ) ، ص٢٦٣ .

[١٣] المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ) : كتاب الأزمنة والأمكنة ط١ حيدر اباد ، (الدكن ، ١٣٣٢هـ) ، ج١ ، ص٨٩ .

[١٤] الخربوطلي ، تاريخ الكعبة ، ص٧.

[١٥] الازرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ) : أخبار مكة المشرفة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي صالح الملحسن ، دار الأندلس ، (مكة المكرمة ١٣٨٥هـ) ، ج١ ، ص١٨٤ .

[١٦] الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر (ت ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ١٩٤٧م) ، ج٢ ، ص٢٧٠ .

[١٧] النسيء : يعني تأخر الشهر إلى شهر آخر . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ (مادة نسأ) .

والأشهر الحُرُم قبل الإسلام كانت من ٢٠ ذي الحجة إلى نهاية العشرة الأوائل من شهر ربيع الآخر . وأشهر الحج معلومات هي (شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة)[١٨] .

وعُرِفَ الحج عند العرب في شبه جزيرة العرب منذ عهد بعيد ، إذ كانت لديهم بيوت عدة يحجون إليها ويؤدون القرابين وينحرون الجزور عندها [١٩] وأشهر هذه البيوت الكعبة وبيوت معظّمة أخرى منها :

١. بس : بيت لقبيلة غطفان بناه ظالم بن أسعد لما رأى قريشا يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت ، وأخذ حجرا من الصفا والمروة وبنى في قومه بيتا اجتزأ به عن الحج ، فأغار زُهير بن جناب الكلبي فقتل ظالما وهدّم بناءه [٢٠] .
٢. رِئام : كان لحمير صنعاء ، وهو بيت يعظّمونه ويتقربون عنده بالذبائح ، وتذكر الروايات عند مجيء تُبع إلى العراق هدمه بموافقة الحبرين اللذين صاحباه ، وتهوّد تبع وأهل اليمن واختفى اسم رِئام من الأسماء والأشعار [٢١] .

---

[١٨] ابن منظور ، المصدر نفسه ، ج٢ ، (مادة حج) .

[١٩] ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ) ، الأصنام تحقيق أحمد زكي باشا ، ط٢ ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، ١٩٢٤م) ، ص٣٨.

[٢٠] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص١٢.

[٢١] المصدر نفسه ، ص١٢.

٣. الربــة : هـو البيـت الـذي بُنِـيَ علـى الـلات ، وفـي روايـة أنـه كـان بنجران [٢٢].

٤. رضى : بيت كان لبني ربيعة بن سعد بن زيد مناة [٢٣] .

٥. القُليس : وهي التي بناها إبرهة الأشرم في صنعاء ، وهي مبنية من الرخام وجيد الخشب المذهب وكتب إلى ملك الحبشة " إني قد بنيت لك كنيسة لم يبنَ مثلها أحد قط ، ولست تاركا العرب حتى أصرف حجهم عن بيتهم فبلغ ذلك بعض نسأة الشهور ، فبعث رجلين من قومه وأمرهما أن يتغوطا فيها ففعلا ، فلما بلغه ذلك غضب وقال : من أجترأ على هذا فقيل : بعض أهل الكعبة ، فغضب وخرج بالفيل ، فكان من أمره ما كان " [٢٤] .

٦. ذو الكعبات : بيت لربيعة كانوا يطوفون به [٢٥] .

أمـا الأصـنام فأعظمهـا (هُبـل) وكـان لقـريش ومكانـه فـي جـوف الكعبـة [٢٦] و(العُـزّى) التـي كانـت قـريش تخصّـها دون غيرهـا بالزيـارة والهدية ، و(اللات) فقد كانت تخصها ثقيف [٢٧] ، ومناة التي كانت تخصها الأوس والخزرج [٢٨] .

---

[٢٢] المصدر نفسه ، ٢٢.

[٢٣] المصدر نفسه ، ص٢٢.

[٢٤] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٤٧.

[٢٥] المصدر نفسه ، ص٤٨.

[٢٦] المصدر نفسه ، ص٢٣.

[٢٧] المصدر نفسه ، ص٤٢-٤٣.

[٢٨] المصدر نفسه ، ص٤٢-٤٣.

وكانت الأصنام الأربعة المذكورة أكثر إعظاما في نفس قريش من تلك التي جلبها عمرو بن لحي[٢٩] وهي (ود وسواع ويغوث ونائلة وذو الخلصة ومناف) وكانت قريش تسمي (عبد مناف) ، ولأصنامهم قدسية فلم تكن الحيض من النساء تدنوا منها ولا تمسح بها ، إنما كانت تقف ناحية منها [٣٠] . و (سعد) وهو صخرة طويلة وكان لمالك وملكان أُبني كنانة ، و (ذو) الكفين الذي كان لروس ثم لبني منهب بن دوس ، و(ذوالشرى) لبني الحارث بن يشكر بن مُبشر من الأزد و (الأُقيصر) الذي كان لقضاعة ولخم وجذام ، وعاملةَ وغطفان في مشارف الشام كما كانت (عائم ونهم وسعير وعُمياس) من أصنام شبه الجزيرة العربية ، وفي الإسلام أصبح الحج إلى مكة ، وقد قال سبحانه وتعالى " فيه آياتُ بَيَناتً مَقَامُ إبراهِيمَ وَمَنَ دَخَلَه كانَ آمِنا ، وللهِ عَلىَ الناسِ حِجُ البيتِ من أستَطاعَ إليه سَبِيلا وَمَنَ كَفَر فإنَّ اللهَ غني عَنِ العَالَمِين " [٣١][٣٢]

---

[٢٩] عمرو بن لحي : عمرو بن لحي بن قمعة بن خندق ، أبو خزاعة ، أول من بدل دين إبراهيم (عليه السلام) ، ونقل الأصنام من بلاد الشام إلى شبه جزيرة العرب . ينظر : ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) ، جمهرة أنساب العرب ، ط٢ تحقيق لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٣ م) ، ص٢٣٣ .

[٣٠] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٢٩.

[٣١] سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

[٣٢] حدد الحج في الإسلام على الأرجح في السنوات من (٥-١٠) للهجرة .

٢. مكة قبل الإسلام :

قامـــت مدينـــة مكـــة علـــى أســـس دينيـــة بحـــت ، فالكعبـــة كانـــت هـــي العامـــل الـــرئيس لنشـــوئها كمدينـــة [٣٣] ، غيـــر أن الروايـــات اختلفـــت فيمـــن بنى الكعبـة أول مـرة إن كانت الملائكـة ، آم آدم عليه السـلام [٣٤]

---

[٣٣] الخربوطلي ، تاريخ الكعبة ، ، ص٧.

[٣٤] المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) ، أخبار الزمان ومن إبادة الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الاندلس للطباعة والنشر (بيروت ١٩٦٦ م) ، ص٧٣ ، الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن ابي بكر ابن أحمد (ت ٥٤٨هـ) . الملل والنحل ، ط٢ ، تحقيق محمد سيد الكيلانـي ، دار المعرفـة للطباعـة والنشـر (بيـروت ، ١٩٧٥) ج٢ ، ص٢٣٢-٢٣٣ ؛ السـهيلي ابو القاسم عبد الرحمن بن احمد بن ابي الحسن الخثعمي (ت ٥٨١هـ) ، الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، دار المعرفة للطباعة والنشر (بيروت ، ١٩٧٨ م) ج١ ص٢٢-٢٢٣ ، ابن الجوزي ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ) الوفـا بـأحوال المصـطفى ، تحقيـق مصـطفى عبـد الواحـد ، مطبعـة السعادة (مصر ، د - ت) ج١ ص١٤٦ ، الكلاعي ، سليمان بن موسى الاندلسي (ت ٣٤هـ) الاكتفـاء فـي مغـازي رسـول الله والثلاثـة الخلفـاء ، تحقيـق مصـطفى عبد الواحد ، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ، ١٩٦٨ م) ج١ ، ص٤٦-٥٠ ، العمري ، ابـن فضـل الله شـهاب الـدين أحمـد بـن يحيـى (ت ٧٤٩هـ) ، مسـالك الأبصـار فـي ممالك الأمصـار ، دار الكتب المصرية (القاهرة ، ١٩٢٤) ، ج١ ، ص١٠ ، الديار بكرى ، حسين بن محمد بن الحسن (ت ٩٦٦هـ) ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، (القاهرة ١٢٨٣هـ) ، ج٢ ، ص٨٨ .

آم ابنه شيت [٣٥] .

وحج الملائكة وآدم إليها إلاّ أنها لم تكن واضحة في بيان ترتيب المناسك التي كانوا يحجون فيها وغدت تلك المناسك واضحة عندما حج النبي إبراهيم (عليه السلام) فهو أول من أدى مناسك الحج بترتيبها المتعارف عليه ، يعد انتقاله من فلسطين الى مكة امتثالا لأمر الله سبحانه في بناء البيت " وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود " [٣٦] ، " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا أنك أنت السميع العليم " [٣٧] وبعد أن أتّم بناءه البيت مع ابنه إسماعيل (عليهما السلام) ويعتقد أن ذلك بنحو سنة(٢٥٧٢ ق. م) [٣٨] بدأت المرحلة الثانية وهي الآذان بالحج (وأذِن في

---

[٣٥] ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ، تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي ، المطبعة الإسلامية (مصر ، ١٩٣٤ م) ، ص١٠ = المسعودي ، أخبار الزمان ، ص١١٠ ، السهيلي ، الروض الأنف ، ج١ ، ص٢٢٢ المكي عبد الملك بن حسين بن عبد الله العصامي (ت ١١١١ هـ) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية (د. م. ، د. ت) ، ج١ ، ص٨٨ .

[٣٦] سورة الحج ، اية : ٢٦ .

[٣٧] سورة البقرة ، آية : ١٢٧ ، الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج١ ، دار الفكر (بيروت ، ١٩٨٨ م) ، ص٥٤٦-٥٤٧ .

[٣٨] عطار ، احمد عبد الغفور ، الكعبة والكسوة منذ أربعة الاف سنة حتى اليوم (مكة المكرمة ، ١٩٧٧ م) ، ص١٥ .

النـــاس بـــالحج يـــأتوك رجـــالا وعلـــى كـــل ضـــامر يـــأتين مـــن كـــل فـــج عميـق " [٣٩]، وتعلـم المناسـك " ربنـا واجعلنـا مسـلمين لـك ومـن ذريتنـا أمـة مسلمة لك ، وارنا مناسكنا وتب علينا ، أنك أنت التواب الرحيم " [٤٠]. وكان إبـراهيم (عليـه السـلام) يفكـر فـي الكيفيـة التـي سيصـل بهـا صـوته الـى كـل الناس ليبلغهم أمر ربه " لما فرغ إبراهيم من بناء البيت الحرام قال : أي رب أني قد فعلت فأرنا مناسكنا ، فبعث الله تعالى إليه جبريل فحج به ... ثم علا على ثُبير فقال : يا عباد الله أجيبوا ربكم ، فسمع دعوته من بين الأبحر ممن في قلبه ذرة من إيمان ، فقالوا لبيك اللهم لبيك " [٤١]

وعلّـم إبـراهيم (عليـه السـلام)هـذه المناسـك لأُبنـه إسـماعيل وأمـره ان يقيم للنـاس الحـج [٤٢] وبهـذا تنتهـي مهمـة إبـراهيم عليـه السـلام ويعـود الـى فلسطين [٤٣]

---

[٣٩] سورة الحـج ، آيـة : ٢٧ ؛ داود جرجيس داود : أديـان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضـاري والاجتمـاعي ، ط١ ، المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنشـر ، (بيـروت ١٩٨١م) ، ص٢١٢ .

[٤٠] سورة البقرة ، آية : ١٢٨ .

[٤١] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٤٧ .

[٤٢] المصدر نفسه ، ج١، ص٤٧.

[٤٣] ابن سعد ، محمد بـن منيـع (ت ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، دار صـادر (بيروت د. ت) ، ج١ ، ص ٤٨ .

ثم تولى إسماعيل (عليه السلام) الإشراف على أمور الكعبة بعد أبيه من غير منافس لمكانته وفضله فأصبح (عليه السلام) إماما للناس بتأدية المناسك وشعائر الحج [٤٤] .

وأصبحت العناية بأمور الكعبة ورعايتها بعد إسماعيل (عليه السلام) الى ابنه ثابت الذي سار على سيرة أبيه وجده وكانت الشعائر في عهدهم قائمة على الإيمان والتوحيد [٤٥] ولكن بعد وفاته آل أمر الكعبة الى قبائل جرهم بعد أن تخلّى أبناء إسماعيل عنها من غير قتال وذلك لقرابتهم [٤٦].

---

[٤٤] ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك البصري (ت ٢١٨هـ) ، السيرة النبوية لابن هشام مع شرح ابي ذر الخشني ، تحقيق عبد الرحيم ومحمد بن عبد الله الصعاليك ، مكتبة المنار (الاردن ، ١٩٨٨ م) ، ج١ ، ص٣٧ –٣٨ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٥ ، ص٥٢٨٠ .

[٤٥] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١، ص٨١ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج١ ، ص٦٣ –٦٤ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص١٧٥ .

[٤٦] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٦٠؛ الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨١ ؛ البلاذري احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) ، أنساب الاشراف ، تحقيق ، محمد حميد الله ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٥٩) ، ج١، ص٨ ؛ الحلبي ، علي بن برهان الدين الشافعي (ت ١٠٤٤هـ) ، أنساب العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروف بالسيرة الحلبية ، المطبعة الرمزية (القاهرة ، ١٩٣٢ م) ج١ ، ص١٠ .

واستمرت ولاية جرهم ثلثمئة سنة ، بعد أن تمكنوا من القضاء على السميدع ملك العماليق [٤٧][٤٨] الذي كان ينافس زعامة جرهم على مكة .

آل أمر الكعبة ومكة بعد جرهم إلى إياد بن نزار [٤٩] ، بيد أنهم سرعان ما فقدوها بهدوء احتراما منهم لحرمة الحرم [٥٠] ، لكنهم هذه المرة وبسبب

---

[٤٧] السُّميدع ، كان ملكا على مكة ، إذ إصبح العماليق ولاة الحكم في مكة فضيّعوا حرمة الحرم واستحلوا منه أمورا عظاما ونالوا ما لم يكونوا ينالونه . الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ص٥٨ . ثم نزلت عليهم قبيلة قطورا بعد هجرتهم من بلاد اليمن ، في أجيادين أسفل مكة مع ابناء عمومتهم من جرهم.ابن هشام السيرة النبوية ، ج١ ، ص ١١٧ .

[٤٨] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٥٩ – ١٦٣ ؛ الازرقي ، أخبار مكة ج١ ، ص٨٢-٨٦ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٥٠ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ج١ ، ص٦٤ – ٦٥ .

[٤٩] إياد بن معد بن عدنان ، وإياد ينسبون إلى القبيل الأكبر ، ليس منهم قبيلة مشهورة . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٦٤ .

[٥٠] ابن حبيب ، محمد بن أمين بن عمرو الهاشمي (ت ٢٤٥هـ) ، المنمق في أخبار قريش مطبعة دائرة المعارف العثمانية (الهند ، ١٩٦٤) ص٣٢٦ – ٣٤٩ ؛ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار احياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٨٨م) ، ج١ ، ص٢٠٨ ، ٢٢٤ ، المسعوي ، مروج الذهب ج٢ ص٥١ الفاسي ابو الطيب التقي ، محمد بن أحمد الحسني المكي (ت ٨٣٢ هـ) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، ج١ ، مطبعة السنة المحمدية (القاهرة ،١٩٦٢ م) ج١ ، ص٣٧ ؛ المكي سمط النجوم ، ج١ ، ص١٨٢ – ١٨٣.

انتهاكهم حرمته ، فقد نشبت حرب عنيفة بين إياد وأبناء عمومتهم مضر[٥١]، ولما تبين لاياد هزيمتهم اقتلعوا الحجر الاسود من مكانه ودفنوه سرا وهاجروا الى العراق [٥٢] .

لكن امرأة من قبيلة خزاعة رأت (بني إياد) وهم يخفون الحجر الأسود فأعلمت قومها ، الذين اشترطوا ؛ لاعادته أن تكون لهم العناية بالبيت والاهتمام بشؤونه ونزلت مُضر على رأيهم [٥٣] وبتولي خزاعة السيادة على مكة حدث الانقلاب الديني في تاريخها ، اذ تحولت من التوحيد الى " الشرك " فقد أدخل عمرو بن ربيعة بن حارث بن عمرو بن عامر الأزدي

---

[٥١] مضر : قبيلة عربية ينسب إليها ولد نزار ، وهم الصرحاء من ولد إسماعيل (عليه السلام) ، ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١٠ .

[٥٢] ابن حبيب المنمق ، ص٣٤٩ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١ ، ص٥١ ؛ اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٥٦ ؛ الفاسي العقد الثمين ، ج١ ، ص١٤٢-١٤٣ .

[٥٣] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٩٦ ، ابن عبد ربه ، شهاب الدين أحمد بن محمد الاندلسي (ت ٣٢٨ هـ) العقد الفريد ،تقديم محمد سعيد العريان ، دار ومكتبة الهلال (بيروت ، ١٩٨٦م) ، ج٣ ، ص١٠٩ . ؛ أبو عمرو يوسف النميري القفطي (ت ٤٦٣هـ) الانباه على قبائل الرواة ، المكتبة الحيدرية (النجف ، ١٩٦٦ م) ، ص٩٦-٩٧ ؛ وعن نقل عمرو بن لحي الاصنام الى مكة ينظر : ابن إسحاق ابو عبد الله محمد ابن يسار المطلبي (ت ١٥١ هـ) سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، تحقيق سهيل زكار دار الفكر (بيروت ، ١٩٧٨) ، ج١ ، مطبعة المدني (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص٥٠-٥١ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٠-١٢١ ؛ الشهرستاني الملل والنحل ،ـ ج٢ ص٢٣٣ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ج١ ، ص٩٣.

أبو خزاعة [٥٤] المعروف بـ (عمرو بن لحي) الذي قاتل جرهم ، وجلب الأصنام إلى مكة .

حكمت خزاعة ثلثمئة سنة أو خمسمئة سنة ، وكان من زعمائهم حليل ابن حبشية الخزاعي [٥٥] الذي انتقلت بوفاته السيادة في مكة الى قصي وولده من بعده [٥٦] وعلى الرغم من أعمال قصي المهمة في تاريخ مكة ، إلا أن الوثنية التي ابتدعها عمرو بن لحي استمرت ، بل أخذت شكلا عميقا وبعيدا ومن الطبيعي ان تدخل الوثنية على مناسك الحج ؛ لتخرج بها عن جوهرها فأصبح الحج هو الأخر وثني بكل معناه وعلى الرغم من تمكن الوثنية وتغلغلها إلاّ أنّهم بقي " فيهم من بقايا عهد إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة

---

[٥٤] خزاعة : خزاعة بن قمعة بن الياس بن مضر ، قبيلة عربية كبيرة . ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١٠ .

[٥٥] حليل بن حبشية الخزاعي ، بطن كبير من ولد سلول بن كعب بن عمرو بن عامر بن لحي ابن قمعة بن الياس ، كان حاجب الكعبة ، تزوج قصي بن كلاب من ابنته حُبى . ابن حزم جمهرة انساب العرب ، ص٢٣٥ .

[٥٦] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٣ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٦٦ ابن حبيب ، المنمق ، ص٣٥٠ الازرقي ؛ أخبار مكة ، ج١ ، ص٧٢ ؛ الكلاعي الاكتفاء ج١ ، ص٨٦-٨٧ ، الآلوسي ، محمود شكري البغدادي ، بلوغ الأرب في معرفة أحوال = العرب ، ط٢ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، د. ت) ج٢ ص٢٤٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات ج١ ، ص٥٧ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١ ، ص٥٣ – ٦٦ الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص١٣ .

والوقوف على عرفة ومزدلفة ،وإهداء البُدْن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه " [٥٧] .

٣. مناسك الحج قبل الإسلام :

للحج مناسك عدة قبل الإسلام منها [٥٨] :

أ- الطواف :

هو الدوران حول الكعبة المشرفة بصفته تحية الزائر لها ، ورمزا إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وعندما بنى إبراهيم (عليه السلام) الكعبة جعل الحجر الأسود علامة يبدأ الطواف منه " إذ لما أُمر إبراهيم أن يبني البيت وانتهى إلى موضع الحجر قال يا إسماعيل آتني بحجر، ليكون علما للناس يبتدئون منه الطواف " [٥٩] لكن بعد تعرض ديانة التوحيد التي وضعها النبي إبراهيم (عليه السلام) الى التحريف والشرك تغيرت معه مناسك الحج ومنها الطواف ، فكان الزائر(الطائف) يبدأ طوافه باساف ويختمه بنائلة وهما من أصنام العرب المشهورة [٦٠]

---

[٥٧] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٦ ؛ ابن حبيب ،المحبر ، ، ص١ .

[٥٨] داود ، أديان العرب قبل الإسلام ، ص٢١٢ .

[٥٩] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص٣٩ ، الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف (القاهرة ، ١٩٦٧م) ، ج١ ، ص٢٥٣ .

[٦٠] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص٦١ ، الحلبي ، السيرة الحلبية ، ج١ ، ص١٤ .

وكانت سُنّة الطواف أن يبدأ الحاج بآساف فيستلمه ، ثم يستلم الركن الأسود ثم يأخذ عن يمينه يطوف ويجعل الكعبة عن يمينه ، فإذا ختم طوافه سبعا استلم الركن ، ثم استلم نائلة فيختم بها طوافه ثم يخرج [٦١].

وقد ارتبط الطواف بنوع خاص من الثياب عرفت بثياب الحمس الذي لا يصّح الحج الا بها والحمس لغة : التشدد بالدين [٦٢] ، والحمس من ابتداع قريش وقد تحمست الى جانبهم قبائل أخرى من العرب والحمس لا تقف بعرفة [٦٣][٦٤] .

---

(٦١) الازرقي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٧٤-١٧٥ ؛ داود ، اديان العرب قبل الإسلام ، ص٢١٢ .

(٦٢) الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ) ، ثمار القلوب في المضاف المنسوب ، مطبعة القاهرة (القاهرة ، ١٩٠٨ م) ص٩ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ج٧ ص٣٥٨ .

(٦٣) والحمس قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة وقيس وهم بنو عدوان ، هؤلاء الحمس سموا حمسا ؛ لأنهم تحمسوا في دينهم . ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، (مادة حمس)

(٦٤) اختلفت الروايات في ذكر اسماء تلك القبائل ، ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ٢٥٧ ابن حبيب المحبر ، ص١٧٨-١٧٩ ، الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص١٤٥ ، اليعقوبي تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢٦ ، المكي ، سمة النجوم ، ج١ ، ص٢١٩ .

وكانت الحمس سكان الحرم وكانوا لا يخرجون أيام الموسم إلى عرفات ، بل يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم [٦٥]

أما القبائل التي لم تكن تدين بالحمس فهم على طائفتين الحلة والطلس والضبط لهم تقاليدهم عند الإحرام ، فيطوفون عُراةً قاصدين طرح ذنوبهم مع الثياب التي اقترفوا ذنوبهم بها ، الرجال والنساء ليلا إذا لم يجدوا من يعيرهم ثياب احمسي أما اذا طافوا بثيابهم فعليهم أن يلقوها بعد الطواف وتسمّى اللقى ، ولا يمسها أحد [٦٦] ويقفون بعرفة [٦٧] .

وقد استمر طواف العري حتى بعد ظهور الإسلام إذ روى ابن سعد أن العري يكون في وقت الحج فقط [٦٨]

والحلة تطوف بالبيت أول ما يطوف الرجل والمرأة في أول حجة يحجها عراة ، وكان بنو عامر بن صعصعة وعك ممن يفعل ذلك ، ومن كان يطوف بثيابه لم يحل له أن يلبسها أبدا ولا ينتفع بها ، يرمون بها في باب

---

[٦٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٦ ، (مادة حمس) .

[٦٦] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٦٠ ؛ الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٤٥ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج١ ، ص٢١١ ؛ الالوسي ، بلوغ الأرب ، ج١ ، ص٢٤٤ .

[٦٧] ابن حبيب ، المحبر ، ص١٨٠-١٨١.

[٦٨] الطبقات الكبرى ، ج١ ، ص٧٢ .

المسجد فلا يمسها أحد من خلق الله حتى تبليها الشمس [٦٩] ، وطلس الثياب أي وسخها[٧٠] .

أما الطلس فهم سائر أهل اليمن وحضرموت وعك وعجيب وإياد بن نزار وسموا بالطلس ؛ لأنهم " كانوا يأتون من أقصى اليمن طلسا من الغبار يطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك " [٧١] والطلس لا يطوفون عراة ولا يستعيرون ثياب الاحمس ويقفون في المواسم مع الحلة في عرفة ، والفرق بين الحلة والطلس بالألبسة فقط [٧٢] .

ب. الهـــدي :

هو الحيوان الذي يسوقه الحاج لذبحه استكمالا لأداء مناسك الحج [٧٣] وتعود فكرة الهدى الى أن إبراهيم (عليه السلام) أراد ان يضحي بابنه إسماعيل تقربا لله سبحانه ففداه الله بكبش عظيم [٧٤] .

---

(٦٩) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢١٤ .

(٧٠) ابن منظور ، لسان العرب ، ج (مادة طلس) .

(٧١) السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ، ص٢٣١ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج١ ص١٤١ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص٢٢٠ .

(٧٢) ابن حبيب ، المحبر ، ص١٨١ .

(٧٣) الشريف ، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي (القاهرة ، ١٩٦٥ م) ، ص١٨٢ ، الخربوطلي ، تاريخ الكعبة ، ص١١٨ .

(٧٤) ينظر كذلك سورة الصافات الآيات ١٠٢-١٠٩ ؛ عطار ، أحمد عبد الغفور ، حجة النبي وأحكام الحج والعمرة في الإسلام والديانات الأخرى مطبعة الإحسان ط٢ (دمشق ١٩٧٦ م) ، ص٤١٧ .

واذا كان هذا الحيوان من البقر أو الابل سُمِّيَ البدن [٧٥] واذا كان من الغنم سُمّي العتائر[٧٦] ، والمذبح الذي تذبح به العتائر العنز [٧٧] .

وهذا الحيوان يكتسب صفة القداسة ويميز بوضع قلادة من لحاء شجر الحرم ولا يعترض له أحد بسوء [٧٨] و لا يركب ظهره [٧٩] فضلا عن شعائره [٨٠] وكانوا يلطخون جدران الكعبة بدماء ذبائحهم ؛ لان

---

[٧٥] البدن ، ناقة أو بقرة تتحمر بمكة ، سميت ، باسمهم كانوا يسمونها قبل ذبحها . ينظر ابن دريد جمهرة اللغة ، ج١ ، ص٢٤٩ ، الجوهري ، الصحاح ، ج٥ ، ص٢٠٧٧ ابن منظور لسان العرب ، ج١٦ ، ص١٩٣ .

[٧٦] العتائر : شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم وعتر الشاة ذبحها . ينظر ابن دريد جمهرة اللغة ، ج٢ ، ص١١ ، ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، (مادة عتر) .

[٧٧] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٣٤ .

[٧٨] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة عتر) ، الالوسي : بلوغ الأرب ، ج٢ ص٢٨٩

[٧٩] مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القرشي النيسابوري (ت ٢٦١هـ) : صحيح مسلم ، بشرح النووي ، تحقيق عبد الله احمد ابو زينة ، دار الشعب (القاهرة د. ت) ج٣ ، ص٤٥٧-٤٥٨ ؛ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣، ص١٤٢ – ١٤٣ ابن تيمية مجد الدين ابن البركات عبد السلام الحراني ، (ت ٧٢٨ هـ) المنتقى من أخبار المصطفى (صلّى الله عليه وسلّم) ط٢ ، دار الفكر ، (بيروت ، د ، ت) ج٢ ، ص٢٩٥ ؛ = الهندي علي الدين = المتقي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٧٩ م) ، ج٥ ، ص٢٣٠ .

[٨٠] الشعيرة : البدنة المهداة وسميت بذلك لانه كان يؤثر فيها بالعلامات والجمع شعائر، (ابن منظور ، لسان العرب ، ج٤ ، (مادة شعر)) .

هذا الدم يقربهم الى الله ـ بحسب اعتقادهم ـ ويحرم على الهادي (الطائف) الأكل من لحومها ، وانما يتبرع الى الفقراء [٨١] وهي في حقيقتها مساعدة للقائم بأمر الرفادة [٨٢]

ج . الحلـــق :

وهو أحد أركان الحج الذي لا يتم الا به ، ولم يكن كل حجاج مكة من وثنيين يحلق في مكة ، فالأوس والخزرج وغسان والمنزوة كانوا لا يحلقون الا عند صنم مناة فهم في حجهم مع الناس في كل المواقف الا الحلق ؛ لأنهم يرون تمام حجهم الا بحلق رؤوسهم عند معبودهم مناة [٨٣] وقد ورد ما يؤيد ذلك في الشعر

إني حلفت يمين صدق برة　　　بمناة عند محل آل الخزرج

في حين كان آخرون يحلقون عند الأُقيصر[٨٤] في بلاد الشام وهم قُضاعة ولخم وجذام وسائر أهل الشام ، وكان الرجل منهم عند حلق رأسه

---

[٨١] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٨ .

[٨٢] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص١١ .

[٨٣] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٤٨ ؛ ابن الجوزي ،ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن البغدادي (ت ٥٩٧هـ) تلبيس ابليس ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة الميرية بمساندة بعض علماء الأزهر ، ط٢ ، مكتبة الشروق ،(بغداد ١٣٦٨هـ) ص٥٦ .

[٨٤] ألأُقيصر : تصغير أقصر ، وهو اسم صنم قضاعة ولخم وجذام وعاملة وغطفان ، يقع في مشارف الشام ؛ (الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٣٨) .

يلقي مع كل شعرة قرة (قبضة) من دقيق [٨٥] ، فكان ناس من الضُّركاء (أي الفقراء البائسين) وفيهم ناس من أسد يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون بالشعر و ينتفعون بالدقيق وانشد أحد الشعراء :

ألم تر جرما أنجدت وأبوكم   مع الشعر في قص الملبد شارع

إذا جاءت تقول أصب بها   سوى القمل أني من هوازن ضارع [٨٦]

د. الوقوف بعرفة :

ذكرنا في موضوع (الطواف) أن الحمس لا يقفون بعرفة وتكون أفاضتهم يوم الحج من المزدلفة والحلة والطلس من عرفة ، وإن اختلاف موقفهم كان مصدرا للجدل ، فكل منها ترى فعلها هو الصواب ، وفسر العلماء ذلك بأنه المقصود في قوله تعالى " الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث و لا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وأتقون يا أولي الألباب " [٨٧] يقصد به هنا الجدال بين الحلة والحمس[٨٨] .

---

[٨٥] ابن الكلبي ، الاصنام ، ص٤٨ ؛ الحموي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٢٣٨ .

[٨٦] فكانت هوازن تنتابهم في ذلك إلا بان ، فان ادركه قبل إن يلقي القرة مع الشعر : أعطنيه ! فاني من هوازن ضارع . ابن الكلبي الأصنام ، ص ٤٨ .

[٨٧] سورة البقرة ، أية ، ١٩٧.

[٨٨] الزرقاني ، محمد (ت ١١٢٢هـ) . شرح الزرقاني على موطأ الأمام مالك (دار القاهرة ، ١٩٣٦ م) ج٢ ، ص٣٣٨ .

هـ . السعي بين الصفا و المروة :

الصفا هو في الأصل جبل أبي قُبيس والمروة جبل قعيقعان [٨٩] وكان الحجاج يسعون بين الصفا والمروة [٩٠] الا أن ذلك السعي لم يكن ركنا أساسيا عند كل الحجاج ، فمنهم من رأى أن هذا السعي لا يدخل ضمن مناسك حجه ، وهؤلاء هم الذين كانوا يعبدون صنم مناة مثل قبائل الأوس والخزرج وغسان من الازد [٩١] في حين يذكر بعض المؤرخين أن جميع الحلة لا يرون الصفا والمروة من الحج ؛ لذلك فان الأنصار عند حجهم مع الرسول (صلّى الله عليه وسلّم) تحرّجوا من السعي بين الصفا والمروة [٩٢] فانزل الله سبحانه : " إنّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو

---

[٨٩] الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت ٧٢٧هـ) ، الروض المِعْطَار في خبر الأقطار تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، دار السراج (بيروت ، ١٩٨٠ م) ، ص٣٦٢-٣٦٣ .

[٩٠] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ الالوسي ، بلوغ الارب ، ج٢ ، ص٢٨٨

[٩١] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص ؛ ابن حزم ، ابو محمد علي بن سعد الاندلسي (ت ٤٥٦هـ) جمهرة انساب العرب ؛ تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف (القاهرة ١٩٤٨ م) ص٤٥٨ .

[٩٢] سورة البقرة ، اية ١٥٨ . هذه الآية نزلت في الأنصار ، فقد كانوا قبل يهلون لمناة الطاغية التي كانوا يعبدونها ويتحرجون من أن يطوفوا بالصفا والمروة . (ينظر : سيد سابق ، فقه السنة ، دار الكتاب العربي ، (بيروت ، د ، ت) ، ج١ ، ص٧٦٠) .

اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم " [٩٣] .

و. التلبيات :

التلبيات جمع تلبية ، من شعائر الحج ، وأول من لبّى هو النبي إبراهيم (عليه السلام) [٩٤] ومنذ أن أذن (عليه السلام) بالحج أخذ الناس يجيئون في وقت الحج وهم يلبون " لبيك اللهم لبيك " [٩٥] وبقيت تلبية النبي إبراهيم (عليه السلام) يتوارثها الأجيال حتى طرأ عليها بعض التغيير بعد دخول الشرك ، ويُعدُّ عمرو بن لحي الذي نسبت اليه المصادر تغيير دين إبراهيم هو الذي غيّر التلبية وأدخل عليها بعض مظاهر الشرك [٩٦] وبمرور الزمن

---

[٩٣] الصفهاني ، الأغاني ، ج١٢ ، ص١٤؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٧ ، للمزيد حول الصفا والمروة ، ينظر : الازرقي أخبار مكة ، ج٢ ، ص١١٥ ؛ الفاكهي ابو عبد الله محمد بن اسحاق ، (ت٢٨٠ هـ) ، تاريخ مكة منشور في ضمن كتاب أخبار مكة المشرفة ، مكتبة خياط (بيروت د. ت) ج٢ ، ص ٥-٦ ؛ ابن حزم جمهرة أنساب ، ص٤٥٩ .

[٩٤] القسطلاني ، أبو محمد محمود بن أحمد (ت ٨٥٥هـ) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ، أدارة الطباعة المنيرية (بيروت ، د, ت) ج٩، ص١٧٢-١٧٣

[٩٥] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٤٤ .

[٩٦] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨٧ ؛ السهيلي ، الانف ، ج١ ، ص١٠٢ ، ابن كثير السيرة النبوية ، ج١ ، ص٢٢٥ .

ورسوخ الوثنية أصبح لكل قبيلة تلبية خاصة بها ، فكانت كل قبيلة اذا حجت وقف أبناؤها عند صنمها وصلّوا عنده ، ثم لبوا حتى قدموا إلى مكة [٩٧].

وكانت تلك التلبيات تختلف من قبيلة إلى أخرى في حجهم [٩٨] . إذ كانت تلك التلبيات مرآة لمطالب القبيلة الاجتماعية والاقتصادية وما تعانيه من مشكلات ووصف لرحلتهم لأداء الحج ومتاعبها ، وكانت تلك التلبيات وثنية الا أن في ألفاظها ومعانيها ما يدل على التوحيد ويلاحظ انها تبدأ عادة بالتوحيد " لبيك اللهم لبيك " ثم يأتي بعد ذلك الإشراك [٩٩] .

---

[٩٧] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج٦ ، ص٨٠ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٧ .

[٩٨] من تلبيات القبائل المختلفة ، ينظر : ابن إسحاق ، سيرة النبي ، ج١ ، ص٥١ ؛ قطرب ابو علي محمد بن المستنير (ت ٢٠٦هـ) ، ألازمنة وتلبية الجاهلية ، تحقيق حنا جميل حداد مكتبة المنار (الاردن ، ١٩٨٥) ، ص١١٥-١٢٥ ، ابن الكلبي ، الاصنام ص١٨-١٩ ابن حبيب المحبر ، ص٣١١-٢١٨ ؛ ابن بكار ، ابو عبد الله الزبير(ت ٢٥٦هـ) الاخبار الموفقيات ، تحقيق ، سامر مكي العاني ، مطبعة العاني (بغداد ١٩٧٢ م) ، ص٦٢٦ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ٢٢٥ -٢٢٦ ، المعري ، ابو العلاء أحمد بن عبد الله (ت٤٤٩ هـ) رسالة الغفران ، تحقيق محمد عزت نصر الله ، دار أحياء التراث العربي (بيروت ، ١٩٦٨ م) ص٢٧٩ - ٢٨١ ؛ الشهرستاني ، الملل والنحل ٢٣٨/٢ ، علي ، جواد ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٥ ، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد ١٩٥٥) ص٩٦ ، البياتي ، عادل جاسم ، دراسات في الادب الجاهلي ، دار النشر المغربية (الدار البيضاء ، ١٩٨٦ م ،ج١ ، ص١٦٠-١٦٣ ، ج٢ ص١٧٧)

[٩٩] البياتي ، دراسات في الادب الجاهلي ، ج١ . ص١٦٣ .

وعلى الرغم من رسوخ الوثنية الا أن المجتمع العربي قبل الإسلام لم يكن يخلو من الذين تمسكوا بديانة إبراهيم (عليه السلام) التوحيدية ، ومنهم زيد بن عمرو بن نُفيل[١٠٠] الذي حاولت قريش منعهُ من دخول الحرم لموقفه من عبادة الأوثان ، وكان في موسم الحج يقف بعرفة يلبي " لبيك اللهم لبيك لا شريك لك ، ولا نِدَ لك .... " ثم يفيض من عرفة ويقول " لبيك متعبدا مرقوقا " [١٠١] .

٤- كيفية الحج قبل الإسلام :

تُعدُّ الأشهر الحرم المدة الوحيدة التي يتوقف فيها القتال لهذا يأمن الناس بها الانتقال في أنحاء شبه الجزيرة العربية [١٠٢] ؛ لأنها

---

[١٠٠] زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ... بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، كان على ديانة إبراهيم الخليل (الحنيفية) ، فاعتزل الأوثان ، ولم يدخل اليهودية والنصرانية ، فارق دين قومه . ابن قتيبة ، المعارف ، ص٢٤٥ .

[١٠١] ابن اسحاق ، السير والمغازي ، ص١١٦ ؛ الاصفهاني ، الاغاني ، ج٣ ص١٢٣ -١٢٤.

[١٠٢] ابن حبيب ، محمد بن أمين بن عمرو عمر الهاشمي (ت ٢٤٥هـ) أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قُتِلَ من الشعراء (منشور في ضمن سلسلة نوادر المخطوطات) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ، مطبعة ونشر شركة مصطفى البابي الحلبي (مصر ١٩٧٣ م) ، ج٦ ، ص١٢٦ ؛ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية (بيروت د. ت) ج٧ ، ص٥٢ -٥٤ البيروني ، محمد بن أحمد (ت ٤٤٨هـ) الآثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق ادور ساكو ، (لايزيك ، ١٩٢٣م) ص٣٢٥ .

مقدّسة [١٠٣] والعرب لا يأتون فيها المحارم ولا يعتدي بعضهم على بعض[١٠٤] والأشهر الحُرُم أربعة هي رجب ، ذو القعدة ، وذي الحجة ، والمحرّم [١٠٥] وربما كانت الأشهر الحُرُم هي الوحيدة الملائمة لقيام نشاط اقتصادي واجتماعي متمثل بالأسواق [١٠٦]

---

(١٠٣) رضا ، فؤاد علي ، أم القرى مكة المكرمة ،مكتبة المعارف (بيروت ، ١٩٧٢ م) ص١٩٩ وهناك قبائل لم تكن تلتزم بتلك الهدنة أطلق عليهم اسم (المحلون) أما تلك التي تحترم قداسة الأشهر الحُرَم فقد سميت بـ (الذات المحرمون) ، ينظر : الجاحظ ، ابو عثمان عمرو ابن بحر (ت ٢٥٥هـ) الحيوان تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الكتاب العربي ، ط٣ (بيروت ، ١٩٦٩ م) ج٧ ، ص٢١٦ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ص٢٤٠ .

(١٠٤) ابن حبيب ، المنمق ، ص٢٧٥ ؛ الازرقي، أخبار مكة ، ج١، ص١٩٢ .

(١٠٥) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٨٣ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ص٦٣–٦٤ ، وهناك مدة أطول للاشهر الحرم عند بعض بطون العرب وهو ما يعرف (بالبسل) ينظر ، ابن إسحاق ، سيرة النبي ، ج١ ص٦٧ –٦٨ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ص١٥٠ ، الكلاعي ، ، الاكتفاء ج١ ص٢٩ .

(١٠٦) الدوري ، عبد العزيز ، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام ، مطبعة المعارف (بغداد ١٩٤٩ م) ص٤١ ، ان ارتباط قيام الأسواق بموسم الحج يتضح من دورتها فهي تمنح على طول الطرق التجارية التي تربط أنحاء شبه الجزيرة العربية ابتداء من أقصى الشمال فسوق دومة الجندل ثم على طول ساحل الخليج العرب حتى تقام أسواق المشقر وصحار ودبا ثم الساحل الجنوبي لجزيرة العرب حتى سوق عدن والرابية وصنعاء ، ثم ساحل البحر الاحمر الشرقي إلى أعظم أسواق العرب عكاظ ومجنة وذي المجاز ولعل ترتيب الأسواق لم يكن عشوائيا وإنما كان العرب يسعون من خلال ذلك أن تكون قريبة من مكة في مواسم الحج ليتمكنوا من تأدية الحج بيسر ، وبذلك تجتمع المكاسب الاقتصادية والدينية معا ، (ينظر يوسف

والمهم من هذه الأسواق تلك التي يكون ظلها في إشراك المحرم وهي عكاظ[١٠٧] ومجنة [١٠٨] وذي المجاز [١٠٩] حتى أن قريشا قالت " لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز الا محرمين بالحج " [١١٠]

وصف لنا الأزرقي كيفية الحج قبل الإسلام فذكر: " فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا الى ذي المجاز فأقاموا به ثماني ليالٍ أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذي المجاز الى عرفة فيرتوون ذلك اليوم من الماء بذي المجاز وإنما سُمُيَ يوم التروية ؛ لترويتهم من الماء بذي المجاز ينادى بعضهم بعضا ترووا من الماء ، لأنه لا ماء بعرفة ولا بالمزدلفة يومئذٍ ، وكان يوم القيامة أخر أسواقهم وإنما كان يحضر هذه المواسم بعكاظ ومجنة وذي المجاز التجار من كان يريد التجارة ومن لم تكن له تجارة ولا بيع فانه يخرج

خليفة ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي دار المعارف (مصر، ١٩٥٩ م) ، ص١٢٦) .

[١٠٧] عكاظ : اسم سوق من أسواق العرب قبل الإسلام يجتمعون فيه كل سنة يتفاخرون فيه وسمي عكاظا ؛ لان العرب تجتمع في عكاظ بعضهم بعض بالفخار ، الحموي ، معجم البلدان ج٤، ص١٤٢ .

[١٠٨] مجنة : من أسواق العرب قبل الإسلام تقع بمر الظهران قرب جبل يقال له الأصفر بأسفل مكة ومدة انعقاده عشرة أيام في آخر ذي القعدة ، (الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ص٥٨-٥٩)

[١٠٩] ذي المجاز : موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الامام ، ويقع على فرسخ من عرفة وتقام ثمانية أيام من ذي الحجة ، اذ يغادر الحجاج بعده في اليوم التاسع من عرفه وهو يوم التروية (الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص٥٥-٥٨) .

[١١٠] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص١٨٧-١٨٨ .

مع أهله متى أراد ومن كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية ، فيترووا من الماء فتنزل الحمس أطراف الحرم من نمرة [١١١] يوم عرفة وتنزل الحلة عرفة فكان النبي (صلّى الله عليه وسلّم) في سنته التي دعا فيها في مكة قبل الهجرة لا يقف مع قريش والحمس في طرف الحرم ، وكان يقف مع الناس بعرفة .. وكانوا لا يتبايعون في يوم عرفة ولا أيام منى .. فإذا جاؤوا عرفه أقاموا بها ، فتقف الحلة على الموقف عيشة ، وتقف الحمس على أنصاب الحرم من نمرة فاذا دفع الناس من عرفة وأفاضوا أفاضت الحمس أنصاب الحرم وأفاضت الحلة من عرفة حتى يلتقوا بمزدلفة جميعا وكانوا يدفعون اذا طلعت الشمس للغروب ، وكانت على رؤوس الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوههم ، فإذا كان هذا الوقت دفعت الحلة من عرفة ، ودفعت معها الحمس من انصاب الحرم حتى يأتوا جميعا مزدلفة ، فيبيتون بها حتى إذا كانو في الغلس وقفت الحلة والحمس على قزح [١١٢] فلا يزالون عليه حتى اذا طلعت الشمس وصارت على رؤوس

---

[١١١] نمرة : ناحية بعرفة نزل بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمرة على أحد عشر ميلا ، وقيل نمرة الجبل الذي عليه انصاب الحرم على يمين الذي يخرج من المازمين يريد الموقف ، (ينظر : الحموي ، معجم البلدان ج٥ ، ص٣٠٥) .

[١١٢] قزح : القرن الذي يقف الامام عنده بالمزدلفة عن يمين الامام ، وهو المقبرة وهو الموضع الذي كانت توقد نيران فيه قبل الإسلام ، وهو موقف قريش ، اذا كانت لا تقف بعرفة ينظر : الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص٣٤١ .

الجبال كأنها عمائم الرجال في وجوههم دفعوا من مزدلفة وكانوا يقولون : اشرق ثبير كيما نغير أي اشرق بالشمس حتى ندفع من المزدلفة"[113] .

وعلى الرغم من أن (الأزرقي) أعطى وصفا للحج الوثني إلاّ أنه توقف عند الإفاضة من المزدلفة وحاول الدكتور صالح أحمد العلي إكماله معتمدا في ذلك على تفاسير بعض الآيات القرآنية المتعلقة بالحج ، ومن ترتيب مناسك الحج التي هي مناسك حج إبراهيم (عليه السلام) أنفسها ولكنها حُوِّرت بتأثير الوثنية [114] بعد المزدلفة تنحر الذبائح وكانوا يرمون الجمار[115] ويقفون عند الجمرة يتفاخرون بأيامهم وأفعالهم [116] وكانوا قبل حج البيت يقفون عند أصنامهم يصلون ويلبون كل قبيلة تلبيتها ثم يتقدمون[117] وكانوا يطوفون بالبيت سبع مرات ثم يمسحون الحجر الأسود ثم يسعون بين الصفا والمروة [118] والأخير لم يكن عاما عند كل الحجاج الوثنيين كما تقدم .

---

[113] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٨٧-١٨٨ .

[114] العلي ، صالح أحمد ، محاضرات في تاريخ العرب ، (د. م) ، (د. ت) ج١ ص٢١٨ وما بعدها ، كذلك ينظر كذلك : الدوري ، مقدمة ، ص٤٤ ؛ فروخ ، عمر تاريخ الجاهلية دار العلم للملايين ، (بيروت ، ١٩٦٤ م) ، ص١٦١ .

[115] الجمار ، الحصيات التي يرمى بها في مكة ، وفي الحديث أن آدم (عليه السلام) رمي بمنى ، فأجمر أبليس بين يديه ينظر : ابن منظور ، ج٤ ، (مادة جمر) .

[116] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص٢١٨ .

[117] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٢٥ .

[118] الالوسي ، بلوغ الأرب ، ج٢ ، ص٢٨٨ .

٥. الوظائف الدينية في مكة :

مكة مدينة قامت على أسس دينية ؛ لذا فإنّ هذه الوظائف ولا سيما الوظائف الاولى التي ظهرت فيها ، ارتبطت بأسس نشأتها ، وكان لهذه الوظائف أثر واضح في موسم الحج حتى أصبحت جزءا منه وركنا من أركانه قبل الإسلام وبعضها استمر بعد ظهور الإسلام ، وهذه الوظائف ، هي :

أ- السدانة (الحجابة) :

السدانة وظيفة مفردها سادن (اسم فاعل) ، وهو الشخص الذي يتولى خدمة الكعبة وبيت الأصنام[١١٩] والسدانة والحجابة مصطلحان مترادفان " إنّ الحاجب يحجب ، وأذنه لغيره ، والسادن يحجب وأذنه لنفسه " [١٢٠] و من مهمات السادن ، أنّ تكون بيده مفاتيح الكعبة [١٢١] وكان السادن أو الحاجب يجلس عند باب الكعبة يمنع من لا يرغب فيه دخول الكعبة [١٢٢] .

---

[١١٩] ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الازدي البصري (ت٣٢١هـ)، جمهرة اللغة ، دار صادر (بيروت ، د. ت) ،ج٢، ص٢٦٦ ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، ص٦٩

[١٢٠] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٣ ، (مادة سدن) .

[١٢١] المصدر نفسه ، ج١٣ ، (مادة سدن).

[١٢٢] ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص١٧٤ .

والسدانة أولى الوظائف التي ظهرت ، فبعد إبراهيم (عليه السلام) قام بهذه المهمة ابنه إسماعيل(عليه السلام) ثم ورثها ابنه ثابت [١٢٣] وعلى الرغم من انتقال السيادة على مكة إلى قبيلة جرهم الا أن أمر الكعبة بقي بيد أبناء إسماعيل (عليه السلام) [١٢٤] ولما عادت ولاية البيت الى إياد قام بها وكيع بن سلمة بن اياد ابن نزار وبعد تمكن مضر من أمر مكة وانتصارها على إياد كان أمر البيت إلى أسد ابن خُزيمة وضبة [١٢٥] ثم جاءت خزاعة وأصبحت السدانة في بني غبشان وهم من خزاعة وزعيمهم عمرو بن الحارث الغبشاني [١٢٦].

وبعد خزاعة آل أمر الكعبة الى قصي وورثها من بعده أُبنه عبد الدار ثم عثمان بن عبد الدار ، ثم ابنه عبد العُزّى وبقيت في ولده حتى انتهت الى عثمان بن طلحة [١٢٧] الذي شهد فتح مكة (سنة ٨ للهجرة الشريفة) ،

---

(١٢٣) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١١٧ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠ بلوغ الارب ، ج٢ ، ص٢٤٥٨ .

(١٢٤) اليعقوبي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٩٤ .

(١٢٥) المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص١٨٢ – ١٨٣ .

(١٢٦) الفاسي ، العقد الثمين ، ج١ ، ص١٤٣ ، وقيل ان اول زعمائهم كان عمرو بن لحي ينظر : العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، الأوائل ، مطبعة دار أمل (طنجة د ، ت) ص٤٩ .

(١٢٧) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزيز بن عثمان بن عبد الدار بن قصي أسلم وهاجر مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص في هدنة الحديبية سنة ثمان وشهد فتح مكة مع رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) ودفع اليه الرسول مفتاح الكعبة " خذوها يا بني ابن طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم " وبعد وفاة الرسول

وكانت الكعبة تفتح قبل الإسلام يومين من كل أسبوع ذكر أنهما يومي الاثنين والخميس [١٢٨] .

ب- الإجازة " الإفاضة " :

الإجازة من جاز وجزت الطريق أي سلكته وأجازه انقذه [١٢٩] والافاضة تعني الزحف والدفع [١٣٠] والكلمتان مترادفتان [١٣١] وقد وردت لفظة الإفاضة في القرآن الكريم كما في قوله : " ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس

(صلّى الله عليه وسلّم) انتقل الى مكة وبقي بها حتى وفاته سنة (٤٢هـ /٦٦٢م) ، ينظر الزبيري ، ابو عبد الله المصعب ابن عبد الله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ) نسب قريش ، نشر وتصحيح ، الاستاذ ليفي بروفنسال ، دار المعارف للطباعة والنشر (القاهرة ، ١٩٥٣ م) ج٧ ، ص٢٥٢ ، خليفة ابن خياط ابو عمرو (ت ٢٤٠هـ) الطباعة تحقيق سهيل زكار ، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي (دمشق ١٩٦٦ م) ج١، ص٣٢ ، البخاري ، ابو عبد الله محمد ابن إسماعيل بن إبراهيم الجعفري (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير ، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية (حيدر اباد ، ١٣٦١ هـ) ، ج٣ ، ص٢١١ .

[١٢٨] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٧٤ .

[١٢٩] ابن منظور ، لسان العرب ، ج٥ ، (مادة جوز) .

[١٣٠] المصدر نفسه ، ج٥ ، (مادة جوز) .

[١٣١] عاقل ، نبيه ، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، دار الفكر (دمشق ، ١٩٧٥ م)ط٣ ، ص٢٤٥ .

واستغفروا الله إن الله غفور رحيم " [١٣٢] ، والإجازة تعني " أن يجيزهم الى مغادرة المكان الى مكان آخر" [١٣٣] .

وبعد أن أذن إبراهيم (عليه السلام) بالحج ظهرت هذه الوظيفة وصارت جزءا من مناسك الحج [١٣٤] وبعد مغادرته تولى إسماعيل (عليه السلام) هذه الوظيفة [١٣٥] ثم انتقلت مع سدانة الكعبة الى كل من تغلب على أمر مكة ؛ لأنها رمزٌ للسيطرة على كل مكة حتى كان عهد خزاعة فآل أليها أمر الحجابة والسقاية ولمضر الإفاضة بالحجاج من عرفة الى منى [١٣٦] ونسيء الأشهر الحرم [١٣٧] .

وكانت هناك افاضتان من عرفة ومن المزدلفة (المشعر الحرام) [١٣٨] وكان الغوث بن مر بن طابخة بن الياس الملقّب صوفة يلي الإجازة بالناس

---

[١٣٢] سورة البقرة ، ١٩٨-١٩٩ ، وينظر : الطبري ، جامع البيان ، ٢٨٥-٢٨٧، ٢٩١ .

[١٣٣] الشريف ، مكة والمدينة ، ص١٨١ .

[١٣٤] المصدر نفسه ، ص١٨١.

[١٣٥] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١ ، ص٧٠-٧٢ .

[١٣٦] منى : سميت منى لأن جبريل (عليه السلام) حين أراد أن يفارق آدم (عليه السلام) قال له : تمنَّ ؟ قال : اتمنى الجنة فسميت منى لأمنيته ، وقيل سميت بمنى لما يمنى فيها من الدماء . الازرقي ، أخبار مكة ، ج٢ ، ص١٧٤ .

[١٣٧] المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٧٥ .

[١٣٨] المشعر الحرام : هو مزدلفة ، والمشعر المعلم والمشاعر المعالم التي ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها ؛ ابن منظور ، لسان العرب ج٥ ، (مادة جوز) .

مــن عرفــة[١٣٩] أمــا الافاضــة مــن المزدلفــة فكانــت وراثيــة فــي بنــي عدوان[١٤٠] [١٤١]

بعد أن آل أمر مكة الى قصي أقرّ آل صفوان وعدوان والنسأة على ما كانوا عليه [١٤٢] وكان قصي أول من أوقد النار على المزدلفة حتى يراها من رجع من عرفة [١٤٣] .

ج – النسيء :

النسـيء ، نسأ الشـيء أنساه والنسـيء شـهر كانت العرب تؤخره ؛ ليتمكنوا فيه من تحديد الأشهر الحرم [١٤٤] .

---

[١٣٩] ابن اسحاق ، سيرة النبي ، ج٢ ، ص٧٧-٧٨ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ص١٢٥ ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج٣ ؛ ص٨٧ ؛ السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ص١٤٣-١٤٤ . ، وذكرت بعض المصادر انه لقب أيضا ، ينظر الجاحظ ، الحيوان ، ج٧ ص٢١٥ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص٣١٨ .

[١٤٠] بنو عدوان : قبيلة عربية لها بطون عدة ،منهم بنو خارجة ، بنو رايش ، بنو يشكر ، بنو رهم بن تاج . ينظر : ابن دريد ، الاشتقاق ، ج٢ ، ص٢٦٧ .

[١٤١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٥، السهيلي ، الروض الانف ، ج١ ص١٤٦ ؛ الكلاعي ، الاكتفاء ، ج١ ، ص٧٧ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١، ص٩٥ ؛ الفاسي ، العقد الثمين ، ج١ ، ص١٣٩ .

[١٤٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٢٧ ، ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٩٧ .

[١٤٣] النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) ، نهاية الأرب في فنون الادب ، دار الكتب العلمية ، (بيروت ، ٢٠٠٤ م) ، ج١ ، ص١٠٩ .

[١٤٤] ابن منظور ، لسان العرب ،ج١ ، (مادة نسأ) .

وكانت هذه الوظيفة في بني كنانة ، فكان الحاج إذا صدروا من منى يخطب من بيده هذه الوظيفة إذ يقول : " أنا الذي لا أعاب ولا أحاب ولا يرد لي قضاء ؟ فيقولون : صدقت أنسئنا شهرا أي أخر عنا حرمة الحرم واجعلها في صفر وأحل لنا المحرم " [١٤٥] ،

وكانت العرب قبل الإسلام تحدد بهذه الوظيفة الاشهر الحرم للحج وفقا لمصالحها والنسيء من الشوائب التي دخلت على مناسك الحج بعد حصول الانحراف والشرك الى الوثنية وهذا يعني ان بداية هذه الوظيفة في عهد خزاعة .

كان الدافع وراء النسيء أن العرب عادة تعتمد على الأشهر القمرية في حياتها وهذا بعد أن كانت أيام الحج تكون في مواسم مختلفة من السنة وهذا الأمر يعرقل التجارة إذا كان موسمه في غير وقت جني المحاصيل لهذا كانت العرب تؤخر الحج يوما [١٤٦] ليصادف موسم الحج في فصل الربيع فضلا عن أن هذا التأخير يتفق ورغبتهم في شن الغارات واخذ الثأر [١٤٧] .

واختلفت المصادر في أول أمر النسيء وفيمن كان أول الأمر [١٤٨]

---

[١٤٥] ابن منظور ، لسان العرب ، ج١ ، (مادة نسأ) .

[١٤٦] السهيلي : الروض الانف ، ج١ ، ص٦٤ ،

[١٤٧] المصدر نفسه ، ج١ ، ص٦٤ ؛ الفاسي العقد الثمين ، ج١ ، ص٤١٠ .

[١٤٨] ابن إسحاق ، سيرة النبي ، ج١ ، ص٢٨ –٢٩ ؛ ابن حبيب ، المحبر ، ص١٥٧ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٤ ؛ ابن حزم ، جمهرة انساب ص٤٦٠ ، ابن عبد البر ، الانباء ، ص٧٧ ؛ البكري ، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي (ت ٤٨٧هـ) سمط اللالي في شرح امالي القالي ، تحقيق

وكان النسأة يلقبون بالقلامس[١٤٩] وآخرهم الذي عاصر ظهور الإسلام أبو ثُمامة جنادة ابن عوف بن أمية بن قلع بن عباد بن حذيفة [١٥٠] .

وعلى الرغم من تلاعبهم بالشهور عن طريق النسيء الا أن العرب حافظوا على مواعيد أيام التروية وعرفة ويوم النحر بمواعيدها في شهر ذي الحجة فيكون يوم النحر هو اليوم العاشر من الشهر الذي حجوا فيه [١٥١] . وكان النسيء يمثل إيغالا في الكفر لقوله تعالى : (إنما النِّسيءُ زَيادةُ في الكُفْر يُضَلُ بِهِ الذينَ كفروا يُحلّونه عاما وَيُحرمونه عَاما ليواطئوا عدةَ ما حَرَمَ اللهُ) [١٥٢] .

د- السقاية :

هي حياض كانت توضع بفناء الكعبة ، في عهد قصي ، ويسقي فيها الماء العذب من الآبار على الإبل ويسقاه الحاج " [١٥٣]

وكانت لهذه الوظيفة أهمية كبرى في مكة ؛ لأن الماء فيها عزيز جدا لندرته فضلا عن اعتماد الناس على مياه الآبار خارج

عبد العزيز الميمني (د. م. ، ١٩٣٦ م) ص٩ –١٠ ؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج١ ، ص١٥٦ –١٦٦ المكي سمط النجوم ، ج١ ، ص٢٢٠ .

[١٤٩] اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٠٨ ؛ البكري ، سمط اللالي ، ج١ ، ص١٠ .

[١٥٠] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص٤٦ ؛ اليعقوبي ، المصدر نفسه ،ج٢ ، ص .

[١٥١] ابن حبيب ، المنمق ، ص٢٧٤ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج٢ ، ص٢٤٨ .

[١٥٢] سورة التوبة ، آية ٣٧.

[١٥٣] الازرقي ، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨٠ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٧٣

الحرم [١٥٤] لذا كانت مهمة صاحب السقاية عسيرة ، وكان عليه حفر الآبار ، فقصي حفر بئر العجول، وبئر عند الردم الأعلى [١٥٥] وبعده جاء ابنه عبد مناف الذي يحمل الماء على الإبل في المزاود والقِرب لسقاية الحاج [١٥٦] وحفر عبد شمس بن عبد مناف بئر الطوي[١٥٧] ثم انتقلت الى هشام بن عبد مناف الذي حفر بئر بدر [١٥٨] [١٥٩] وبعده انتقلت إلى عبد المطلب الذي يلقب بالفيض [١٦٠] وهو الذي أعاد حفر زمزم[١٦١] [١٦٢] وبعد

---

[١٥٤] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٤ ؛ الازرقي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٣ .

[١٥٥] الازرقي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٣ .

[١٥٦] ابن سعد ، الطبقات ج١ ، ص٧٨ ، الازرقي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص٨٣.

[١٥٧] ابن اسحاق ، سيرة النبي ، ج٢ ، ص٩٦ ؛ المكي ، سمط النجوم ، ج١ ، ص٢٠٦ .

[١٥٨] بئر بدر : بئر حفره هاشم بن عبد مناف عند المستند خطم الخندق على فم شعب أبي طالب ينظر : ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٤ .

[١٥٩] ابن إسحاق ، سيرة النبي ، ج٢ ، ص٩٦ ؛ ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ص١٤٤ الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص١١٣ .

[١٦٠] ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٨١ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٦ الكتاني ، عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، دار الكتاب العربي (بيروت د. ت) ج١، ص١١٣ .

[١٦١] زمزم : البئر المبارك المشهورة ، سميت بزمزم لكثرة مائها . الحموي ، معجم البلدان ج٣ ، ص١٤٧ .

[١٦٢] الزُهري ، محمد بن مسلم بن عيد الله بن شهاب (ت ١٢٤ هـ) المغازي النبوية تحقيق سُهيل زكار ، دار الفكر (دمشق ، ١٩٨١ م) ص٣٩ ؛ ابن اسحاق ، سيرة

عبد المطلب انتقلت السقاية الى ابنه أبي طالب ثم آل أمرها الى العباس[١٦٣] [١٦٤] الذي يلقب بالحجيج [١٦٥] .

هـ – الرفادة :

والرفادة يعني الإعانة [١٦٦] شيء كانت قريش تترافد به في الجاهلية يخرج كل إنسان مالا بقدر طاقته فيجمعون من ذلك مالا عظيما أيام الموسم فيشترون به للحجيج الضعفاء من الطعام والزبيب ، فلا يزالون يطعمون الناس حتى تنقضي أيام موسم الحج ، لذلك كانت الرفادة تسمى ، العطاء والصلة والإعانة[١٦٧] .

النبي ج٢ ص٩٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٨٣-٨٥ ، اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ج١ ص٢١٦ -٢١٨ .

(١٦٣) العباس بن عبد المطلب ، للمزيد ينظر : ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص١٠.

(١٦٤) الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص٨٤ ؛ البلاذري ، انساب الاشراف ، ج١ ، ص٥٧ ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٧٣ ؛ القرشي ، جمال الدين محمد جار الله بن محمد نور الدين بن ابي بكر علي المخزومي (ت ٩٦٠هـ) الجامع اللطيف في فضل مكة واهلها وبناء البيت الشريف ، مكتبة الثقافة ط٣ ، (مكة المكرمة ، ١٩٧م) ص١٦ .

(١٦٥) الثعالبي ، ثمار القلوب ، ص٥٤٤ .

(١٦٦) ابن منظور : لسان العرب ،ج٣، (مادة رفد) .

(١٦٧) ابن منظور ، لسان العرب ، ج٣ ص١٦٢- ١٦٣ ؛ الزبيدي ، تاج العروس ، ج٢ ، ص٢٥٥ .

ظهرت هذه الوظيفة في عهد خُزاعة ويعد عمرو بن لحي أول من أطعم الحاج بمكة [١٦٨] وبعد أن ملك قصي السيادة على مكة اهتم بها [١٦٩] ، إذ كانت قريش تخرج من أموالها في كل موسم وتدفعه إليه ليعد به الطعام للحجيج الفقراء فكان ينحر لهم الذبائح في طريق مكة [١٧٠]

وبعد قصي الزم الرفادة ابنه عبد مناف ثم هاشم بن عبد مناف [١٧١] وبعده قام بها المطلب بن عبد مناف ثم عادت إلى ابن أخيه عبد المطلب بن هاشم ثم أبي طالب الذي أدرك الإسلام ثم أخذها العباس وظلت في أولاده [١٧٢] وقد ساهم أغنياء مكة الى جانب قصي في إطعام الحجيج [١٧٣] .

---

[١٦٨] الازرقي، أخبار مكة ، ج١ ، ص١٥٥ .

[١٦٩] ابن هشام ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٣٧ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٧٣ .

[١٧٠] الازرقي، أخبار مكة ، ج١، ص١٥٥ ؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي، ج١ ، ص٢٠٤ ؛ القرشي ، الجامع اللطيف ، ص١١٥ .

[١٧١] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٤٤ ؛ ابن سعد ، الطبقات ، ج١ ، ص٦٨؛ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٣ ؛ صفوت ، احمد زكي ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ، ج١ ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت ، ١٩٨٥ م) ج١ ، ص٧٤ .

[١٧٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ،ج ١، ص١٥٠ .

[١٧٣] ابن حبيب ، المنمق ، ص٤٦٥ ؛ ابن بكار ، ابو عبد الله الزبير (ت ٢٥٦ هـ) ، جمهرة نسّب قريش وأخبارها ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار العروبة (القاهرة ١٣١٨هـ) ج١ ، ص٤٦٨ –٤٦٩ ؛ ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ) الشعر والشعراء (طبقات الشعراء) ، مطبعة بريل (ليدن د. ت)

و-عمارة المسجد :

كان العباس بن عبد المطلب القائم بهذه الوظيفة [١٧٤] ويبدو من ارتباط هذه الوظيفة باسم العباس انها قريبة من العهد الإسلامي ، ولعلها نتيجة التطور الذي أصاب الوظائف الدينية في مكة ، نتيجة تحمسهم وتبدلهم في دينهم ، والمبالغة في تعظيم الحرم [١٧٥]

ص٤٠٩ ؛ ثعلب ، أبو العباس احمد بن يحيى (ت٢٩١هـ) مجالس ثعلب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار المعارف (مصر د. ت) ج٤ ، ص١٦٨ .

[١٧٤] الازرقي ، اخبار مكة ، ج١،ص١١٤.

[١٧٥] أشار القرآن الكريم الى هذه الوظيفة فقال تعالى : " أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين " التوبة : ١٩ ؛ ينظر الطبري ، جامع البيان ، ج١٠ ، ص٩٤.

ثانيا : التجارة عند العرب قبل الإسلام :

تمهيد :

إن علاقات مهمة قد نشأت بين سكان وادي الرافدين وأقسام مهمة من جزيرة العرب منذ أقدم الأزمان ، وأقدم ذكر على ما نعلم حتى الآن لبعض القبائل العربية باسم العرب قد جاءنا من زمن الملك الآشوري (شليمنصر) الثالث في أخبار حربه في بلاد الشام عند موقعه (القرقار) ٨٥٣ ق . م ، وكَثُرَ ورود كلمة العرب في المصادر المسمارية منذ ذلك التاريخ ، ومما يقال عن العرب المذكورين بهذا الاسم في تلك المصادر أنهم كانوا – جُلّهم – من سكان بادية الشام أي بوادي جزيرة العرب الشمالية وجاءت تلك الكلمة بصيغ وان اختلفت إلاّ أنّها تشير الى اشتقاقها من مادة واحدة نذكر أشهرها بالتعريب اللاتيني Arbi , Aribi , Arubu , Urbi والنسبة اليها Aarbioa , Arbaya باضافة ياء النسبة الآشورية المماثلة الى العربية [١٧٦] .

وجاءت كلمة العرب بصيغة (Arabaya) في نقوش دارا في جبل بهستون والكلمة تشير في الأغلب الى البدو المتنقلين أو سكان البوادي[١٧٧] وكان ظهور العرب بسبب اكتمال بنائهم السياسي ، اما وجودهم الاجتماعي فأنه يسبق ذلك بكثير .

---

[١٧٦] مهران ، محمد بيومي ، الحضارات العربية القديمة ، ص٢٥٣ .

[١٧٧] ينظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج١ ، ص١٧.

أما ورود كلمة العرب في المآثر العربية فلا نستطيع أن نبت بالزمن الذي سمِّيَ فيه العرب أنفسهم بهذه التسمية ، والذي عليه كثير من الثقات هو أن بلاد العرب عرفت منذ الجاهلية باسم جزيرة العرب ، وان اسم العرب استعمل في بلاد العرب نفسها قبل ظهور الاسلام كما يتبين من الأشعار الجاهلية ، علما أن اصطلاح الجاهلية غير متفق على تحديد زمنه ، ووضع بعض المؤرخين المعاصرين بداية العهد الجاهلي في ٥٠٠ للميلاد ودام من ٥٠٠-٦٢٢م[١٧٨].

وفي الوقت الذي شكلّت فيه الطرق التجارية أهمية اقتصادية وتجارية بالغة بما تدر على قاطنيها من أرباح كثيرة من خلال الأعمال التجارية ، كأن تكون حراسة القوافل التجارية أو القيام بأعمال التحميل فضلا عن عمليات البيع والشراء

لذلك شهدت الجزيرة العربية أحداثا كبيرة شكّلت بُعدا تاريخيا ، سواء أكانت هذه الأحداث خارجية أم داخلية ، ولاسيما نحن نعرف طبيعة الحياة السائدة في شبه الجزيرة من طغيان الحياة القبلية بأعرافها وتقاليدها ، وما تبع ذلك من حروب وتحالفات بين القبائل زرعت العداوة والأحقاد حتى بات بالإمكان نشوب الحروب لأسباب يسيرة ربما استمر بعضها لسنوات طويلة .

وكان لمكة علاقات واتصالات تجارية مع جميع مناطق شبه جزيرة العرب ولاسيما مع الحيرة . وقد برزت قوى سياسية كثيرة في شبه جزيرة العرب رافقها بروز دويلات عربية كبيرة في الأقسام الشمالية والجنوبية ،

---

[١٧٨] باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج٢ ، ص١٨٩ .

استطاعت هذه الدويلات أن تصنع تاريخها فكان لها شأن كبير ولاسيما ان تلك الدويلات وبخاصةٍ الشمالية عاشت أو شاهدت الصراع السياسي الكبير بين الإمبراطورية الساسانية والإمبراطورية البيزنطية الامر الذي دفع هذه الدويلات إلى أن يكون لها موقعها السياسي الثابت إتجاه هاتين القوتين فضلا عن الأثر الذي فرضته تلك القوى على مسيرة حياة هذه الدويلات أعني (الأثر السياسي والعسكري للدولتين البيزنطية والساسانية) في محاولة لزج تلك الدويلات العربية باستغلال ولائها في الصراع الدموي السائد بينهما ومن ثم صارت جميع تلك الدويلات على الرغم مما وصلت إليه من قوة ،ولاسيما دويلة (الغساسنة والحيرة) ومن باع طويل ضحية للقوى العظمى المتنازعة آنذاك .

شهدت الحياة العربية نوعا من التقدم الحضاري ولاسيما التجاري في شبه الجزيرة أبان نشوء تلك الدويلات العربية ، وتُعدُّ الحيرة المدينة ، والمملكة من أبرزها بالنظر لاتساع مساحتها فضلا عن قوتها العسكرية وسيطرتها على القبائل العربية في العراق متمثلا بحكامها من (تنوخ وآل لخم) وبما وصلت إليه من خلال علاقتها بالدولة الساسانية فضلا عن بعدها عن بلاد الشام جعلها هذا كله بعيدة عن الجيوش الرومانية على الرغم من الصراعات الكبيرة التي خاضتها ضد دولة الغساسنة بالتحريض من أصدقائهم الساسانيين والرومانيين على السواء .

وكان لاتساع الحيرة وصعود نجمها أثره في ، علاقاتها مع مناطق مختلفة من شبه جزيرة العرب ولاسيما مكة وبما شكلته هذه المنطقة من أثر سياسي وديني ، فقد كانت ومازالت كعبة العرب يأمها الناس من كل فجٍ

عميقٍ ، وبما أدته هذه المنطقة بفضل موقعها وأهميتها من دور في جلب أنظار العرب إليها ، فكانت لها علاقاتها مع بلاد اليمن ومع بلاد الشام . وكانت لرحلاتها أهمية خاصة حتى جاء ذكرها في القرآن الكريم (لإِيلافِ قُرَيشٍ * إيلافِهِم رِحلَةَ الشِتَاءِ وَالصَيفِ * فَليَعبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيتِ *الذي أطعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنِ خَوفٍ) (١٧٩)

وتعدُّ التجارة بما لها من تداخلات (اجتماعية ، وسياسية ، ودينية)عند العرب في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام ، من الموارد الأساسية في تشكيل حياتهم الاقتصادية(١٨٠)

وتشمل التجارة : الاتجار داخل جزيرة العرب ، أي تعامل أبناء بلاد العرب بعضهم مع بعض ،والاتجار مع الخارج أي مع الدول المجاورة مثل الهند وأفريقيا والفرس والروم والتجارة تكاد تكون الحرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظر العربي إليها والى المشتغل بها نظرة استهجان وازدراء ، بل تُعدُّ عندهم من أشرف الحرف قدرا ومنزلة (١٨١).

وللتجارة عند العرب مقومات أساسية لها ، إذ شكلّت الطيوب والتوابل التي تنبت في جنوبي شبه الجزيرة لتجد طريقها برا وبحرا الى مصر وسورية ، ثم من الشواطئ السورية عبر البحر الأبيض المتوسط الى

---

(١٧٩) سورة قريش ، ايه (١-٤) .

(١٨٠) يحيى ،لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، ط٢ ، مطبعة المعرفة الجامعية (الاسكندرية ، ١٩٨٦م) ، ص٣٠٦.

(١٨١) ينظر : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب ، ج٧، ص٢٢٧.

الشواطئ الأوربية في بلاد اليونان القديمة ، في حين كان للموقع الجغرافي المتوسط لشبه الجزيرة أهميته الكبيرة ، إذ تمر بها الخطوط التجارية التي تخترقها من الشمال الى الجنوب ، ومن البحر الأحمر حتى موانئه الشمالية [١٨٢] وهكذا كان الملوك تجارا يبيعون ويشترون ،وكان رؤساء المعبد تجارا يتاجرون بما يقدم اليهم [١٨٣] .

وللتجارة أهمية كبرى عند العرب ،إذ كان لموقع بلاد العرب الجغرافي المتوسط بين بلاد أعظم الدول ، ففي شمالها الشرقي بلاد فارس وفي شمالها الغربي بلاد الروم ومصر والى غربها الجنوبي وراء البحر بلاد الحبشة ، وفي جنوبها البحر الهندي الذي يفصلها عن بلاد الهند [١٨٤] وما ترتب عليه من مرور التجارة من الشرق الى الغرب عبر أراضيها ، ظاهرة استرعت اهتمام المؤرخين الكلاسيكيين في العصر اليوناني والروماني ، إذ تحدّث الجغرافي اليونان سترابو (Strabo) عن غنى المنطقة العربية الجنوبية ، فكان غناها من الأسباب التي دفعت أغسطس الى شِّن حملته على هذه المنطقة في سنة (٢٤ ق.م) [١٨٥].

---

[١٨٢] يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣٠٧.

[١٨٣] مهران ، الحضارات العربية القديمة ، ص٢٨٤.

[١٨٤] الافغاني ، اسواق العرب ، ص١٥.

[١٨٥] نقلا عن مهران ،تاريخ العرب القديم ، ص٣١٠-٣١٣؛ ويشير التاريخ الروماني إلى : ان الرومان بعد ان استولوا على ارض كنانة بعون من الانباط استطاع يوليوس قيصر . ان يقبض على ناصية الأمور في الاسكندرية عام(٤٧ ق.م) ، فبدأ الرومان يفكرون في الشيء نفسه بالنسبة الى بلاد العرب ، وهكذا كان مشروع حملة يوليوس جاليوس عام ٢٣ ق.م للاستيلاء على بلاد اليمن ، لكثرة خيراتها ولاحتكارها

وقد وردت أخبار كثيرة تشير الى وجود ألفاظ ذات معانٍ تجارية تتعلق بالبيع والشراء والامتلاك والعقود، مما يدلُّ على أن العرب الجنوبيين كانوا قوما تجارا ، يجنون من التجارة أرباحا طائلة ، فكانوا يبيعون ويشترون ويصدرون ويستوردون في الداخل والخارج ،ويقصدون الأسواق الشهيرة القريبة منهم كسوق صحار والمشقر[١٨٦]. كما يقيمون الأسواق في بلادهم في

طرق النقل التجاري بين العالم وليجعل البحر الأحمر بحرا رومانيا ، فضلا عن القضاء على المنافسة العربية الخطيرة التي كان الملاحون الروم يحسبون لها الف حساب عند اجتيازهم باب المندب ، وحين ترسو سفنهم على بعض الموانئ في تلك المناطق ينظر : جواد علي ، المفصل ج٧، ص٤٢؛ ولو تم المشروع على نحو ما حلم به اكتافيوف اغسطس (٣١ ق.م ـ٤٠ م) لكان حكام روما قد بلغوا العربية الجنوبية ،وربما سواحل أفريقية ، إلاّ أن سوء تقدير الرومان له واستهانتهم بطبيعة بلاد العرب ،وعدم معرفتهم قساوة الطبيعة هناك ، وعدم تمكن الجيوش الرومانية النظامية من المواجهة فيها، وتحمل العطش والحر الشديدين احبطت هذه الظروف وأدت هذه إلى خيبة المشروع منذ اللحظة الأولى ،فكانت انتكاسة شديدة في هيبة روما ، وفي مشاريعها التي أرادت ان تنفذها في شبه الجزيرة العربية (ينظر :احمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، (القاهرة ،١٩٦٣م) ، ص١٤١) .

[١٨٦] المشقر : حصن بين نجران والبحرين يقال انه من بناء طسم وهو على تل عال ويقابل حصن بن سدوس ، البلدان ، ج٨، ص٢٧٠؛ الافغاني ، أسواق العرب ، ص٢٤٠.

المواسم ، أو في أيام معينة من الأسبوع للبيع والشراء كسوق عدن والمشقر [١٨٧].

والتجارة هي (ش ت ي ط) (شتيط) في لهجة قتبان ، وقد وردت هذه اللفظة في عدد من النصوص القتبانية ، في أوامر أصدرها ملوك قتبان ، لتنظيم التجارة وتنظيم الجباية ، ومنها نص أصدره الملك (شهر هلال بن يدع اب) في تنظيم التجارة ، وفي كيفية الاتجار .وقد نشر على شكل إعلان أو مرسوم ملكي موجه من الملك إلى التجار من أهل قتبان [١٨٨] جاء فيه (ومن يتجر تجارة بتمنع وبخارج تمنع فعليه ان يقدم عربونا إلى تمنع وان يكون مقيما في بشمر ، وان اثر قتبان محلا لا تجارة ، وأراد ان يتجول ليشتري فعليه ان يشتري من مدينة بشمر)[١٨٩].

وهذا يعني ان هناك شروطا يجب ان يلتزم بها التجار الأغراب الوافدين الى قتبان ، للاتجار فيها سواء من حيث مكان إقامتهم أو مكان ممارستهم لتجارتهم أو الرسوم المطلوب تأديتها الى الدارة المختصة ، والشيء نفسه نجده في الحجاز حيث ظهر أكثر من مركز تجاري ، أشهرها مكة ثم يثرب والطائف [١٩٠][١٩١].

---

[١٨٧] الافغاني ، المصدر نفسه ، ص٢٤١-٢٦٩. للتفاصيل عن التجارة في اليمن القديم . ينظر : جواد مطر الموسوي ، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في اليمن القديم ، دار الثقافة العربية (الشارقة ، ٢٠٠٢م) ، ص٤٢٢-٥٨١ .

[١٨٨] علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٣٢١.

[١٨٩] المرجع نفسه ، ص٢٣١.

[١٩٠] مهران ، الحضارة العربية القديمة ، ص٢٨٥.

[١٩١] ينظر : الملاحق خارطة رقم ١ .

ففي مكة نجد قبيلة قريش ، وقد نشطت نشاطا ملحوظا ومستمرا في المعاملات التجارية سواء فيما بين القريشين أنفسهم أو مع شعوب أخرى مثل البيزنطيين والفرس والأحباش ، إذ اصبح لديهم من تجاربهم في هذا المجال عدد من القواعد والأصول التي شكلت عرفا تجاريا [١٩٢].

والعربية الجنوبية في كتب اليونان والرومان وفي التوراة بلاد غنية ذات خيرات وثروات وتجارات وأموال وقوافلها تخترق جزيرة العرب إلى بلاد الشام والعراق ، وفي بلادها الذهب والفضة والحجارة الكريمة ، تتاجر مع الخارج فتربح بتجارتها هذه كثيرا [١٩٣].

وقد كان هناك عدد من الطرق البرية والبحرية التي تنقل تجارة العرب بعض هذه الطرق يبدأ من المنطقة الجنوبية الغربية والتجارة عند العرب قسمين : تجارة برية وأخرى بحرية .

التجارة البرية :

تُعدُّ التجارة البرية عماد تجارة العرب القدماء ، ولاسيما الحقبة التي سبقت ظهور الإسلام ، فقد كانت القوافل عماد هذه التجارة ، إذ كان الملوك وسادات القبائل والأشراف يرسلون تجارتهم بقوافل الى مواضع اتجارهم فتبيع وتشتري ما تحتاج اليه من سلع تجارية لتبيعها في مكان اخر بثمن غال ،

---

[١٩٢] يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣١٢.

[١٩٣] علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٣٣.

والتجارة البرية . إما تجارة داخلية الى داخل البلاد أو تجارة خارجية كانت تتم مع بلاد الشام والعراق أي خارج حدود جزيرة العرب [١٩٤].

وقد كانت هذه التجارة تتبع اتجاهات رئيسة للطرق البرية منها طرق موازية تقريبا للبحر الأحمر من أقصى جنوب شبه الجزيرة الى بلاد الشام وشواطئها في الشمال ...

وتبدأ هذه الطرق من قتبان في الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة وحضرموت الواقعة إلى شرقها ، وسبأ من ناحية الشمال و تمنع تبدأ طرق القوافل الرئيسة نحو الشمال مخترقة الحدود الشمالية لمنطقة سبأ لتتخذ بعد ذلك شكل ممر عبر أراضي المعينين لتصل بعدها إلى مكة .

وكان العرب الجنوبيون يتاجرون مع بلاد الشام ، فيرسلون إليها قوافلهم مارة بالحجاز الى أسواق بلاد الشام بالطرق البرية ، التي مايزال الناس يسلكونها ، وقد عُثِرَ على كتابة يذكر فيها الإله (عثر) الذي يتقرب به أصحاب هذا النقش تشكرا لهذا الإله ؛ لانه نجاهما مع قافلتهما من الحرب التي كانت قد وقعت بين مصر وماذي ، فوصلا معها سالمين الى مدينة (قرنو) عاصمة معين [١٩٥].

---

[١٩٤] علي ، المفصل ج٧، ص٢٣٢.

[١٩٥] علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٢٣٦.

وتُعدُّ البتراء أهم عقدة طرق يمر بها التجارة المعينون والسبئيون ومنها يتجه نحو البحر الميت لمن يريد الاتجار مع بلاد الشام وطريق آخر ينتهي بغزة حسبما ذكره بلينوس (٢٣-٧٥م) [١٩٦].

وقد كانت قوافل سبأ تسير من العربية الجنوبية الى فلسطين ، اذ يشير جواد علي الى ان السبئيين كانوا يسيطرون على العربية الغربية حتى بلغت حدود مملكتهم أرض فلسطين نتيجة سياسة حكومة سبأ بشأن التوسع التجاري ، وهذا التوسع يقتضي السيطرة على الطرق التجارية ؛ لذلك عملت على السيطرة على الطرق المؤدية الى بلاد الشام ،ولهذه الطرق أهمية كبيرة بالنسبة لأهالي اليمن والعربية الجنوبية [١٩٧][١٩٨].

الطرق التجارية :

أ.طرق القوافل البرية :

التجارة وسيلة مهمة للتاجر الذي يسعى إلى الربح ، وهي أفضل بكثير من رحلاته التي يقوم بها في مسالك الصحراء لمبادلة حاصلاته بحاصلات الزراع المستقرين فضلا عن ذلك أن البدو يمكنهم عبور الصحراء في قوافل ذات أعداد كبيرة ، تضمن الحماية والسلامة من الغارات [١٩٩] .

---

[١٩٦] نقلا عن يحى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣١٥.

[١٩٧] علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٤١.

[١٩٨] ينظر : الملاحق خارطة رقم ٢.

[١٩٩] جمال حمدان ، أنماط من البيئات ، (القاهرة ، ١٩٧٦م) ، ص٩٩.

ومن خلال ذلك تكاملت الأطراف لإنشاء تجارة رابحة بين الإقليم والهلال الخصيب من ناحية ، وجنوب غرب شبه الجزيرة العربية وجنوبها ومصر ودول شرق البحر المتوسط من ناحية أخرى [٢٠٠].

ولقد كان هناك مركزان تخرج منهما الطرق : جرها على الخليج العربي ومدن الساحل الجنوبي الغربي [٢٠١]

ب. طرق التجارة البحرية :

لا ريب في أن بلاد العرب تحيط بها المياه من جهات متعددة ، وهذا ساعدها على قيام تجارة بحرية نشطة ، ولاسيما أنها تقع بين بحرين هما : البحر الأحمر من الغرب والخليج العربي من الشرق ، وبينهما يمتد المحيط الهندي ليستمر بعد ذلك شرقا ، كذلك فان الرياح الموسمية التي تسود المنطقة كانت عاملا مساعدا في حركة الملاحين هذا الى أن نهري دجلة والفرات في شمال الخليج العربي ونهر النيل غرب البحر الأحمر بإمكانهما في مجال النقل أن يشكلان امتدادين لهذا الموقع التجاري الوسيط [٢٠٢]

غير ان هناك صعوبات جمة كانت تقف أمام عرب شبه الجزيرة في الحقب الأولى تحول دون إمكان الانتفاع بهذه الإمكانات ، فشواطئ البحر الأحمر غير آمنه ولاسيما في القسم الشمالي من حيث الشعب المرجانية التي لا تسمح بوجود موانئ ترسو عليها السفن [٢٠٣].

---

[٢٠٠] مهران ، الحضارات العربية القديمة ، ص٢٨٩.

[٢٠١] المرجع نفسه ، ص٢٩٠-٢٩١.

[٢٠٢] المرجع نفسه ، ص٢٩٢.

[٢٠٣] يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣٢٥.

إنّ العرب كانوا يملكون سفنا في البحر الأحمر ، وفي البحر العربي ، وفي الخليج العربي إلّا أن سفنهم لم تكن فخمة ، ولهذا لم تتمكن من مجابهة السفن الرومانية واليونانية التي نزلت تلك البحار [٢٠٤].

وكان أهل جرها (Gerrha) على ساحل الإحساء ، من أنشط الناس في التجارة ، إذ يتاجرون في البر و البحر ، ويتاجرون مع الهند وسواحل إيران الجنوبية ، كما كانوا يتاجرون مع العربية الجنوبية والعراق [٢٠٥]،ولهم تجارة مهمة مع (باريجاره) على خليج (كمباي) في الهند ، تحمل سفنهم السلع العربية ، ثم تعود محملة بالنحاس وأنواع مختلفة من الأخشاب ، ولعلّ استيراد هذه السلعة الأخيرة أدى الى نوع من النشاط في بناء السفن التي كانت الأخشاب الصالحة لبنائها غير موجودة في شبه الجزيرة العربية [٢٠٦].

ويذكر بليني ثلاث مدن وموانئ أخرى ذات نشاط تجاري بحري ، هي جرها والحيلة (قرب رأس الخيمة) تمنة ، واطافة ، كموانئ على الجانب الشرقي لشبه الجزيرة العربية [٢٠٧].

في الوقت الذي أشار فيه بليني الى وجود جاليات يونانية على سواحل بلاد العرب في مواقع غير بعيدة عن موضع (Atteracе) الذي هو عدن ، إشارة إلى وجود مستعمرات يونانية على سواحل جزيرة العرب أنشئت قبل

---

[٢٠٤] علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٦٥.

[٢٠٥] المرجع نفسه ، ص٢٧٠.

[٢٠٦] حوراني ، جورج فضلوا ، العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة : السيد يعقوب بكر (القاهرة ، ١٩٥٨ م) ، ص٦١-٦٢.

[٢٠٧] المرجع نفسه ، ص٦٢ ؛ مهران ، العرب و الدولة في العصور القديمة (الرياض ١٩٧٦م) ، ص٣٢٣-٣٢٤.

أيامه لضبط الأمن من البحارة ، وللاتجار مع العرب وبسط نفوذ الروم عليها [٢٠٨].

وقد شهد القرن الذي سبق ظهور الإسلام نشاطا تجاريا للبحرية العربية وتدهورا اقتصاديا للإمبراطورية الرومانية ، كما هبط فيه النشاط التجاري اليوناني في البحر ، إذ أصبحت جزيرة سيلان همزة الوصل بين تجارة الصين ، وتجارة الشرق الأدنى ، إليها يصل التجار الصينيون ، ليفرغوا تجارتهم فيها ، ومنها يبحر بهذه التجارة ، تجارة من فارس والحبشة [٢٠٩].

وكان لمكة صلات قوية بالحبشة عن طريق البحر الأحمر ولابد من أنهم يستعملون البحر في نقل متاجرهم عن طريق ميناء الشعيبة [٢١٠].

١. التجارة في الحيرة :

شكلت مدينة الحيرة الوسط التجاري بين بلاد فارس ومدن شبه جزيرة العرب ، اذ كانت تستلم البضائع وتوصلها الى أسواق العرب ، كما ان ملوك اللخميين كانوا يرسلون تجارتهم الى أسواق مكة كل عام تحت حماية بعض رؤساء القبائل العربية [٢١١] ، إذ يروى ان قريشا تعلمت الكتابة من أهل الحيرة [٢١٢] .

---

[٢٠٨] نقلا عن علي ، المفصل ، ج٧، ص٢٧٧.

[٢٠٩] يحيى ، العرب في العصور القديمة ، ص٣٣٢.

[٢١٠] شريف ، مكة والمدينة ، ص٢٠٧.

[٢١١] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٣٥٩ .

[٢١٢] ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج١ ، ص١٩٠ .

وبعد اضطراب الأحوال السياسية في بلاد الحيرة ، وكثرة اعتداءات القبائل على تجارة الفرس ، حتى على تجارة المناذرة أنفسهم [٢١٣] ، توقفت تجارة قريش قد توقفت لحقبة طويلة بعد سقوط الحيرة [٢١٤] .

وكان أحتكار الفرس للتجارة الشرقية ، وفرضهم ضرائب باهضة على القوافل السبب في دفع الرومان إلى ترويج البضاعة المكيّة [٢١٥] .

إن للتجارة أثرا كبيرا في العلاقة بين الحيرة ومكة ، التي تلتقي على أصول الحكم القبلي بقيادة مكة ، وعلى السياسة المكية مع القبائل العربية المحيطة بها[٢١٦].

وقد شهد النصف الثاني من القرن السادس الميلادي تبدلا أساسيا في العلاقات بين القبائل في شمال الجزيرة والحيرة ، ونتيجة لانكسار قوات الحيرة في المعارك التي تخوضها هذه القبائل أن تقوضت هيبة حكام الحيرة في نظر هذه القبائل ، مما أدى منح امتياز حراسة القوافل لبعض رؤساء العشائر إلى إثارة الحسد والخلاف بين القبائل ، وأدى إلى التصادم فيما بينها ، ثم قامت القبائل الساخطة بالثورة ضد الحيرة ، ولهذا كثرت ألإغارة على قوافل

---

[٢١٣] شريف ، مكة والمدينة ، ص١٦٤ .

[٢١٤] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٢٩١ .

[٢١٥] شريف ، مكة والمدينة ، ص١٦٤.

[٢١٦] كستر ، الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري ، دار الحرية للطباعة ، (بغداد ، ١٩٧٦ م) ، ص٤٠.

الحكام ، وصارت طرق التجارة غير آمنة ، وقد بدأ حكام الحيرة يفقدون السيطرة على الطرق التجارية وتضاءلت هيبتهم [٢١٧] .

وتشير الروايات التاريخية إلى شعور أُمراء الحيرة بتدهور الإمبراطورية الفارسية في أواخر ذلك القرن ، مما دفع النعمان آخر أُمراء الحيرة إلى توثيق العلاقة مع زعماء بعض القبائل ، فقد روى عنه أنه قال : " إنما أنا رجل منكم ، وإنما ملكت وعززت وما يتخوف من ناحيتك " [٢١٨] .

وكان لموقع الحيرة على الضفة اليمنى من نهر الفرات في أطراف البادية أثره في ازدهار تجارتها ، فهي تمتد الى منخفض بحر النجف الذي يرتبط بالخليج العربي عن طريق نهر الفرات ، وكانت بعض أنهاره تصل إلى مدينة الحيرة ولاسيما نهر الحيرة ، ونهر يوسف ، ونهر كافر ، وتتجمع هذه الأنهار لتصب في بحر النجف وتصل إليه السفن البحرية القادمة من الفرات [٢١٩] .

ويروى أن نهر كافر كان يُسّمى نهر الحيرة ، وقيل اسم قنطرته ، وفيه يقول الشاعر الجاهلي المتلمس الضبعيّ (ت ٥٨٠م) :

وأَلْقَيْتُها بالثِّنْي من جَنْبِ كافِرٍ كذلك أَقْنُ كل قِطٍّ مُضَلَّلِ

رضيت لها بالماء لما رأيتها يجول بها التيار في كل جدول [٢٢٠]

---

[٢١٧] المرجع نفسه ، ص٤١.

[٢١٨] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج١ ، ص١٦٩.

[٢١٩] العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ص٧٣ .

[٢٢٠] الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٣١ .

وهذا الموقع أعطى الحيرة أهمية كبرى لتحركات القبائل العربية بين شبه الجزيرة العربية وسواد العراق ، الأمر الذي ساعد على انتعاشها سياسيا واقتصاديا ، ولكي يسهل أمر نقل البضائع والسلع من بلد الى آخر لابد من وجود طرق للمواصلات يتم عن طريقها نقل البضائع من منطقة الى أخرى ، فكانت طريق الحيرة ، إذ إن سهولة هذا الطريق وقلة العوارض فيه وتوافر المياه والوجود السكاني على طول الطريق ، جعلها الأفضل للتجارة (٢٢١) .

وذكر نكلسن أن السفن التجارية القادمة من المحيط الهندي تأتي الى الحيرة عن طريق الفرات وتفرغ حمولتها هناك (٢٢٢) ، وكان الحيريون ينقلون بضائعهم بالقوافل التجارية التي تعرف باللطائم (*) ، ويقود هذه القوافل عادة من الذين يتصفون بالشجاعة والذكاء والحسب والنسب (٢٢٣) ، وان يكون معروفا بين القبائل وكثيرا ما كان يلجا الى تقديم الهدايا لرؤساء القبائل لكي يضمن سلامة مرور قافلته (٢٢٤) ، وبسبب هذا الاهتمام الواسع من ملوك

---

(٢٢١) خليفه ، يوسف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ص١٢٥ .

(٢٢٢) تاريخ الادب العربي ، ص٨٠-٨١ .

(*) اللطيمة ، وهي قافلة كانت تحمل تجارة يرسلها ملوك الحيرة الى الاسواق وقد عرفت بانها العير الذي يحمل الطيب . الزبيدي ، تاج العروس ، ج٩، ص٦ ؛ علي ، المفصل ، ج٣ ص٢٧٧ .

(٢٢٣) يروى ان النعمان بن المنذر رفض ان يجير قافلته التجارية المعروفة باللطيمة الى رافع بن قيس (البراض) لانه كان خليع قومه وكان عند النعمان مستجيرا . ينظر : ابن حبيب ، المحبر ، ص١٩٥-١٩٦ .

(٢٢٤) كستر ، الحيرة ومكة ، ص٣٦ .

الحيرة أصبح لها دور كبير في تجارتها البرية كما هو الحال في تجارتها المائية إذ طافوا مياه الخليج العربي وسواحل بلاد العرب وشبه الجزيرة العربية والبحرين ووصلوا الى الهند حاملين منتجات العراق وما جلب إليها من بلاد الشام والروم ؛ مثل : الحديد والنحاس والقصدير جالبين معهم الحرير والاستبرق والقرنفل والصمغ والصدف والعاج والعطور ودهن البان فأصبحت الحيرة مركزا لتجارة النقل بين الهند ودول ذلك العهد [٢٢٥] .

ولم تقتصر ممارسة النشاط التجاري على فئة التجار وحدهم ، بل أسهم بعض ملوك الحيرة بهذا النشاط ، فقد روي أنّ النعمان بن المنذر كان يبعث في كل سنة بلطيمة (قافلة) الى سوق عكاظ ليبيعها ويشتري بثمنها الأدم والحرير والوكاء والحذاء والبرود من القصب والوشي والمسير العدني واليماني [٢٢٦] .

وكانت للحيرة علاقات تجارية مع الشام ، ولم تتأثر هذه العلاقات بالعمليات الحربية التي كثيرا ما كانت تنشب بين المناذرة والغساسنة [٢٢٧] فقد ذكر ان للنعمان ابن المنذر علاقات تجارية مع كبار تجار الشام مثل التاجر سرجون بن توفيل [٢٢٨]

---

[٢٢٥] غنيمة ، الحيرة ، ص٩١ ؛ وينظر : العلي ، محاضرات ، ص٣٦-٣٧ .

[٢٢٦] الافغاني ، اسواق العرب ، ص٢٧٩ .

[٢٢٧] علي ، المناذرة دراسة سياسية حضارية ، ص٧٥ .

[٢٢٨] غنيمة ، الحيرة ، ص٩٢ .

وحقق التجار الحيريون أرباحا كبيرة نتيجة تحول العملات الذهبية الى دراهم فضية وبالعكس [٢٢٩] وبذلك عُدّت حرفة التجارة من أشرف الحرف وأعلاها قدرا ومنزلةً[٢٣٠] ، والدليل على انتعاش هذا النشاط وازدهاره كثرة العاملين فيه ؛ لذا قيل إنّك لا ترى بلدا في الأرض ليس فيه حيري [٢٣١] .

٢. التجارة في مكة :

كان أهل مكة من ابرع التجار ومن أنشطهم ، إذ استفاد أهل مكة من الوضع السيِّء الذي طرأ على بلاد اليمن بعد وصول الأحباش إليها [٢٣٢].

---

[٢٢٩] محمد ، عبد الرحمن فهمي ، النقود العربية ماضيها وحاضرها ، ط القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٢٣.

[٢٣٠] الخضري ، محمد ، محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية ، (مصر ، ١٩٦٩م)، ج١ ص٢٤ .

[٢٣١] العلي ، محاضرات ، ص٧٥ .

[٢٣٢] كان الوجود الحبشي في بلاد اليمن يعود الى سنة ٥٢٥ م إذ كان السميفع اشوع سام اشوع نائبا للملك الحبشي ، وتختلف المصادر في كيفية وصول أبرهة الى بلاد اليمن ، الذي سمّي بملك سبأ وذو ريدان ، بحسب نص بلازر ، وبقي الاحتلال الحبشي حتى ثورة سيف بن يزن الحميري ، الذي فرّ أبوه الى ملك الحيرة عمرو بن هند ، بعد ان انتزع منه إبرهة وزوجه ريحانة بنت علقمة وأم ولده سيف ، ثم أولدها أبرهة ولده مسروق وابنته ينظر : الطبري ، ج٢، ص١٣٠؛ ابن الأثير ، ج١، ص٤٣٣؛ في حين تذهب روايات الى ان سيف قد توجه الى بيزنطة وحاول اقناع قيصرها ، إرسال حملة تقاتل الى جانب اليمنيين ، إلا أنه أخفق في ذلك ينظر الدينوري ، الأخبار الطوال = =ص٦٣؛ توجه بعدها الى بلاد فارس ، ويبدو انه لجأ الى النعمان بن المنذر حاكم الحيرة حتى يقدمه الى كسرى انو شروان (٥٣١-

وأصبحت مكة منذ أن آل أمرها الى قريش على أيام قصي بن كلاب نحو (٤٤٠م) مركزا للحياة الدينية والاقتصادية في شبه الجزيرة العربية بسبب وجود الكعبة المشرفة [٢٣٣].

ونتيجة انحسار المد الحبشي وانتهاء عهده ، انحسر كل نفوذ سياسي ، أو عسكري كان لحكومات اليمن في الحجاز ، أو على بعض القبائل العربية ،ووجدت قريش نفسها حرّة مستقلة ، وفي وضع يمكنّها من استغلال مواهبها في التجارة ، فقامت بمهمة الوسيط في نقل تجارة أهل اليمن إلى أسواق فلسطين ، وتجارة بلاد الشام الى اليمن[٢٣٤] .

وقد وصف الإخباريون أهل مكة بترفعهم عن البخل والشُّح ، فقد وصفهم الجاحظ (ومن العجب ان كسبهم لما قل من قبلّ تركهم الغزو ، ومالوا الى الإيلاف[٢٣٥] والجهاد لم يعتريهم من بخل التجار قليل ، ولا كثير ، والبخل خلقه في الطباع ، فأعطوا الشعراء كما يعطي الملوك ،

٥٧٤م) ؛ (ابن خلدون ،ج٢، ص٦٣ ؛ ثم استطاع العرب بعد مساعدة الفرس في تحرير بلادهم من الاحتلال الحبشي ؛ ينظر: الطبري ، تاريخ ، ج٢،ص١٤٠-١٤٢؛ تاريخ الخميس ، ص٢١٨) .

[٢٣٣] مهران ، الحضارة العربية القديمة ، ص٢٩٦.

[٢٣٤] علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٢٨٥ ؛ مهران ، المصدر نفسه ، ص٢٩٦ .

[٢٣٥] الإيلاف . الأنس وعدم الوحشة إيجاب الألف يحسن التدبير ، يقال آلف بألف الفا ، ولفه يؤلفه ايلافا ، اذ جعله يألف ، الإيلاف والإيلاف في الآية الكريمة عهود كانت بين قريش وملوك العجم . القرطبي : تفسير القرطبي ، ج٢ ، ص٢٠٠-٢٠٥ ، الطبري : تفسير الطبري ،ج٣ ، ص٣٥-٣٠٩ .

ووقروا الأضياف ، ووصلوا الأرحام وقاموا بنوائب زوار البيت ، فكان احدهم يحبس الحيّة الانطاع ، فيأكل منها القائم والقاعد والداخل والراكب) [٢٣٦]

وقد نسب الجاحظ ميل قريش الى التجارة واشتغالهم بها إلى تحمسهم في دينهم وتشددهم في الدين فقال :" قريش من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشديد في الدين فتركوا الغزو كرها للسبي ، واستحلال الأموال ، واستحسان العفو فلما تركوا الغزو لم تبق بمكة سوى التجارة ، فضربوا في البلاد الى قيصر بالروم والى النجاشي بالحبشة و الى المقوقس في مصر وصاروا بأجمعهم تجارا خلطاء[٢٣٧] وقد بلغت شهرة القريشيين في التجارة ومهارتهم فيها ، الى ان يذهب بعض المؤرخين الى القول : إن قريشا إنما سميت كذلك لاحترافها التجارة [٢٣٨] ؛ لان التقريش إنما هو التجارة والاكتساب، وذكرت رحلاتهم التجارية في القرآن الكريم في قوله تعالى (لإيلاف قُريش إيلافهم رِحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)[٢٣٩].

وتذكر المصادر التاريخية أن الإيلاف بدأ نحو ٥٠٠ م ونسب إلى بني هاشم رهط النبي (صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم) ذلك ان قريشا تجار

---

[٢٣٦] كتاب البلدان ، نشره الدكتور صالح أحمد العلي ، مستله من مجلة الآداب لسنة ١٩٧٠ ص٤٦٨ .

[٢٣٧] اليعقوبي ، البلدان ، ص ٤٧٢.

[٢٣٨] مهران ، الحضارة العربية ، ص٢٩٨.

[٢٣٩] سورة قريش :الآية : ١-٤؛ الطبري ، تفسير الطبري ، ج ٣٠ ، ص ٣٠٥- ٣٠٩؛ الالوسي ، تفسير روح المعاني ، ج٣ ، ص٢٣٨-٢٤١.

لا تتجاوز نجارتهم مكه حتى سافر هاشم بن عبد مناف الى بلاد الشام ، وعقد لهم عقودا تجارية وضمن لهم الأمان مع قيصر الرومان [٢٤٠] .

ويظهر من سورة قريش أن قريشا كانت لها رحلتان في السنة رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى بلاد الشام ، هما رحلتان تجاريتان ؛ لأغراض البيع والشراء ، وقد صارت مكة لذلك العهد مركزا ماليا خطيرا في الحجاز [٢٤١].

وعلى أي حال فان أحوال مكة السياسية والاقتصادية والجغرافية قد جعلت منها مدينة عربية لجميع العرب فلم تكن كسروية ، أو قيصرية ، أو نجاشية .

وأشرك أهل مكة سادات القبائل معهم في الاتجار تأليفا لقلوبهم وحماية لتجارتهم وقوافلهم ، وأنهم سدنة البيت الحرام ، وكانوا يعطوهم نصيبهم من الأرباح مما جعل سادات القبائل يفيدون الى مكة ، ويعقدون مع تجارها الاتفاقيات ، وبذلك توسعت تجارة مكة وازدادت رؤوس أموال قريش [٢٤٢].

---

[٢٤٠] الطبري ، تاريخ ، ج٢ ، ص٢٥٠-٢٥٢ ؛ ابن هشام ، السيرة ، ج١،ص١٤٥-١٤٦.

[٢٤١] علي ، المفصل ، ج٧ ، ص٢٩٠.

[٢٤٢] العقاد ، عباس محمود ، طوالع البعثة النبوية ، دار الهلال ، (القاهرة ، ١٩٦٨م) ص١٣٥.

وكان أهل مكة تجارا محايدين وعلاقتهم حسنة بالروم والفرس ، وكان من مصلحتهم الوقوف على الحياد والاستفادة من الموانئ القريبة منهم في التجارة مع الحبشة [٢٤٣] .

وهكذا اتسعت تجارة قريش فضلا عن القبائل العربية الأخرى ، وكان لها أثر في أسواق العرب الموسمية ، ولعّل من أشهر أسواق قريش في الداخل سوق دومة الجندل [٢٤٤] .

وكان التجار يفدون إليها من أنحاء نجد والحجاز وبلاد الشام ، وسوق حبشه في تهامة ، وسوق بدر ، وكانت من مواسم العرب تقام كل عام للتجارة ، وسوق بني قيُنقاع في يثرب ، إذ تتركز التجارة اليهودية وسوق الرابية في حضر موت وسوق صحار في عُمان وهي سوق دولية في العالم القديم على أن أهم أسواق قريش بعد مكة إنما كانت أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز [٢٤٥] .

وقد رتب العرب لهذه الأسواق مواعيد تنتهي عند الحج ، اذ كانوا يقيمون عكاظ من أول ذي القعدة حتى منتصفه ، فينتقلون الى مجنة حتى يتم الشهر ثم إلى ذي المجاز إلى يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة ، إذ

---

[٢٤٣] شريف ، مكة والمدينة ، ص٢٠٨ .

[٢٤٤] الافغاني ، اسواق العرب ، ص٢٧٩.

[٢٤٥] مهران ، الحضارة العربية القديمة ، ص ٣٠٥ .

يخرجون إلى عرفه ، وهنا تتوقف تجارتهم تقديسا لأيام الحج في عرفه ، وما زالوا على تحرجهم هذا حتى ظهر الإسلام فأباح لهم التجارة في الحج[٢٤٦] .

السيول في منطقة مكة :

تذكر المصادر التاريخية عددا من السيول التي اجتاحت مكة في أيام الجاهلية وفي العصر الإسلامي ، وهذا يدلّ على مقدار الأثر الذي يخلفه في تلك البقعة المقدسة ، حتى ان بعضهم يؤرخ بالحادثة المهمة التي رافقت حدوث سيل معين كقوله : " أيام سيل أم نهشل " الذي اقتلع مقام النبي إبراهيم (عليه السلام) ، وذهب به حتى وجد في أسفل الكعبة ، وكان هذا السيل في أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وهو أول السيول في زمن الإسلام حدث في سنة (١٧ هجرية / ٦٣٨ميلادية) .

وتشير المصادر إلى حدوث تسعة وعشرين سيلا ، منها اثنان في الجاهلية هما سيل فارة ، إذ دخل الماء إلى الحرم وأحاط بالكعبة وتسبب في فقدان عدد من الأرواح فضلا عن جرف الأشجار، مما حدا بخزاعة إلى بناء سدود (تحصينات) حول الكعبة ، وسيل أبا الجارود ، إذ هدمت الكعبة في مدة سدانة جرهم .

أما الـ (٢٧) سيلا الباقية فهي في مدة العصر الإسلامي ، بدأت بسيل أم نهشل سنة ١٧هـ وانتهت بآخر سيل سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م [٢٤٧].

---

[٢٤٦] عيسى ، احمد عبد الرحمن ، من جلالات سورة قريش ، (الرياض ، ١٩٧٧م)، ص١١٦

[٢٤٧] حديد ، احمد سعيد ، السيول في منطقة مكة المكرمة ، المجلة التاريخية ، من أصدارات الجمعية العراقية لتاريخ والآثار ، العدد ٣ ، سنة ١٩٧٤م ، ص٣٤٢ ،

اسلوب التوكيد في الأصول النحوية الثلاثة
(الكتاب ، والمقتضب ، والأصول في النحو)

المدرس الدكتور يوسف عبد القادر الحسني
كلية الآداب /
جامعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)

الملخص :

وقف البحث على مصطلح : التوكيد ، ومصطلح التعليل ، ومصطلح التأويل ، في كتب الأصول النحوية الثلاثة وهي : الكتاب لسيبويه " ت ١٧٥ هـ " ، والمقتضب للمبرد " ت ٢٨٥ هـ " والأصول لابن السرّاج " ت ٣١٦ هـ " .

وخلص إلى نتائج نجملها فيما يأتي :

على الرغم من أنَّ مصطلح التوكيد كان مستقرا لدى سيبويه ومحددا بالمفهوم المتعارف عليه ، فإنَّ ما يتعلق بيان مفهومه وأحواله واجرائه التطبيقي ، كان يفتقر الى الدقة في وضع المصطلح ، وهو ما خفّ لدى المبرد وتلاشى لدى ابن السراج الذي عني بضبط المصطلح ومفهومه واجرائه التطبيقي .

شغل سيبويه بإبراز العلل وكان موضوع التوكيد شاهدا على استغراقه في التعليل ، وحشد الشواهد وهو ما نجده بقلة عند المبرد وابن السراج .

اتفقت متون العلماء الثلاثة في إيراد الشواهد القرآنية والشعرية وما أثر من كلام العرب ، ولم نجد إلا القليل من شواهد الحديث النبوي الشريف .

لم يصرّح سيبويه بمصطلح التأويل وإن تضمن كتابه الاشارة اليه بألفاظ قريبة من دلالته ، على حين يصرح المبرد بمصطلح التأويل ، ويندر استعمال مصطلح التأويل عند ابن السراج فقد استُعمل معناه مرة واحدة في باب التوكيد .

المقدمة :

يزداد القارئ عطشا وشغفا بالمزيد من المعرفة وهو يتلقى نصوص النحو العربي ولا سيما في متونه القديمة , وذلك لأن تلك المتون لم تكن تأسيسا لعلم أخذ يزداد نموا وتعقيدا فحسب وإنما كانت علامة من علامات نضوج العقلية العربية الإسلامية وهي تتوجه إلى مفاتيح كل علم، ونعني بها اللغة لتعالج ظواهرها وتضع المعايير المناسبة التي تحدد أُطرها العامة وحدود استعمالها , فالتصنيف النحوي بلغ من النضوج في المتون المتقدمة ما جعله جديرا بأن يكون مكتملا فهو : " ذو طابعين نظري وتعليمي, لكن قد تتداخل هذه المستويات , فنجد الكتاب الواحد يطلق عليه انَّه تعليمي وانَّه نظري "[١] , ولا يعد التوافر على الجانب النظري والجانب التعليمي على الرغم من تداخل المستويات صفة للمتأخر من المدونات النحوية وإنما هو رديف

---

[١] التأليف النحوي بين التعليم والتفسير: ١٦٠.

نشوئها إذ تتجلى تلك الصفة في المؤلف للنحو وهو كتاب سيبويه[٢] وهو بحق يمثل خلاصة الفكر النحوي للمؤسسين من النحاة العرب كالخليل وشيوخه ومن عاصره ومن تتلمذ عليه [٣] .

وما يجعل لكتاب سيبويه أهمية استثنائية ؛ لأنَّه كان صورة تعكس طبيعة التواصل الاجتماعي لما سبقه وما عاصره من ظروف وطرق تواصل وليس كتاب مقاييس افتراضية مفرغة من الممارسة , إذ يرى الباحث ميخائل كارتر أنَّ سيبويه : " كان ينظر إلى الكلام على إنَّه شكل من أشكال السلوك الاجتماعي , بآية إنَّه يحاكم (صوابيته) محاكمة ثقافية ويطلق فيها أحكام أخلاقية فهو حسنٌ او قبيح ...الخ شأنه في ذلك شأن سائر أنواع السلوك... وأنَّ سيبويه كان يعالج موضوعه على إنَّه طريقة العرب في كلامهم"[٤].

أمَّا المقتضب فلا يقل أهمية في تاريخ التأليف النحوي عن كتاب سيبويه، إن لم يكن خطوة متقدمة باتجاه ترسيخ وظيفة التعليم والتفسير للظاهرة اللغوية بوصفها ممارسة اجتماعية ولكنه يظل متعلقا بكتاب سيبويه تعلق التلميذ بعلم استاذه وإن حاول الاضافة بالتفسير هنا أو باجتراح رأيٍ هناك وكثير ما تفسر عبارات المقتضب ما جاء في متن الكتاب والعكس صواب[٥].

---

(٢) المصدر نفسه, الموضع نفسه

(٣) منهج سيبويه في التقويم النحوي محمد كاظم البكاء :١٩.

(٤) التاليف النحوي بين التعليم والتفسير : ١٦٦.

(٥) ينظر : مقدمة المحقق ١/٥.

ولا تُخفى الأهمية المعرفية في الضبط والإضافة والتفسير في كتاب الأصول لابن السراج، الذي توافر على سمات تأليف متخصصة يتعمق في عرض المادة العلمية وإبراز محدداتها واستقصاء مقاييسها على نحوٍ يعزز الوظيفة التعليمية التي يركز فيها المؤلف على ضرب النماذج ومتابعتها ومحاولة ترسيخها بوصفها علما مستقرا, إذ يطغى الجانب التعليمي في كتاب الأصول لإبن السراج على الجانب التفسيري أو الانحياز إلى النظرية على حساب التطبيق متوافرا على خصائص النحو التعليمي المتمثلة في " أسلوب الحوار والمخاطبة , ووضوح العبارة واستقامتها , وذكر الشواهد الكاملة وإعرابها , وتحديد غريب الألفاظ وشرح دلالتها والتقليل ما أمكن من التقسيمات , ووضع إطار لكل منها , والتطبيق على المسائل النحوية بآيات قرآنية "[٦] ولكننا نجد في الأصول ما يفوق هذه الخصائص التعليمية ويقدم الدليل على طغيان النزعة العقلية ومحاولة التأصيل للمفاهيم والمصطلحات والقدرة على التعليل والتأويل على نحو يلزم الحجة بالقناعة البالغة وتلك من العلامات المميزة لهذا الكتاب المفصلي في تاريخ التاليف النحوي القديم .

أهمية التوكيد

شغل التوكيد موقعا مهما في التأليف النحوي بوصفه استجابة لحاجة دلالية واجتماعية في التواصل اللغوي المعبر عنه بالجملة في الاطار النحوي وهو من توابع الأسماء في إعرابها وهي خمسة حددها النحويون بـ " التوكيد

---

[٦] تعليم النحو العربي , عرض وتحليل , الدكتور علي ابو المكارم :١٦٧-١٦٨ (نقلا عن التاليف النحوي)٢٣٧.

والنعت وعطف البيان والبدل والعطف ... أربعة منها تتبع بغير متوسط, والخامس وهو العطف لا يتبع إلا بتوسط حرف , فجميع هذه تجري على الثاني ما جرى على الاول من الرفع والنصب والخفض " [٧]. ويعني التوكيد اصطلاحا " تابع يذكر لتأكيد الكلام الذي قبله, ودفع توهم ما لا يراد منه "[٨].

ولا نعدم أن نجد محاولات مبكرة للتعريف بالمصطلح وابراز المفهوم خارج دائرة هذه المتون إذ يعرف ابن جني التوكيد بالقول : " اعلم أنَّ التوكيد لفظ يتبع الاسم المؤكد , لرفع اللبس , وإزالة الاتساع . وإنما تؤكد المعارف دون النكرات , مظهرها , ومضمرها "[٩].

والتوكيد بلغة سيرل والتداوليين هو فعل كلامي مندرج ضمن صنف التقريرات , أو هو إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به , والشرط الافتراضي الذي تقوم عليه التقريرات هو امتلاك الأسس القانونية أو الأخلاقية التي تؤيد صحة محتواها , ولكن هناك فرق بين التوكيد والخبر الاعتيادي , ويتمثل بمعايير سيرل في درجة الشدة للغرض المتضمن في القول التي يزيد بها التوكيد عن الخبر الاعتيادي , مثبتا كان أو منفيا[١٠].

---

[٧] الاصول في النحو :١٩/٢.

[٨] اساسيات القواعد النحوية مصطلحا وتطبيقا , الدكتور محمود احمد السيد :٣٢٧.

[٩] اللمع في العربية ١٤١.

[١٠] ينظر : التداولية عند العلماء العرب ٢٠٧-٢٠٨.

أولا : مصطلح التوكيد :

بدايات التأليف النحوي، كحال أيةِ بدايات تمثل قدرا من الاختلال في النضوج الاصطلاحي والمفهومي، الذي يصح أن نصف المصطلح النحوي فيها بـ " الطفولة المبكرة "[١١]، وهذا ما أكده الدكتور صاحب أبو جناح في النظر إلى الجهد الاصطلاحي المبكر، فقد رأى أن سيبويه كان عاجزا عن وضع المصطلحات فأدى ذلك الى وضع بدائل لتلك المصطلحات وذلك في قوله :" فإننا نجد سيبويه عاجزا عن خلق مصطلحات لكثير من الأبواب النحوية المعروفة, فباب الفعل اللازم يترجم له سيبويه بعبارة باب الفاعل الذي لم يتعدّه فعله إلى مفعول"[١٢] ففي هذه المرحلة لم يستقر المصطلح بعد, وظلت المصطلحات وقتها أشبه بالعبارات الشارحة أو ذات التركيب المعقد على حد وصف الدكتورة ايناس الحديدي[١٣], وأكثر ما يتمثل هذا النوع من المصطلحات في كتاب سيبويه, من ذلك مثلا (باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى وما يعمل فيه) [١٤], أي المشتقات العاملة عمل الفعل .

وهناك من الباحثين من لم يقل بهذا إذ يرى الدكتور يوخنا مرزا الخامس، أن هناك مصطلحات مفردة ابتدعها سيبويه وولدت من رحم الكتاب مثل النعت والصفة والبدل والتوكيد . وهو موضوع بحثنا ...الخ وأستقر تداولها من زمنه الى يومنا هذا بالمصطلح نفسه التي وردت عليه في

---

[١١] المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث :١٣٨.

[١٢] من أعلام البصرة :١٠٤.

[١٣] المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث : ١٣٨.

[١٤] ينظر :الكتاب: ٩٣/١.

كتابــه[١٥]. ولابــد مــن مراعــاة مــا يبــرزه الاطــلاع علــى الكتــاب مــن إنَّ المصطلحات في وقت سيبويه كانت أقرب الى العبارات الشارحة بما يدلّ على صحة الرأي القائل بعجز سيبويه عن خلق المصطلحات ، ومما يؤكد هذا قول الدكتور يوخنا ميرزا نفسه حيث إننا نجد التناقض في آرائه في غير موضع من موسوعته حيث يقول : " ثمة مصطلحات نحوية **استعملت قبل سـيبويه** واسـتعملها هـو أيضـا علـى طريقـة وضـعهم لفظـا ومعنـى لتلـك المصطلحات مثل الاستثناء, واللغة, والتوكيد, والعطف وغيرها". [١٦] ويقول في موضع آخر من موسوعته:" قلنا أنَّ مصطلح التوكيد هو **من مصطلحات المرحلـة الشـفوية**, وبذا يكون المصطلح ولد مع ولادة النحو العربي"[١٧] , والمرحلة الشفوية هي المرحلة التي سبقت سيبويه، والدكتور يوخنا بهذا يقر بأن هذه المصطلحات وجدت قبل زمن سيبويه وليس هو من أوجدها وبذلك أرجح الرأي القائل بأنَّ صاحب الكتاب كانت مصطلحاته اقرب الى العبارات الشارحة التي لم يوفق في توصيلها للأذهان وهذا ما يراه الدكتور مازن المبارك في قوله :"يسعى سيبويه إلى الوضوح في عباراته , ولكنه لا يوفق في بعض الأحيان فيأتي قوله غامضا وعبارته مستغلقة تحتاج الى الشرح والتفصيل"[١٨] . هذا ويرد الدكتور عبد الرحمن ايوب عجز سيبويه عن

---

[١٥] ينظر : موسوعة المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار:١/٢٢٥.

[١٦] المصدر نفسه:١/ ٢٣٨.

[١٧] نفسه:١/٣٤٣.

[١٨] الرماني النحوي :١٩.

استخدام المصطلح إلى سببين أولهما : أن اللغة العربية لم تكن قد بلغت المرحلة التي يمكن أن تعبر فيها لغة علم

وثانيهما : إنَّه كان اجنبيا اكتسب العربية بالتعليم ومن ثم فقد كان يأتي في أسلوبه العام وتعبيراته الخاصة أحيانا بما يأتي به الأجنبي من لف ودوران أو لجوء إلى تركيب اسلوبي ليس مألوفا للقارئ[١٩].

وبتفحص المتون الثلاثة التي نحاول دراسة التوكيد فيها لم نجد للتأصيل الاصطلاحي أثرا يدل على عناية بتحديد المفهوم، الذي يدل عليه اصطلاح التوكيد، مع وجود المصطلح وتحديد ما يقع تحته من ظاهرة وما يؤديه من وظيفة وما يشغله من موقع اعرابي . ولكن غياب المعطى المفهومي لا يعني قصورا في الجهد العلمي ورسوخا ما دام هذا الجهد قد توصل الى تحديد المصطلحات ؛ " لان مبادئ العلوم تبنى على مصطلحاتها . فإن لم يتيسر لنا فهمها فهما دقيقا , فإن خللا ما , بدون شك سيقع في تحديد هذه المفاهيم وهذه المصطلحات"[٢٠] , ومصطلح التوكيد في **الكتاب** لسيبويه ورد بمعانٍ[٢١] منها :

١- **ما يكون توكيدا لما قبله** , فقال مستعملا إيّاه لـ (التوكيد اللفظي) من دون التصريح بذلك اللفظ ، لكن بتوضيح المعنى وكيفية

---

[١٩] ينظر : صعوبات اسلوبية في كتاب سيبويه :١٢٧.

[٢٠] المصطلح النحوي واصل الدلالة (دراسة ابستمولوجيا تأصيلية لتسمية المصطلحات النحوية من خلال الزمخشري) , الدكتور رياض عثمان : ١٧.

[٢١] ينظر : موسوعة المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار : ١/٣٠٣-٣٠٤.

تداولـه : " ... وذلـك قولـك : فيهـا زيـدٌ قائمـا فيهـا . فإنمـا انتصـب (قـائم) باستغناء زيد بفيها. وإن زعمت أنَّـه انتصب بـالآخر فكأنـك قلت : زيدٌ قائما فيها ، فإنما هذا كقولك قد ثبت زيدٌ أميرا قد ثبت , فأعدت قد ثبت توكيدا , وقد عمل الأول في زيد وفي الأمير. ومثله في التوكيد والتثنية : لقيت عمرا وعمرا . فإن أردت أن تلغي فيها قلت زيدٌ قائم فيها , كأنه قال زيدٌ قائمٌ فيها فيها ، فيصير بمنزلة قولك فيك زيدٌ راغب فيك"[٢٢] .

٢- **بمعنـى البـدل** : قـال سيبويه : "وذلـك قولـك : رأيـت قومـك أكثـرهم , ورأيـت بنــي زيـد ثلثـيهم , ورأيـت بنــي عمّـك ناسـا مـنهم , ورأيـتُ عبـد الله شخصه , وصرفت وجوهها أولها فهذا يجيء على وجهين : على أنَّه أراد : رأيت أكثر قومك , و(رأيت) ثلثي قومك , وصرفت وجوه أولها , ولكنـه ثنـي الاسم توكيدا"[٢٣] , وقد بيَّن بعض شراح الكتاب ان سيبويه قصد بمصطلح التوكيد (البدل)[٢٤] .

٣- **بمعنى المفعول المطلق** : بما أنَّ التوكيد هو : أحد أنواع المفعول المطلـق , فنجد أنَّـه أطلقـه عليـه مـن بـاب إطـلاق الجـزء علـى الكـل , قـال سيبويه : " وذلـك قولـك : لـه علـي ألـف درهـم عُرفـا ... وإنمـا صـار توكيـدا لنفسه ؛ لأنـه حين قـال : لـه علـيّ , فقد أقرَّ واعترف , وحين قـال : لأميلُ , عُلم انَّه بعد حلفٍ ، ولكنه قال : عُرفا وقسما توكيدا كما (أنـه إذا) قال :سير

---

[٢٢] الكتاب :٢/١٢٥.

[٢٣] الكتاب :١/١٥٠.

[٢٤] ينظر : النكت في شرح كتاب سيبويه: ١/٢٧٣.

عليه فقد علم أنَّه عُلم أنَّه كان سيْرٌ , ثم قال : سيرا توكيدا"[٢٥] ، فأطلق سيبويه في هذا الموضع من الكتاب مصطلح التوكيد على المفعول المطلق (سيرا) .

٤- **إطلاق التوكيد على الالفاظ التي تفيد التوكيد** : وجدنا سيبويه يطلق مصطلح التوكيد على ألفاظ وحروف دالة على التوكيد مثل : نوني التوكيد , وإنَّ , وما في أما . قال: "ومن مواضعها حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل ما للتوكيد وذلك لأنَّهم شبَّهوا ما باللّام التي في لتفعلنَّ , لمّا وقع التوكيد قبل الفعل ألزموا النون آخره كما ألزموه هذه اللّام"[٢٦] , وقال في توكيد (إنَّ) : " ... لأنَّ معنى إنَّ زيدٌ منطلقٌ, زيدٌ منطلقٌ , وإن دخلت توكيدا "[٢٧].

٥- **بمعنى الزَّائد** : وهو من المعاني المشهورة لمصطلح التوكيد , قال سيبويه :" وأمّا قوله عز وجل : "فبما نقضهم ميثاقهم"[٢٨]. فإنَّما جاء لأنَّه ليس لـ (ما) معنى سوى ما كان قبل أن تجيء إلّا التوكيد"[٢٩].

إذا ما فارقنا ميدانا يتعلق بتحديد المفهوم بعد ترسيخ المصطلح نحاول الولوج الى طبيعة التبويب لما يندرج تحت هذا الباب –التوكيد- في المتون الثلاثة ، وحيث لا نعثر على ضبط في التبويب يجمع المادة العلمية : أصولا

---

[٢٥] الكتاب : ٣٨٠/١.

[٢٦] المصدر نفسه : ٥١٤/٣- ٥١٥.

[٢٧] المصدر نفسه :١٤٤/٢.

[٢٨] المائدة : ١٣.

[٢٩] الكتاب : ١٨٠/١-١٨١.

وفروعا نظريةً ونماذج ووظائف ، في موضع واحد أو باب مستقلة في كتاب سيبويه وحين نطالعه نجد مصطلح **التوكيد** موزعا على مواضع متعددة اتخذت مواقع مختلفة في متن كتابه المطبوع بأجزاء خمس في النسخة التي حققها الدكتور عبد السلام هارون منها : (الفرق بينه وبين الصفة ، استعمال الصفة بمعنى التوكيد ، علة تسمية التوكيد , كراهية توكيد النكرة ، القطع في التوكيد ، ألفاظ التوكيد ، التوكيد بكل ما جرى مجرى ألفاظه كظهره وبطنه والأول والآخر والصغير والكبير ، أجمعون وتوكيد الضمائر المتصلة بها ، توكيد الضمائر المتصلة بها ، توكيد الضمير المتصل المجرور بالنفس وبكل ، توكيد المتصل المرفوع بالمنفصل ، توكيد جميع الضمائر المتصلة بضمير الرفع المنفصل ،لا يؤكد الظاهر بالمضمر ، توكيد ضمير رويدكم ،توكيد كاف إيّاك في التحذير بالمجرور ، كل وأجمع لا تؤكد بهما النكرة , قبح توكيد ضمير الرفع المتصل بالنفس إلا بعد التوكيد بالضمير ، التوكيد اللفظي ، التوكيد اللفظي في الظرف ، التوكيد اللفظي في القسم ، توكيد اسم إنَّ وأخواتها بعد ذكر الخبر ، توكيد المنادى). وهكذا يتقلب سيبويه في موضوع التوكيد ولم يفرد له بابا مستقلا بذاته وهذه طريقته في أغلب الموضوعات اللغوية التي أوردها في مصنفه وهي سمة البدايات دائما حيث لا يتبلور المنهج فيها .

وسار **المبرد** سيرة سيبويه في **عدم** التعريف **بمصطلح التوكيد** في المقتضب فلم نجد له منهجية واضحة ولا نراه مهتما بحده , لكننا وجدناه موردا كل ما يتعلق بالتوكيد على النهج نفسه الذي اتبعه سيبويه في الكتاب , وفي المقتضب ربما تكون المساحة في التوزيع فيه أقل مما وجدناه في

الكتاب، لكنها لم تخرج عن التعدد في المواضع وعدم جمع المادة في باب مستقل ، إذ ورد مصطلح التوكيد وموضوعاته في هذا المتن في الطبعة التي حققها محمّد عبد الخالق عضيمة مفرقة على النحو الآتي (التوكيد بالنفس للضمير المرفوع المستتر لا يكون إلا بعد توكيده ، لا يجوز مررت بزيد كله ، لا يجوز مررت بأخويك اثنيهما ، كان الاخفش لا يجيز اختصم أخواك كلاهما ولا اقتتل أخواك كلاهما , ولا استوى زيد وعمرو كلاهما , سمِّ التوكيد نعتا , كقولك : يا زيد لمن لم تقل له : يا زيد استغنيت . تقول للمقبل عليك المنصت لك : أنت تفعل كذا يا فلان توكيدا ، أجمع وأكتع معرفة ولا يكونان إلا نعتا , تجري (كلهم) مجرى أجمعين , وإنَّ كان(كلُّهم) قد يكون اسما وإن لم يكن جيدا , نحو رأيت كلهم , ومررت بكلّهم ، لا يلي العامل شيء من ألفاظ التوكيد وهو على حاله في التوكيد إلا جميعا وعامة مطلقا وإلا كُلا وكلا وكلتا مع الابتداء بكثرة ومع غيره بقلَّة , قبح جعل كلهم اسما , الخلاف في حذف المؤكد ، زيادة الباء في التوكيد) ، فلم يراعِ المبرد منهجية واضحة في التبويب لموضوع التوكيد شأنه في ذلك شأن كل الموضوعات اللغوية التي أوردها في مصنفه ، وزاد من هذا الإحساس لأنّ المبرد لم يهتم بكتابة طريقته في الترتيب قبل الشروع في الكتابة[٣٠]، وهذا الشي رأيناه عند سيبويه .

ووجدنا ابن السراج متسامحا باستعمال المصطلحات فعلى الرغم من كونه محسوبا على البصريين إلَّا أنَّه لم يتقيّد بمصطلحاتهم وهو بذلك يعدّ من المؤسسين للنحو التعليمي , فقد يخالف النحوي مدرسته التي ينتمي إليها على

---

[٣٠] ينظر : مناهج التبويب النحوي عند العرب : ٤٨.

سبيل تقريب ما يريد تقريبه الى المتلقي , ويأخذ برأي المدرسة الأخرى , وقد تساهل ابن السراج في مواطن كثيرة من كتابه في المصطلحات فاستعمل مصطلحات الكوفيين من دون ذكر مصطلح للبصريين , أو يذكر المصطلحين جنبا الى جنب تسهيلا على المتعلمين[٣١] , ومن المواضع التي تسامح فيها ابن السراج في المصطلحات في الأصول في النحو قوله : " وأعلم أنَّ الأشياء التي يسميها البصريون ظروفا يسميها الكسائي صفةً , والفراء يسميها محال"[٣٢]

وإذا ما تناولنا موضوع التوكيد نجد **إبن السراج يفرد** بابا مستقلة للتوكيد ضمن باب أوسع هو (توابع الأسماء في اعرابها) ، وإن كان هذا الباب لا يحيط إحاطة تامة بالتوكيد .

ففي كتاب الأصول لابن السراج الذي لا يخفى تقدمه في الضبط المنهجي والاصطلاحي وإضافته النوعية لما تختزله ذهنيته من تراث فقد استطاع ابن السراج أن يمنهج للنحو وهذا ما لم يستطع أستاذه المبرد أن يفعله حتى قيل : " ما زال النحو مجنونا حتى عقله ابن السراج"[٣٣] فقد جاء فيه التوكيد –كما أسلفنا– مجموعا على نحوٍ غالب باب أوسع هي (توابع الاسماء) وقد أحتل التوكيد موقع الصدارة إذ جاء في الأصول :" شرح الاول : وهو التوكيد : التوكيد يجيء على ضربين أمَّا توكيد بتكرير الاسم

---

[٣١] ينظر : التأليف النحوي بين التعليم والتفسير:٢٤١.

[٣٢] الأصول في النحو : ٢٠٤/١.

[٣٣] المنصف :٣٥٤.

وأمَّا أن يؤكد بما يحيط به " [٣٤]. فقصد ابن السراج بـ **مصطلح** (تكرير الاسم) هو التوكيد اللفظي , وأمَّا الضرب الثاني فقصد به التوكيد المعنوي .

وإذا ما نظرنا إلى ابن السراج قد عمد منذ البداية إلى تقسيم مصطلح التوكيد على ضربين ؛ ليدرج تحت كل ضرب ما يتصف به وهي محاولة منهجية وتعليمية ناضجة لا نكاد نعثر على مثيل لها في ما تقدم من المتنين السابقين .

ثانيا: شواهد النحو الخاصة بـ (التوكيد) في الكتاب والمقتضب والأصول في النحو:

الشاهد في معناه الاصطلاحي هو :" عبارة عما كان حاضرا في قلب الإنسان , وغلب عليه ذكره , فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم , وإن كان الغالب عليه الحق , فهو شاهد الحق "[٣٥] , وهو :"الدليل الذي يُعتمد عليه في الأخذ بقاعدة ما , ورفض اخرى , أو هو ما يذكر لإثبات قاعدة كلية , من كتاب أو سنة , أو كلام عربيٍّ فصيح "[٣٦] .

والدليل يقصد به ما يقدمه النحوي شاهدا على صحة قاعدته النحوية المستنبطة من لغة العرب السليمة شعرا كانت ام نثرا أو نفيها من المادة المحتج بها , قال علي أبو المكارم : " الاستشهاد ذكر الأدلة النصيّة المؤكدة

---

[٣٤] الاصول في النحو ١٩/٢.

[٣٥] التعريفات .

[٣٦] مصادر التراث النحوي :٧١.

للقواعد النحوية , أي التي تتبنى عليها هذه القواعد"[٣٧] , أو هي :"تلك الأقوال من نثرٍ أو شعرٍ أو قراءة قرآنية التي يحتج بها للقاعدة النحوية اطّرادا أو شذوذا "[٣٨] , فالاستشهاد هو توظيف اللغوي لمجموعة من الأقوال التي بلغت مستوى عالٍ من الفصاحة.

ونجد الشواهد كثيرة ومتنوعة في المتون الثلاثة التي نقف على دراسة موضوع التوكيد في بحثنا هذا , وتنقسم الشواهد الى شواهد **قرآنية** وشواهد **شعرية .**

نال **القرآن الكريم** اهتماما كبيرا وضبط نصه بحيث لا يرقى إليه أدنى ريب , وأصبح المثل الأعلى إليه يفزع الفقهاء , ومنه يأخذ علماء اللغة شواهدهم التي يبنون عليها قواعدهم وأصولهم , وكان **سيبويه من أكثر النحاة تمسكا بالشاهد القرآني** وأجلالا وكان يضعه في المرتبة الأولى لأنَّه أبلغ كلام نزل و أوثق نص وصل ولأنَّه يمثل العربية الأصلية , الأساليب الرفيعة , ويخاطب العرب بلغتهم وعلى ما يعنون[٣٩] , ونحن في صدد إيراد بعض الشواهد القرآنية التي استدل عليها سيبويه في بيان صحة قاعدته النحوية في باب التوكيد ومن ذلك قوله في باب أسماه :(هذا باب ما يحسن أن يشرك المظهر المضمر فيما عمل وما يقبح أن يشرك المظهر المضمر فيما عَمِل فيه) : " فان نعته أن يشركه المظهر , وذلك قولك : ذهبت أنت

---

[٣٧] أصول التفكير النحوي :٢١٩.

[٣٨] النحو العربي شواهده ومقدماته :٤١.

[٣٩] ينظر : الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: ٣١.

وزيدٌ , وقال الله عز وجل :"**اذهب أنت وربك**"[٤٠] و :"**اسكن انت وزوجك الجنة**"[٤١]. وذلك انَّك لمَّا وصفته حسُن الكلام حيث طوَّله وأكَّده"[٤٢]. ويذكر سيبويه شاهدا قرآنيا آخر لتعزيز وتقوية قاعدته النحوية في مجال التوكيد ومن ذلك استشهاده في (باب ما يكون محمولا على إن فيشاركه فيه الاسم الذي وليها ويكون محمولا على الابتداء) حيث قال:" فأما الوجه الحسن فأن يكون محمولا على الابتداء , لأن معنى إن زيدا منطلقٌ , وأنَّ دخلت توكيدا , كأنه قال : زيدٌ منطلقٌ وعمرو . وفي القرآن مثله : "**إنَّ الله بريء من المشركين ورسولهُ**"[٤٣]"[٤٤]. ومن امثلة استشهاد سيبويه في القرآن الكريم فيما يخص التوكيد ما ذكره في باب :(البدل) :"فأما نفسه حين قلت : رأيته إياه نفسه , فوصف بمنزلهِ هو , وإياه بدلٌ , وإنما ذكرتهما توكيدا , كقوله جل ذكره:" **فسجد الملائكة كلهم اجمعون**"[٤٥] إلَّا أنَّ إيَّاهُ بدلٌ والنفس وصفٌ , كأنك قلت : رأيت الرجل زيدا نفسه , وزيدٌ بدلٌ ونفسه على الاسم"[٤٦].

---

[٤٠] المائدة :٢٤.

[٤١] البقرة:٣٥, الاعراف :١٩.

[٤٢] الكتاب :٣٨٧/٢.

[٤٣] التوبة : ٣.

[٤٤] الكتاب : ١٤٤/٢.

[٤٥] الحجر :٣٠.

[٤٦] الكتاب : ٣٧٨/٢.

أمّا **المُبرِد** في المقتضب فقد انتهج نهج سيبويه في **الاستشهاد بالآيات القرآنيــة** ومـن ذلـك قولـه :" ... وإن شـئت أجريتهمـا جميعـا علـى الكـاف فخفضته , وإن شئت أكدت و ورفعتهما لما ذكرت لك قبح مجرى النفس في المرفوع إلّا بتوكيد , وإن شئت رفعت بغير توكيد على قبح , وإن قلت : رويد نفسك , أو رويدك – جعلت النفس مفعولة بمنزلة زيد , كما قال الله عز وجل :" **عليكم أنفسكم** "[٤٧]"[٤٨]. ومن أمثلة استشهاد المبرد بالآيات القرآنية في مجال التوكيد قوله:" واعلم أن الأسماء ما كان منها مصدرا , أو موضوعا موضع المصدر – فإنَّ فيه الفاعل مضمرا , لأنَّه كالفعل المأمور به. تقول : رويدك أنت وعبد الله , وعليك أنت وعبد الله أخاك . فإن حذفت التوكيد قَبُح , وإعرابه الرفع : قم وعبد الله كان جائزا على قبح حتى تقول : قم أنت وعبد الله , و " **فاذهب أنت وربك فقاتلا**"[٤٩] و"**اسكن أنت وزوجك الجنة**"[٥٠]"[٥١].

ونجد **ابـن السـراج** فـي كتابـة الأصـول فـي النحـو يستشـهد **بالنصـوص القرآنيــة** المقدسـة وذلـك لإثبـات القواعـد النحويـة التـي يوردهـا ومـن أمثلـة استشـهاده بهـا فـي بـاب التوكيـد الـذي أفرده فـي مصـنفه قولـه:" وأمَّـا الحـروف فنحـو قولـك : فـي الـدار زيـد قـائم فيهـا , فتعيـد فيهـا "توكيـدا" وفيك زيدٌ راغبٌ

---

[٤٧] المائدة :١٠٥.

[٤٨] المقتضب :٣/٢١١.

[٤٩] المائدة ٢٤.

[٥٠] البقرة :٣٥.

[٥١] المقتضب :٣/٢١٠.

و وقال الله عز وجل :" **وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها**" [٥٢]"[٥٣].
ومن أمثلة ذلك أيضا قوله :" فأما قوله عز وجل :" **قل إن الأمر كلّه لله**"[٥٤]
فالنصب على التوكيد للأمر , والرفع على قولك : إن الأمر جميعه لله"[٥٥].

أمَّا ما يخص **الشاهد الشعري** فنجد **سيبويه** قد استشهد في كتابه بألف وخمسين بيتا , قال الجرمي :"نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتا , فأما الألف فعرفت أسماء قائليها , وأما الخمسون فلم اعرف قائليها"[٥٦] ، وعُدّت شواهد سيبويه الشعرية قديما كما تعدّ حديثا أصح الشواهد , ويكفي أن يقال في البيت الشعري أنَّه من شواهد سيبويه في الكتاب , ليعتبر ثقة ويؤخذ به في مختلف علوم العربية لا في النحو واللغة وحدهما , وذلك لثقتهم بسيبويه وتأكدهم من صدقه وأمانته وعدالته[٥٧] . ومن **أمثلة استشهاد سيبويه بالشواهد الشعرية** فيما يخص موضوع **التوكيد** ما ذكره في باب (ما يكون معطوفا على الفاعل المضمر في النية ويكون معطوفا على المفعول , وما يكون صفة المرفوع المضمر في النية ويكون على المفعول) إذ قال :" ولو قلت : إياك الاسد , تريد من الأسد , لم يجز كما جاز في أن , إلَّا أنَّهم زعموا أنَّ ابن إسحاق أجاز هذا البيت في الشعر :

---

[٥٢] هود :١٠٨.
[٥٣] الأصول في النحو : ١٩/٢-٢٠.
[٥٤] آل عمران :١٥٤.
[٥٥] الأصول في النحو :٢٣/٢.
[٥٦] طبقات النحويين للزبيدي: ٧٧.
[٥٧] ينظر : الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه :١١١.

إيّاك إيّاك المراء فإنّه إلى الشر دعاءٌ وللشّرّ جالبُ

كأنـه قـال : إيّـاك و ثـم أضـمر بعـد إيّـاك فعـلا آخـر , فقـال : اتّـق المراء"[٥٨].

ويذكر سيبويه في بعض الاستشهادات الشعرية التي يستند إليها في إثبات قاعدته النحوية أنَّه سمعه ممن يثق بعربيته ومن الفصحاء الثقات إذ قال في باب (ما عمل بعضه في بعض وفيه معنى القسم) :" وذلك قولك : لعمر الله لأفعلنّ , وأيم الله لأفعلنّ , **وبعض العرب يقول** : أيمن الكعبة لأفعلنّ , كأنه قال :لعمر الله المقسم به ... **سمعنا هكذا من العرب . وسمعنا فصحاء العرب يقولون** في بيت امرئ القيس:

فقلتُ يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسي لديك و أوصالي

جعلوه بمنزلة أيمن الكعبة وأيم الله , وفيه معنى الذي فيه . وكذلك أمانة الله "[٥٩].

أمَّا المبرد فقد أكثر من الاستشهاد بالأبيات الشعرية في مقتضبه فلم يخلُ موضوع من الموضوعات اللغوية التي أوردها من استشهاد شعري ومن أمثلة ذلك في موضوع التوكيد قوله :"فإن قلت : فانت تقول :كلاهما منطلق فـ(كلا) لا يكون إلا لاثنين .... كما قال الشاعر :

أكاشِرُهُ وأعلم أن كلانا على ما ساء صاحبه حريصُ "[٦٠].

---

[٥٨] الكتاب :٢٧٩/١.

[٥٩] الكتاب :٣/ ٥٠٢ – ٥٠٤ .

[٦٠] المقتضب :٢٤١/٣.

ومن أمثله استشهاد المبرد بشواهد الشعر في إثبات التوكيد بالقسم فضلا عن التوكيد بلفظ (بعينه) مما أوضحه المحقق عضيمة في الهامش قوله : "ومثله قوله :

هذا – لعمرك – الصغار بعينه لا أم لي إن كان ذاك ولا أبُ"[٦١].

أما ابن السراج فنجد لديه ميزة بالاستشهاد بالأبيات الشعرية التي يوردها في كتاب الأصول في النحو فهو يعمد على تفسير الألفاظ الغامضة ويبين معانيها كما يشرح الشواهد الشعرية , وقد وردت بعض الشواهد الشعرية بروايات مختلفة بإشارة منه إلى ذلك وكان يضع أحكام خاصة به على الشواهد الشعرية , ولم يكن مرددا لسابقيه من أئمة النحو بل نجده معارضا لهم في أكثر المواضع وهو بهذا جعل له رأي مستقل في هذا المجال[٦٢] ومن الشواهد الشعرية التي استدلّ عليها في إثبات قاعدته النحوية في باب التوكيد قوله :" ... وفي كل كلام تريد تأكيده , فأما الفعل فتقول : قام عمرو ,قام , وقم قم , واجلس اجلس , قال الشاعر :

ألا فأسلمي ثم أسلمي ثمت أسلمي ثلاثُ تحيَّاتٍ وإن لم تكلمي"[٦٣].

ثالثا: التعليل في الكتاب والمقتضب والأصول في النحو:

كانت لغة العرب الأوائل وقبل شيوع اللحن لغة رصينة فتجدهم يتكلمون على السليقة , طبعا لا تعليما وتلقينا، لكن مع انتشار اللحن احتاج العرب

---

[٦١] المصدر نفسه :٣٧١/٤.

[٦٢] الأصول في النحو :١/ ١٧٥-٣٥٤

[٦٣] المصدر نفسه : ١٩/٢.

الى الاستقراء في اللغة [٦٤] . ولما وقع اللحن في القران الكريم كان أثره عليهم شديدا فعمدوا إلى إعرابه وضبط تنقيطه، وقد أطالوا مراقبة أواخر الكلمات ، وربما اختلفوا فيها وتجادلوا عندها ، وطول هذه المراقبة هداهم إلى الكشف عن سر من أسرار العربية وهو أن هذه الحركات ترجع إلى علل ، فسموا ما كشفوا (علل الإعراب)[٦٥] .

وبهذا : "كانت نشأة التعليل إذن استجابةً لظروف وبواعث عربية و إسلامية معا ، دون تأثير خارجي غير عربي"[٦٦] . وكذلك فإن نشأة التعليل النحوي كانت مرافقةً لنشأة النحو متزامنةً معه ، يقول الدكتور صاحب أبو جناح : "إن عملية بناء النحو ونشأته رافقتها نشأة العلل التي يفسر بها النحاة الظواهر اللغوية والنحوية ويردون بها على تساؤلات الدارسين للغة ونصوصها والمعنيين بأمرها" [٦٧] .

قال سيبويه :"وليس شيء مما يضطرون إليه , إلّا وهم يحاولون به وجها" [٦٨] ويبدو أنَّ سيبويه أخذ هذا الزعم عن أستاذه الخليل الذي سئل ذات مرة : أعن العرب أخذت هذه العلل أم اخترعتها نفسك ؟ فأجاب : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها , وعرفت مواقع كلامها , وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها . وعللت بما عندي أنَّه علة لما عللته منه , فإن اكن

---

[٦٤] ينظر : مكانة الخليل بن احمد في النحو الغربي :٨٥.

[٦٥] ينظر : احياء النحو :١٠-١١.

[٦٦] أُصول التفكير النحوي : ٦٢.

[٦٧] من اعلام البصرة ,سيبويه:١٠٠.

[٦٨] الكتاب : ٣٢/١.

اصبت العلة فهو الذي التمست , وان يكن هناك علة غير ما ذكرت , فالذي ذكرته محتمل أنه علة ... فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرت بالمعلول فليأت بها[٦٩].

قال ابن جني :" أعلم أنَّ علل النحويين أقرب إلى علل المتكلمين , منها إلى علل المتفقهين , وذلك أنَّهم إنَّما يحيلون إلى الحس , ويحتجون فيه بثقل الحال , أو خفتها على النفس , وليس كذلك علل الفقه ؛ لأنَّها إنَّما هي أعلام أمارات , لوقوع الأحكام , وكثير منه لا يظهر فيه وجه الحكمة كالأحكام التعبدية بخلاف النحو , فإن كله أو غالبه مما تدرك علته , وتظهر حكمته"[٧٠].

وعرّفها الجرّجاني بقوله : " هي ما يتوقف عليه وجود الشّيء ويكون خارجا مؤثرا فيه " [٧١]

والعلة أقسام ذكرها أبو عبد الله الدينوري الجليس في كتاب الصناعة وأوردها السيوطي في اقتراحه :"اعتلالات النحويين صنفان : علة تطرد على كلام العرب , وتنساق إلى قانون لغتهم . وعلة تظهر حكمتهم , وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعات همز وهم للأولى أكثر استعمالا , وأشد تداولا , وهي واسعة الشعب إلا أن مدار المشهورة منها على أربعة وعشرين نوعا : وهي : علة سماع , وعلة تشبيه , وعلة استغناء ,

---

[٦٩] ينظر : الأصول (دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب):١٦١-١٦٢.

[٧٠] الخصائص :٤٨/١.

[٧١] التعريفات :٨٨.

وعلة استثقال , وعلة فرق , وعلة توكيد , وعلة تعويض , وعلة نظير , وعلة نقيض , وعلة حمل على المعنى , وعلة مشاكلة , علة معادلة , وعلة قرب ومجاورة , وعلة وجوب , وعلة جواز , وعلة تغليب , وعلة تغليب , وعلى اختصار , وعلة تخفيف , وعلة دلالة حال , وعلة أصل , وعلة تحليل , وعلة إشعار , وعلة تضاد, وعلة أولى"[٧٢].

فما نكاد نلم بعصر سيبويه حتى نجد قواعد النحو قد وضعت وتأصلت وبُنيت عللها فرسخت في الأذهان ومن أمثلة العلة عنده ذكره في (باب ما جرى مجرى كم في الاستفهام) ان (كأين) تجري مجرى كم على ما زعمه يونس وقال : ((الا ان اكثر العرب يتكلمون بها مع (من) قال عز وجل ((وَكَأَيِّنْ مَنْ قَرْيَةٍ)) [٧٣] . وقال عمرو بن شأس [٧٤]

وكأَيَّن رَدَدنا عنكم مِن مُدجّجٍ   يجيءُ امامَ الألفِ يَردِي مقنّعا)) [٧٥]

وقد علل ذلك سيبويه قائلا : " فإنّما الزموها (من) لأنها توكيد ، فجعلت

كأنها شيء يتم به الكلام ، وصار كالمَثَل . ومثل ذلك : ولا سيما زيد ، فرب توكيد لازم حتى يصير كأنه من الكلمة "[٧٦].

---

[٧٢] الإقتراح :١٧٥،١٧٦.

[٧٣] الحج : ٤٨.

[٧٤] شعر عمرو بن شأس : ٣٨.

[٧٥] الكتاب :١٧٠/٢.

[٧٦] الكتاب :١٧١/٢.

فكأيِّن الزمت (من) توكيدا مثلما الزمت (سي) (ما) توكيدا في قولهم : لا سيما زيدٍ ، فسيبويه هنا استعمل التوكيد علة وهي ضرب من العلل التي تطرد على كلام العرب وتنساق الى قانون لغتهم والتي صنفها الدينوري الجليس على أربعة وعشرين ضربا [٧٧] ، وقد شرحها التاج بن مكتوم قائلا : " وعلة توكيد مثل إدخالهم النون الخفيفة والثقيلة في فعل الامر لتأكيد ايقاعه " [٧٨].

ومن أمثلة التعليل عند سيبويه علة فتح فعل الأمر اذا اتصلت به نون التوكيد : فعل الأمر إذا باشرته نون التوكيد الخفيفة او الثقيلة حرك بالفتح[٧٩]. قال سيبويه :" اعلم أنَّ فعل الواحد إذا كان مجزوما فلحقته الخفيفة والثقيلة حركت المجزوم ، وهو الحرف الذي اسكنت للجزم " [٨٠]. وذكر سيبويه علة ذلك بقوله : " لأن الخفيفة ساكنة ، والثقيلة نونان الأولى منها ساكنة ، والحركة فتحة ، ولم يكسروا فيلتبس المذكر بالمؤنث ، ولم يضموا فيلتبس الواحد بالجميع . وذلك قولك : اعلَمَن ذلك ، واكرِمَن زيدا ، وامَّا تكرِمَنَّه اكْرِمهُ "[٨١].

---

[٧٧] الاقتراح :٧٠.

[٧٨] المصدر نفسه :٧١.

[٧٩] ينظر : شرح التصريح :٣٠٨/٢.

[٨٠] الكتاب :٥١٨/٣.

[٨١] الكتاب :٥١٨/٣-٥١٩.

ومن امثلة التعليل عند سيبويه علة رفع المضارع : فقد أجمع النحويون على أنَّ الفعل المضارع إذا تجرد من الناصب والجازم وسلم من نوني التوكيد والإناث كان مرفوعا ، وانما اختلفوا في علة رفعه[٨٢] .

فذهب سيبويه إلى أن علة رفعه هي وقوعه موقع الاسم ، إذ يقول : "اعلم أنها إذا كانت في موضع أسم مبتدأ أو اسم بني على مبتدأ ، أو في موضع أسم مرفوع غير مبتدأ ، ولا مبني على مبتدأ ، أو في موضع اسم مجرور أو منصوب ، فإنها مرتفعة ، وكينونتها في هذه المواضع ألزمتها الرفع وهي سبب دخول الرفع فيها . وعلته : إن ما عمل في الاسماء لم يعمل في هذه الأفعال على حد عمله في الاسماء كما أن ما يعمل في الأفعال فينصبها أو يجزمها لا يعمل في الأسماء . وكينونتها في موضع الاسماء ترفعها كما يرفع الاسم كينونته مبتدأ" [٨٣].

فالفعل المضارع إذا وقع موقع الاسم بأن كان في موضع مبتدأ أو خبر ، في نحو : يقول زيد ذاك وزيد يقول ذاك ، أو في موضع اسم لا مبتدأ ولا خبر في نحو : مررت برجل يقول ذاك ، أو في موضع اسم مجرور أو منصوب ، فانه يرتفع وكينونته في هذه المواضع هي التي ألزمته الرفع ، وهي سبب رفعه " ولم يكتفِ سيبويه بأن يبين سبب رفع الأفعال المضارعة ... وإنَّما يريد أن يبين علة هذه العلة وهي أن ما عمل في الأسماء لا يعمل في الأفعال كما أن ما يعمل في الأفعال لا يعمل في

---

[٨٢] ينظر : أوضح المسالك : ١٤١/٤.

[٨٣] الكتاب :٩/٣-١٠.

الأسماء ، لأن الحرف لا يعمل إلا إذا كان مختصا فإذا كان عاملا في أحدهما لم يعمل في الآخر " [٨٤].

ومن أمثلة التعليل عند سيبويه في موضوع التوكيد علة بناء المضارع على الفتح إذا اتصلت به نون التوكيد : يُبنى الفعل المضارع على الفتح إذا باشرته نون التوكيد الخفيفة او الثقيلة[٨٥]. وقد ذكر سيبويه علة بنائه على الفتح بقوله : " وإذا كان فعل الواحد مرفوعا ثم لحقته النون صيَّرتَ الحرف المرفوع مفتوحا لئلّا يلتبس الواحد بالجميع ، وذلك قولك : هل تفعلن ذاك ، وهل تخرجن يازيد " [٨٦] .

وذلك يعني ان الفعل المضارع إذا اتصلت به نون التوكيد الخفيفة او الثقيلة بني معها على الفتح ؛ لأنه لو ضم لالتبس الواحد بالجميع في نحو : لا تضربُنَّ ، ولو كسر لالتبس بفعل المؤنث في نحو : لا تضرِبِنَّ ، فلذلك اختير فتحه .

ومن أمثلة التعليل عند سيبويه فيما يخص التوكيد تناوله علة لحاق الكاف رويدا : فذكر ان رويدا تلحقها الكاف وهي في موضع (إفعل) أي إذا كانت أسم فعل أمر ، وذلك نحو : رويدك زيدا ، ورويدكم زيدا ، والعلة في ذلك عنده هي ان هذه الكاف : " إنَّما لحقت لتبيين المخاطب المخصوص لأنَّ رويد تقع للواحد والجميع ، والذكر والأنثى ، فإنَّما أدخل

---

[٨٤] مدرسة البصرة :٢٧٠.

[٨٥] ينظر : شرح الأشموني : ٣٣/١ ، شرح التصريح : ٥٢/١

[٨٦] الكتاب :٥١٩/٣.

الكاف حين خاف التباس من يعني بمن لا يعني ، وإنما حذفها في الأول استغناء بعلم المخاطب إنه لا يعني غيره . فلحاق الكاف كقولك : يا فلان للرجل حتى يقبل عليك ، وتركها كقولك للرجل : أنت تفعل ، إذا كان مقبلا عليك بوجهه منصتا لك فتركت يا فلان حين قلت : انت تفعل استغناءً بإقباله عليك . وقد تقول أيضا : رويدك لمن لا يخاف ان يلتبس بسواه توكيدا كما تقول للمقبل عليك المنصت لك انت تفعل ذاك يافلان توكيدا "[٨٧] . وقال سيبويه في موضع آخر : " وانما جاءت هذه الكاف توكيدا وتخصيصا " [٨٨] .

وهذا يعني أنَّ رويدا لما كانت تقع للواحد والجمع ، والذكر والأنثى ، ألحقوها الكاف إذا خاف المخاطب التباس من يعني بمن لا يعني ، فإذا لم يخف الالتباس حذفها استغناء بعلم المخاطب أنَّه لا يعني غيره . ومع هذا فقد تلحقها الكاف على الرغم من عدم خوف الالتباس لمجرد التوكيد . وقد شبه سيبويه رويدا هنا بالنداء ، فإذا خاف المنادي التباس من يعني بمن لا يعني ناداه باسمه (يا فلان) اما إذا انصت له وأمن خوف الالتباس ترك (يافلان) استغناءً يعلم المخاطب انه لا يعني غيره .

وكان المبرد يعدّ العلة رديف الحكم النحوي لا تفارقه ولا ينبغي لها في اعتقادهم أن تفارقه [٨٩] . فكان من الذين اهتموا بالتعليل حتى كانت المطالبة بالتعليل هي السلاح الذي شهر في مناقشاته مع الزجاج(ت ٣١١ هـ) ومن

---

[٨٧] الكتاب : ٢٤٤/١.

[٨٨] المصدر نفسه :٢٤٥/١.

[٨٩] ينظر : الشاهد و أصول النحو في كتاب سيبويه :٣١٩.

معه في حلقة أستاذه ثعلب ، وهو في خلافاته مع سيبويه في كثير من المسائل لم يكن فيها كلها حول الحكم النحوي إنما كان في كثير منها حول علة ذلك الحكم ، ووافقه في بعضها في الحكم وخالف في علته [٩٠].

ومن أمثلة التعليل عند المبرد في موضوع التوكيد هي علة عدم جواز توكيد الضمير المتصل المرفوع بالنفس أو العين إلا بعد تأكيده بالضمير المنفصل ذلك في قوله : " وكذلك ما نعتهُ بالنفس في المرفوع . إنما يجري على توكيد فان لم تُؤَكِّد جاز على قُبْح . وهو قولك : قم أنت نفسُك . فان قلت : " قم نفسُك " جاز . وذلك قولك: رُوَيْدك أنت نفسُك زيدا ، وعليك أنت نفسُك زيدا "، و" دونك أنت نفسُك زيدا " ، والحذف جائز قبيح اذا قلت : رويدك نفسُك زيدا" [٩١] . ويفهم من علة المبرد ان كلا من (النفس ، والعين) لما كانت لا تلي اِلا العوامل ، أي أنَّ العوامل تعمل فيها لا بحكم التبعية ، بل يكونان فاعلين ومفعولين ومضافين وذلك إنَّهما لم يتمكنا في التأكيد بل الغالب عليهما الاسمية ، فنقول : " طابت نفسه " ، و" صحّت عينه"[٩٢]. فلما لم يكن التأكيد فيهما ظاهرا فكانا في الغالب عليهما الأسمية لم يحسن تأكيد المضمر المرفوع المتصل بهما لأنه يصير لعدم ظهور التأكيد فيهما كالنصب وعطف البيان ، فقُبح لذلك كما قُبح العطف عليه من غير تأكيد ، فضلا عن إنَّ التأكيد بهما من غير تقدم ربما أوقع لبسا في نحو: "هند ضربت نفسها" ، لم يعلم أرُفِعَتْ (نفسها) بالفعل ، أم جعلت في الفعل ضميرا

---

[٩٠] ينظر : الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه : ٣١٩ .

[٩١] المقتضب : ٢/٢١٠-٢١١.

[٩٢] ينظر : علل النحو: ٥٣٢.

لـِ (هنـد) واكدتـه ، فـاذا قلـت : " هنـد ضـربت هـي نفسـها " ، حَسُـن لأمـن اللبس[٩٣].

أما ابن السراج فقد أهتم بالعلة النحوية في حديثه عن التوكيد فقد علل أن المصـادر المنصوبة لم يكن فيها أكثر من التوكيد فإذا قلت سير بزيد (سيرا) فالوجه في (سير) النّصب لأنّه لم يفد إلا التوكيد ، فإن وصف المصدر كأن تقول : شديدا أو هينا ، فالوجه الرفع فيه ؛ لأنّ نعته يقرّبه من الأسماء وتحصل فيه فائدة ، لم تكن في سير ، والظروف بهذه المنزلة ، فإذا قلت : سير بزيد مكانا أو يوما لكان الوجه النصب [٩٤].

وفي موضع آخر يعلل ويقول : " مررت بزيد كل الرجل لم يجز إلا ضعيفا ، لأنّ زيدا اسم علم وليس فيه تقريظ ولا تخسيس وكذلك : مررت برجلٍ كلِّ رجلٍ ، وبعالم حق عالمٍ ، وبتاجر خير تاجرٍ فجميع هذا ثناء مؤكد وليس بنعت يخلص واحدا من الآخر "[٩٥].

رابعا : التأويل النحوي في الكتاب والمقتضب والأصول في النحو :

التأويل : لفظة يعرف معناها وفحواها من خلال موقعها وطبيعة استعمالها ، وقد وَجَدَتْ مكانا لها في المجالات التي كانت اللغة أساسها ومحور بحثها . وإذا تصفحنا كتاب الله العزيز وجدنا أن اللفظة وردت في

---

[٩٣] ينظر: شرح الرضي على الكافية: ١٨٢/٣.

[٩٤] ينظر : الأصول في النحو :٨٠/١.

[٩٥] المصدر نفسه:٢٢/٢.

عدّة مواضع بدلالات متنوعة[٩٦] ، فمعنى التأويل في قوله تعالى : { **وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**}[٩٧] ؛ هو تعبير الرؤيا[٩٨] ، وفي قوله تعالى : { **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**}[٩٩] ؛ بمعنى العاقبة والمآل[١٠٠]، وفي قوله تعالى : { **وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا** }[١٠١]؛ بمعنى تحقيق الرؤيا[١٠٢]، وفي قوله تعالى: {**قَالَ لا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا**}[١٠٣]؛ أي: ألوان الطعام قبل أن يأتيكما ، وفي قوله تعالى : { **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**}[١٠٤] ؛ بمعنى: تفسير ما يؤول إليه .

وللتأويل في مصنفات العلماء أكثر من حدٍّ ومعنى، وذلك على حسب ما صنف من أصناف العلوم ونوعه ؛ فهو في اصطلاح المفسرين : " تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره أو خالفه "[١٠٥].

---

[٩٦] ينظر : التأويل النحوي عند ابن هشام الأنصاري : ١١.

[٩٧] سورة يوسف : من الآية٦.

[٩٨] ينظر : الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : ١٣١ وتفسير ابن كثير: ٤٨٦/٢.

[٩٩] سورة الأعراف: من الآية٥٣.

[١٠٠] ينظر : الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : ١٣١ وتفسير ابن كثير: ٥٠٩/٢.

[١٠١] سورة يوسف : من الآية١٠٠.

[١٠٢] ينظر : الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : ١١٨ والكشاف: ٣٤٨/٢ .

[١٠٣] سورة يوسف : من الآية٣٧ .

[١٠٤] سورة آل عمران : من الآية٧ .

[١٠٥] ينظر : التفسير والمفسرون : ١٧/١.

وذهب الدكتور محمّد عيد إلى أن التأويل النحوي هو : " صرف الكلام عن ظاهره إلى وجوه خفية تحتاج لتقدير ، وتدبر"[١٠٦]. وبيّن المسوغات التي يلجأ إليها النحويون إلى التأويل ، فيقول : "وإن النحاة قد أوّلوا الكلام ، وحرّفوه عن ظاهره لكي يوافق قوانين النحو ، وأحكامه "[١٠٧].

هناك مجموعة من الألفاظ التي تستعمل في الدراسات النحوية، ويراد بها معنى التأويل النحوي منها : التقدير والحمل والمعنى والتخريج وغيرها[١٠٨].

وإذا ما اتجهنا بالبحث عن استعمال مفهوم التأويل في متون التأليف النحوي الأولى المتمثلة في الكتاب والمقتضب والأصول نجد له جذور في صفحات تلك الكتب انعكست عن ذهنية مؤلفيها فهم لم يغفلوا شيئا من علوم العربية إلّا وطرحوه في بحوثهم , ورؤاهم هي التي أسست لتأليف النحو وبناء قواعده .

ومن أمثلة ورود معنى التأويل ضمنا عند سيبويه في موضوع التوكيد : " وتقول : قد جربتك . فوجدتك أنت أنت , فأنت الأولى مبتدأةٌ , والثانية مبنية عليها , **وكأنك قلت** : فوجدتك وجهك طليقٌ. **والمعنى أنّك أردت أن تقول** : فوجدتك أنت الذي أعرف" [١٠٩]. فتجد معنى التأويل مذكور في

---

(١٠٦) أصول النحو العربي : ١٨٥.

(١٠٧) المصدر نفسه .

(١٠٨) التأويل النحوي عند ابن هشام الانصاري : ١٢.

(١٠٩) الكتاب : ٣/٣٥٩.

قوله لكن دون التصريح بذكر مصطلح التأويل او التقدير والتخريج وتجده ذاكرا لفظ (المعنى) الذي يحمل بين طياته دلالة : الحمل على المعنى , وهو نوع من أنواع التأويل .

وذُكِر ايضا معنى التأويل ضمنا في قول سيبويه : " ومثل ذلك : أنت أنت , وإن فعلت هذا فأنت انت , **أي فأنت الذي أعرف , أو أنت الجواد والجلد, كما تقول : الناسُ الناسُ , اي الناس بكل مكان وعلى كل حال كما تعرف**" [١١٠].

وكذلك قوله :" وتقول : رويدكم أنتم انفسكم , فيحسن الكلام , **كأنك قلت** : افعلوا أنتم انفسكم .فإن قلت : رويدكم أنفسكم , ورفعت فيها قبحٌ , لان قولك : افعلوا أنفسكم فيها قبحٌ , فإذا قلت : انتم انفسكم حسُن الكلام"[١١١].

أما المبرد فنراه **ذكر مصطلح التأويل صراحةً** في غير موضع من كتابه فيما يخص موضوع التوكيد ولم يأتِ به ضمنا في شرحه كما وجدنا ذلك عند إمام النحو سيبويه هذا يدل على نضج مصطلح التأويل في زمن المبرد , ومن ذلك قوله : " فإن قلت : فأنت تقول : كلاهما منطلق .... وكلانا كفيل ضامن عن صاحبه . فإنما **تأويله** : كل واحد مِنَّا "[١١٢].

ومن أمثلة ذكر المبرد لمصطلح التأويل هو ما صرح به في شرحه لمجيء (إياك) لفائدة التحذير وتأويل الكلام عنده : أتقِ نفسك والأسد , وهذا

---

[١١٠] المصدر نفسه : الموضع نفسه.

[١١١] المصدر نفسه : ٢٤٧/١.

[١١٢] المقتضب : ٢٤١/٣.

عنده يفيد توكيد التحذير للمتلقي وذلك قوله :" وذلك قولك إياك والأسد يا فتى ,وإنما **تأويله** : أتق نفسك والأسد ... وإن أكدت رفعت..." [١١٣].

ووجدنا ابن السراج في باب التوكيد مستعملا التأويل كما استعمله سيبويه فقد ذكره ضمنا دون التصريح بمصطلحه ومن ذلك قوله:" فأما قولهم : "مررت برجل كلِّ الرجل" فإنما هذا على المبالغة في المدح **كأنك قلت : مررت برجلٍ كاملٍ** " [١١٤].

وبهذا فقد استعمل التأويل عند كل من سيبويه والمبرد وإبن السراج في باب التوكيد , كل منهم على رؤيته التي يراها مناسبة لاستعماله فسيبويه ذكره ضمنا من ذلك استعماله لتعبيرات تدلّ عليه منها (كأنك قلت , والمعنى أنّك أردت أن تقول , أي ...) , وتابعه ابن السراج بذلك في باب التوكيد , اما المبرد فقد ذكر مصطلح التأويل صراحة في باب التوكيد وفي غير موضع من كتابه .

المصادر :

١ -إحياء النحو : إبراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٧م .

٢ -أساسيات القواعد النحوية مصطلحا وتطبيقا , الدكتور محمود أحمد السيد , منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب , الطبعة الثالثة , دمشق ٢٠١١.

---

[١١٣] المصدر نفسه :٢١٢/٣.

[١١٤] الاصول في النحو:٢٣/٢.

٣ -الأشـــباه والنظـــائر فـــي القـــرآن الكـــريم : مقاتـــل بـــن ســـليمان (ت ١٥٠هـ) ، تحقيـق الـدكتور عبـد الله محمـود شـحاته ، القـاهرة ، ١٩٧٥م .
٤ -أصول التفكير النحوي : الدكتور علي ابو المكارم ، مطابع دار القلم ، بيروت ،١٩٧٣م .
٥ -أصـول النحـو العربـي ، الـدكتور محمـود أحمـد نحلـة ، دار المعرفـة الجامعية – القاهرة – ٢٠٠٤م .
٦ -الأصـول فـي النحـو , أبـي بكـر بـن محمـد بـن سـهل السـراج البغـدادي (ت٣١٦هـ) , تحقيـق : الـدكتور عبـد الحسـين الفتلـي , مؤسسـة الرسالة , الطبعة الثانية , بيروت ١٠٨٧م.
٧ -الاقتـراح فـي علـم أصـول النحـو , الإمـام جـلال الـدين السـيوطي (ت٩١١هـ) , تحقيـق وتعليـق : حمـدي عبـد الفتـاح مصـطفى خليـل , الناشر مكتبة الآداب , الطبعة الثالثة , القاهرة ٢٠٠٧.
٨ -أوضـح المسـالك الـى ألفيـة ابـن مالـك : أبـو محمـد عبـد الله بـن هشـام الأنصـاري (ت ٧٦١ هـ) ومعـه كتـاب عدة السـالك الـى تحقيق اوضـح المسـالك : محمـد محيـي الـدين عبـد الحميـد ، الطبعـة السادسـة ، دار الفكر ، ١٩٧٤م .
٩ -التأليف النحوي بين التعليم والتفسير , تأليف الدكتورة وضحة عبد الكريم جمعـة الميعـان , مكتبـة دار العروبـة , الطبعـة الاولـى , الكويـت ٢٠٠٧م.

١٠- التأويل النحوي عِنْدَ ابْنِ هِشَامٍ الأَنْصَارِيّ (ت٧٦١هـ) , ليث قُهيِّر عبد الله الحياني الهيتي , أطروحة دكتوراه , كلية الاداب , جامعة بغداد, ٢٠٠٤م.

١١- التداولية عند العلماء العرب , دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية" في التراث اللساني العربي , الدكتور مسعود صحراوي , دار الطليعة , الطبعة الاولى , بيروت ,٢٠٠٥

١٢- التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ) : تحـ : ابراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، ط١- ١٤٠٥هـ .

١٣- تعليم النحو العربي , الدكتور علي ابو المكارم , دار الثقافة العربية , القاهرة ١٩٩٠م .

١٤- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) قدم له الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، ط١٠، ١٩٩٧م .

١٥- التفسير والمفسرون , الدكتور محمد حسين الذهبي , دار الحديث , القاهرة ٢٠٠٥م.

١٦- الخصائص : صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق محمّد علي النجار ، بغداد ، ط٤ ، ١٩٩٠م.

١٧- الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه , الدكتور مازن المبارك , دار الكتاب اللبناني , بيروت ١٩٧٤م.

١٨- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه , الدكتورة خديجة الحديثي , منشورات المجمع العلمي العراقي , بغداد٢٠١٠م.

١٩- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك : ابو الحسن علي نور الدين بن محمد المصري (ت ٩٠٠ هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، مصر ، ١٩٤٤م .

٢٠ - شرح التصريح على التوضيح : الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠٠م.

٢١- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب : رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (ت : ٦٨٦هـ) ، شرح وتحقيق : الدكتور عبد العال سالم مكرّم - عالم الكتب - القاهرة - الطبعة الاولى-١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

٢٢- عمرو بن شأس : تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، مطبعة الاداب ، النجف الاشرف ١٩٧٦م .

٢٣- صعوبات أسلوبية في كتاب سيبويه , الدكتور عبد الرحمن أيوب , مجلة دراسات عربية , العدد ٢ , كلية بايرو الجامعية , نيجيريا .

٢٤- طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) ،تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٨٤م.

٢٥- علل النحو , ابي الحسن محمد بن عبد الله الوراق(ت٣٨١هـ), تحقيق محمود محمد محمد نصار , دار الكتب العلمية , الطبعة الثانية , بيروت ٢٠٠٨م.

٢٦- الكتاب : سيبويه أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، الطبعة الثالثة , القاهرة ٢٠٠٦م.

٢٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري – دار الفكر – بيروت.

٢٨- اللمع في العربية , ابي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) , تحقيق : حامد المؤمن , عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية , الطبعة الثانية , بيروت ١٩٨٥م.

٢٩- مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها : الدكتور عبد الرحمن السيد ، الطبعة الأولى ، مطابع سجل العرب ، ١٩٦٨م .

٣٠- مصادر التراث النحوي , الدكتور محمود سليمان ياقوت , دار المعرفة الجامعية , مصر ٢٠٠٣م.

٣١- المصطلح النحوي وأصل الدلالة , (دراسة ابستمولوجية تأصيلية لتسمية المصطلحات النحوية من خلال الزمخشري) , الدكتور رياض عثمان , دار الكتب العلمية , الطبعة الاولى , لبنان ٢٠١٠م.

٣٢- المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث , الدكتور إيناس كمال الحديدي , دار الوفاء , الطبعة الاولى , الاسكندرية ٢٠٠٦م .

٣٣- المقتضب , ابي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ) , تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة , عالم الكتب , بيروت .

٣٤- مكانة الخليل بن أحمد , في النحو العربي : الدكتور جعفر نايف عبابنة ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٤م.

٣٥- من أعلام البصرة ، سيبويه ، هوامش وملاحظات حول سيرته وكتابه : الدكتور صاحب ابو جناح ، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٤م .

٣٦- مناهج التبويب النحوي عند العرب ,الدكتور صبري إبراهيم السيد , مكتبة الآداب , الطبعة الأولى , القاهرة ٢٠٠١م.
٣٧- المنصف ، أبو الفتح عثمان بن جني النّحوي لكتاب التّصريف لأبي عثمان المازني النّحوي البصري ، تحقيق إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، دار احياء التراث القديم ، الطبعة الأولى ١٩٥٤م .
٣٨- منهج سيبويه في التقويم النحوي , الدكتور محمد البكاء , بغداد ١٩٨٣م.
٣٩- موسوعة المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار , الدكتور يوخنا مرزا الخامس , دار الكتب العلمية , الطبعة الاولى , بيروت ٢٠١٢م.
٤٠- النحو العربي شواهده ومقدماته , أحمد ماهر البقري , مؤسسة شباب الجامعة , اسكندرية ١٩٨٧م.
٤١- النكت في شرح كتاب سيبويه , ابي الحجاج يوسف المعروف بالاعلم الشمنتري (ت٤٧٦هـ) , تحقيق : الدكتور زهير عبد المحسن سلطان , المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم , الكويت ١٩٨٧م.

JOURNAL
OF THE
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)



JOURNAL
OF THE
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

Vol. 66

No. 4

1441H - 2019